ساعدت جامعة بغداد على نشره

شعر المخضرمين

وأثر الإسلام فيه

يحيى الجبوري

قدم له

الدكتور محمد طه الحاجري

منشورات مكتبة النهضة - بغداد

شعر المخضرمين

* الطبعة الاولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م

* طبع في مطابع الارشاد ـ بغداد

١٩٦٤/١٠/١٥

* - بحث نال به مؤلفه درجة الماجستير في الآداب من جامعة الاسكندرية بتقدير ممتاز سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م

بسم اللہ الرحمن الرحیم

"رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ اِنْ نَّسِیْنَآ اَوْ اَخْطَاْنَا"

(قرآن کریم)

تقديم

بقلم

الدكتور محمد طه الحاجرى

الاستاذ بكلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

(١)

حاجتنا الى درس تاريخنا الادبي حاجة ماسة متجددة ، تتصل بكياننا الادبي ، وكياننا العلمي ، وكياننا القومي ، وهي الكيانات الثلاثة التي قامت عليها نهضتنا ، منذ تيقظت قوميتنا الغافية في القرن التاسع عشر ، فأخذت تلتمس مقوماتها ، وتتبين ملامح شخصيتها ، فاتجهت الى مراجعة ماضيها وتعرف أمجادها ، فكانت حركة البعث الادبي ، واسترداد تراثنا الفكري الاصيل من بين ركام الركود والغفلة التي سيطرت على حياتنا نحوا من ثلاثة قرون •

وهذه النهضة التي كانت تنظر الى الوراء باحدى عينيها ، كانت تنظر بالاخرى الى ما حولها ، متشوفة متطلعة • فكان لابد أن تنعقد بعض الصلات بينها وبين الحياة الاوربية ، فاذا هي تأخذ عنها بعض صورها ، كما تحاول أن تصطنع في بعض وجوه حياتها العقلية ما يتاح لها من أساليبها •

وتاريخ الادب هو أحد الاساليب العلمية في درس الآثار الادبية ، وهو مما أتاحته لنا هذه الصلة بالحياة الاوربية ـ وهذه الصلة هي ، كما رأينا ، أحد وجهى النهضة العربية ـ فلم نلبث أن أخذنا في محاولة تطبيقه على أدبنا العربي •

فتاريخ الادب العربي وثيق الصلة بنهضتنا ، بل هو مظهر من مظاهرها : نشأ معها ، ممثلا شتى عناصرها .

والاهتمام بهذا التاريخ بحثا عن أصوله واحياء لمعالمه واجب قومي ، لان الادب أول عناصر القومية تعبيرا عنها ، وتجاوبا معها ، واشادة بها ، فتاريخ الادب هو ـ في بعض معانيه ـ تاريخ هذه القومية . وهو واجب أدبي ، لان معرفة تاريخنا الادبي معرفة دقيقة عميقة هي ضرورة لابد منها في فهم تراثنا الادبي وتقديره قدره ، وهي بذلك أول ما ينبغي للاديب أن يأخذ نفسه به ، ويهذب به نزعته الادبية . ثم هو بعد هذا واجب علمي ، لان تاريخ الادب ـ بما يخضع له من منهج علمي ، وما يصدر عنه من مقررات علمية ، وما يشارك به من القاء الضوء على وجوه حياتنا المختلفة ـ أصبح جزءا من الحياة العلمية .

ولا ريب أن تاريخ الادب من أشق الدراسات وأوعرها سبيلا ، اذ كان من اكثرها وسائل ، واذ كانت وسائله من اكثر الوسائل تباينا ، وأبعدها تغلغلا في وجوه الحياة المختلفة ، ثم هو اشد هذه الدراسات حاجة الى التقصي البالغ ، والى النظر الدقيق والفهم العميق ، والى الذوق السليم اللماح .

ولعل تاريخ الادب العربي ـ بما يمثل من عصور متطاولة وبيئات كثيرة مختلفة ، وما تقلب عليه من مختلف الحضارات ، وما تعرض له من شتى الملابسات ، وما اتصل به في ذلك المدى الطويل من أسباب وعوامل يكاد يخطئها الحصر ـ هو أشق تواريخ الادب دراسة ، واكثرها اعناتا ، وأشدها حاجة الى تضافر الجهود وتعاون القوى ، والى الاخذ في درسه بالجد الصارم ، والاخلاص المطلق .

ولا انكر اننا أولينا هذا اللون من الدرس موفور عنايتنا ، وصرفنا اليه كثيرا من جهودنا ، في مختلف مراكز الدرس في الوطن العربي ، واننا

استطعنا أن نسير به مع النهضة العربية التي نشأ معها ، مؤازراً لها ، مستجيبا لدواعيها • ولكن المدى ما يزال ـ مع ذلك ـ بعيدا أمامنا ، وما يزال كثير من ميادين البحث في تاريخ الادب العربي غفلا ، لم يظفر من عناية الباحثين الجادين المتمرسين باساليب البحث الادبي ، المزودين بأدواته ، ما هو جدير به •

ومن بين هذه الميادين فيما أحسب عصر المخضرمين •

(٢)

ولعل عصر المخضرمين هو اكثر عصور الادب العربي حاجة الى الدراسة الدائبة ، والبحث الجاد المتعمق ، اذ كان ـ في حقيقة الامر ـ اكثر هذه العصور خطرا ، بقدر ما للمرحلة التي يمثلها في تاريخ الامة الاسلامية من خطر ، وما اضطربت به من احداث بعيدة الاثر • وهو أحفل هذه العصور بالعوامل المختلفة ، والاسباب القديمة الذاهبة في الاعماق البعيدة ، المتغلغلة في مجاهل قد تقطعت دونها اسباب المعرفة ، ولكنها بقيت تحمل المواريث الكثيرة • تفرض على الحياة قيما قديمة موغلة ، وقد تعرضت في هذه المرحلة لاخطر ثورة في تاريخ الانسانية ، تريد أن تجتثها من جذورها ، واكرم دعوة الى القيم الحقة التي فطر الله الناس عليها ، مبرأة من غواشي الاوهام ، وما تراكم عليها ونكرها خلال العصور المتطاولة من ضلالات •

فعصر المخضرمين هو ـ في حقيقة أمره ـ عصر الصراع بين القيم الانسانية الحقة الخالصة التي جاء بها الاسلام ، وبين القيم التي كونتها الجهالة والنظم الفاسدة والاهواء الضالة ، خلال الآماد البعيدة والعصور المتطاولة • وما يزال هذا العصر ـ بوصفه هذا ـ في حاجة شديدة الى استجلاء غوامضه وكشف مساتيره واستيضاح معالمه ، بتبين عناصر هذا الصراع ، وما يكمن وراءها ، وما يمدها ويلابسها •

وطبيعي ان يكون لهذا الصراع أثره في الادب ، وان يتخذ من الشعر مظهرا له ، فالشعر هو الاستجابة الفنية لنزعة التعبير عند الانسان ، فهو بذلك يمثل الوجه الفني لما يخالج النفس الانسانية من نوازع وخلجات ، كما انه يعد بذلك أيضا اصدق معبر عما تنفعل به النفس ، وادق مصور لما يداخل الحياة من تيارات ، وما يسودها ويتداول عليها من اتجاهات .

وللشعر عند الامة العربية مكانة غير مكانته عند سائر الامم التي تصطنع الى جانب الشعر فنونا أخرى ، فالنزعة الفنية عندها موزعة بين الشعر وغيره . أما الامة العربية فليس للنزعة الفنية عندها غير الشعر ، استبدبها ، فاحتفلت به ، وحشدت كل قواها له ، فهو وحده مظهر عبقريتها ، ومجلى نشاطها ، وهو وحده المعبر عن الاحداث التي انفعلت بها ، والمردد لاصدائها ، فمن الطبيعي ان يكون للشعر نصيبه الموفور في التعبير عن ذلك الصراع ، وفي تصوير هذه المرحلة . ففيه اذن ينبغي أن نتعرف الى هذه الفترة الدقيقة الخطيرة ، واليه ينبغي أن نتجه في تبين صور ذلك الصراع .

ومع خطورة هذه المرحلة على نحو ما أشرنا فانها تعد من اكثر مراحل تاريخنا الادبي غموضا ، ثم هي مع هذا تعد من أقل هذه المراحل حظاً من الدراسة الجادة العميقة الدقيقة ، تستقل بها ، وتتوفر عليها ، وتحاول أن تستبطن الاسباب المختلفة التي توجهها ، والتيارات السارية فيها ، وأن تجلو منها صورة واضحة المعالم ، بينة القسمات ، فتؤدي بذلك حقها .

ولعل الصعوبات التي تكتنف مثل هذه الدراسة ، والعقبات التي تكتنف سبيل الدارس ، هي التي أحاطت هذه المرحلة بجو من الرهبة ، وغمرتها باسباب التهيب ، فجعلتها بهذه المثابة بين مراحل التاريخ الادبي .

وهذه الصعوبات تجيء - أول ما تجيء - من ناحية المادة الادبية التي

صدرت عنها ، وتقوم دراستها عليها ، فقد تعرضت هذه المادة ـ خاصة ـ لاسباب الضياع ، اذ كانت الدعوة للدين الجديد ، والتمكين له ، والقيام بحقه ، قد استغرقت جهود المسلمين ، وصرفت اليها اكثر اهتمامهم ، فلم تدع لرواية الشعر ـ وهي القائمة بتلك المادة والحفيظة عليها ـ الا مكانا متواضعا .

ثم كان مما تعرضت له هذه المادة الادبية السياسة التي اتخذها النظام الجديد ـ وخاصة في عهد عمر ـ لحماية المجتمع الاسلامي وحياطته ، ومنع أسباب التفكك أن تتسلل اليه وتفت منه . وكان من أصول هذه السياسة الحيلولة دون اثارة الاحقاد ، وتجديد الضغائن ، ومنع كل ما قد يؤدي الى شيء من هذا أو الحد منه . ومن ذلك رواية الشعر الذي صدر عن ذلك الصراع .

وكما تعرضت المادة الادبية لاسباب الضياع ، تعرضت لاسباب الزيف ، على النحو الذي نراه واضحا فيما يذكره ابن هشام في غير موضع ، مما لا موضع هنا لتفصيل القول فيه .

وقلة المادة الادبية بسبب ما ضاع منها ، وزيف كثير مما نقلته الرواية ، ينعكس ـ ولا ريب ـ أثرهما على تقدير الجو الذي صدرت عنه هذه المادة ، وفهم الاسباب العاملة في هذا العصر ، وتبين ملامحه . اذ كان الشعر هو أول ما يلجأ اليه الباحث ويعتمد عليه في فهم العصر ، وتبين التيارات الغالبة عليه .

فهذه بعض الصعوبات التي تعترض الباحث في عصر المخضرمين .

(٣)

وحين تحدث الى صديقي الاستاذ يحيي الجبوري في أمر هذا البحث ، تمثلت الصعوبات التي ألمت الى طرف منها ، فأشفقت عليه من مكابدتها ،

وما قد تنتهي اليه هذه المكابدة • ولكنى لم البث أن أحسست بشىء غـير قليل من الطمأنينة يداخل نفسى ، اذ رأيت فيه مخايل شخصية علميـة جديرة أن تواجه هذه الصعوبات ، والا تدخر جهـدا في تذليلها والتغلب عليها • ولا عليه بعد ذلك أن يبلغ الغاية ، فليس على الباحث الا أن يجتهد، فان أصاب الهدف الذي جعله وجهته فذاك ، والا فله ـ على كل حال ـ أجر المجتهد •

ثم عرفت فيه ـ أول ما عرفت ـ صفتين ، هما ـ فيما أرى ـ أول ما ينبغي لرجل العلم :

طموح يمثل له الغاية البعيدة ، يضعها نصب عينيـه ، ويحفزه الى بلوغها ، ويملأ قلبه ثقة بما يحاول منها ، ولا يزال به يدفعـه نحوها ، ويدنو به اليها ، لا يداخله يأس ، ولا يقعد به خور •

والاخرى تواضع يعصمه من الجرى مع الاوهام ، اذ يأخذه بالتوقى فيما يعالج • ويمسكه في حدوده ، ويمثل له الامور كما هي في حقيقتها ، ويجعله يقدر كل مرحلة من مراحل البحث قدرها ، فلا يزدهيه ما يتاح له من نتائج ، فتتضخم في عينيه ، وتتبرج له ، فيضل السبيل ، أو تداخله الكبرياء ، فتقف به ، وتحول بينه وبين التماس ما وراءها •

وملاك الامر أن يملك الباحث القدرة على الموازنة بين هاتين الصفتين ، حتى لا تعدو واحدة منهما على الاخرى ، ويلتزم الجادة في كل منهمـا ، فلا يتحول الطموح الى غرور ، ولا يصير التواضع اتضاعا ، أو يصبح لونا من الوان التهافت ، يفقد صاحبه فيه الشعور بنفسه ، وتقدير كيانه •

كما عرفت في صديقي يحيي القورة على متابعة الدرس ، والصبـر على مكارهه ومعالجة مضايقه ، والدأب الذي لا يلغي الشخصية أو يتحول آلية رتيبة • وتبينت أنه يملك من أسباب الدرس ووسائله ما هو جدير أن يمضى به الى الغاية المرجوة ، وأن يهديه في سيره بـين دروب البحث

ومساربه ، وفي منعرجاته وثنياته وبقدر ما تمثل لي من ذلك كله كـــان رجائي أن يشد الله أزره ، ويسدد خطاه •

وبهذه الصفات العلمية اقتحم الاستاذ يحيي هذا الميدان على وعورتـه وضيق مسالكه ، وأقبل على معالجة هذا الموضوع ، حتى اتيح له أن يفرغ منه على الصورة التي نراها في هذا الكتاب ، وقد انعكست فيه تلك الصفات، وتمثل فيه ذلك الخلق العلمي •

واني لارجو أن يكون هذا العمل الجامعي الاول فاتحة أعمال مجيدة مرجوه في ميادين الادب العربي والفكر الاسلامي ، يؤدي بها حق العلم ، وحق الادب ، وحق العروبة الطامحة المتوثبة •

الاسكندرية

طه الحاجري

مقدمة

تعد فترة صدر الاسلام أفضل وأقدس فترات التاريخ الاسلامي ، ولها في نفوس المسلمين مكانة سامية فضلى ذلك لانها فترة الرسالة والوحي، فترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته أئمة المسلمين وقادتهم ، وهي بعد ذلك نقلة كبرى في حياة العرب من عهد راكد محافظ ضال الى عهد دين وهدى وايمان ثم حضارة جديدة تبوأت مكانتها الرفيعة بين حضارات العالم ونظمه .

ولم يحظ عصر من عصور الدنيا بقدسية واجلال ، مثل ما حظى به عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لأن عهد الرسول وصحابته من بعده هو المثل الاعلى والاكمل لنظام الحكم والادارة والعبادة والحياة . ولذلك فقد نالت هذه الفترة من العناية والرعاية والدرس والفحص والتمحيص ، ومن النقد والتحليل والتفنيد ما لم تنله فترة أخرى في التاريخ العربي وغير العربي ، فقد قامت الدراسات الواسعة الضخمة العديدة منذ فجر التاريخ الاسلامي على يد أبناء هذه الامة العربية المسلمة مبتدئة بجمع القرآن وحفظه وتفسيره وضبط كلماته ومرتقيه الى علوم الاعجاز واللغة والفلسفة والطبيعة وما وراء الطبيعة وما يستتبع ذلك من علوم وفنون وقد تساندت الدراسات وتشعبت ودرس العصر العرب والمستعربون ، المسلمون وغير المسلمين ، أنصار الاسلام وأعداؤه ، وما زالت الدراسات المتنوعة المتشعبة قائمة مستمرة ، وستبقى قائمة مستمرة ما شاء الله لها أن

تقوم ، وما دام هذا الدين قويا خالدا ، وما دام لهذه الامة قوة ومكانـــة ، وفي نفوس أبنائها الغيرة على الدين والحرص على اللغة والحب للتـــأريخ والرغبة في السعي والدرس والتحقيق .

ومن هذه النظرة الفاضلة للتراث العربي المسلم ، قامت الرغبـة في النفس على أن أقوم ببعض ما علي من واجب نحو تراث أمتي المجيد ، ذلك التراث الذي كان وما يزال نورا يهدي السالكين ، والهاما يفجر ينابيـع الخلق والابداع ، وهدى يشتت باطل الوهم ويبدد حالك الظلام .

وقد كانت في النفس ـ منذ بعيد ـ رغبة ملحة طموحة على أن أقدم جهدا يقع من الفترة في الصميم ، فرحت أتعرف على هذه الفترة في نظامها الديني فرأيت دراسات ـ قديمة وحديثة ـ في القرآن والحديث وعلومهما ، كثيرة وافرة وافية تكاد تقرب من الكمال .

ورحت أقرأ في تاريخ هذا العصر فاذا هو غني بما كتب عنه وحولـه وفيه ، من التآليف والتصانيف ، وقد رحت أطلع على ما أنشيء حـــول الفترة من بحـوث في سياســة الناس ومذاهبهم وسجاياهم وطبقاتهـــم ومراتبهم ، فاذا من ذلك شيء كثير ، ورحت أنظر في أدب هذه الفتـــرة وما قام حول أحداثها من شعر وما رافق حروبها من قصيد ، فاذا بي امام ثروة كبيرة من الشعر ، والشعر الجيد ، واذا الفترة تحفل بشعراء لهـــم أثرهم وخطرهم في هذا العصر ، ولشعرهم الاثر في الاحداث وفي نفوس الجماعات ، وقد كان شعر الفترة الاسلامية هذه مسجلا لحروب رســول الله صلى الله عليه وسلم واصفا احداثها مبينا ظروفها مشيدا ببطولات الصحابة الفرسان مؤبنا الشهداء مثنيا على مكارمهم هاجيا اعداءهم مناقضا خصومهـــم ذابا عن أحسابهم وأعراضهم ، فالشعر هنا سجل حافل بأحداث الفتـــرة منفعل بها متفاعل واياها . ونظرت في عصر تال لهذه الفترة فاذا هنـــاك صلة وثقى ففي الفترة كل جذور وأصول الفنون والمذاهب الادبية للعصر

الاموي ، فلا يمكن بأي حال أن تدرس مذاهب الشعر وفنونه في الفترة الاموية بعيدا وبمعزل عن الشعر وظروفه في الفترة الاسلامية ، فالشعر في الاولى أساس وأصل ومنطلق لشعر الفترة الثانية .

وجئت أتعرف على الجهد الذي بذل في سبيل أدب هذه الفترة الاسلامية ، فاذا هو جهد ـ على قلته ـ منصب على أفراد بارزين فيها وذلك الجهد لم يكن ليقصد الفترة لذاتها وانما تناول جانبا منها أو ظاهرة من ظواهرها وقد اتخذ الفترة وسيلة ومجازا للانتقال من العصر الجاهلي الى العصر الاموي ، وكأن لم يكن لهذه الفترة من المكانة ما يستحق الوقوف عندها والنظر فيها والتفرغ لدراستها دراسة تتناول اتجاهات الشعر وظروفه وخصائصه ككل متكامل ، وحاولت أن أجد السبب المعقول والتعليل الوجيه لانصراف الدارسين عنها ، فوجدت أن من سبب ذلك : أن الفترة تقع بين فترتين كبيرتين هما الجاهلية والاموية ، والشعراء المشهورون البارزون في الفترة الاسلامية كانوا يعدون ضمن الجاهليين غالبا وذلك تقليد ابتدعه ابن سلام حين عد أكثر المخضرمين الكبار في الجاهليين ذلك كان أمر الشعراء البارزين ، أما غيرهم من ذوي الاثر في حياة الفترة، ومن غير الفحول البارزين فلم يكن لهم نصيب من الجهد والعناية فأهملوهم باهمالهم الفترة التي عدوها فترة انتقال قصيرة من عصر الى عصر ، وما دامت الظواهر الادبية لا تظهر ولا تتكامل في عصور الانتقال بل توجد مقدماتها وأصولها ، لذلك فقد صدوا عنها وأهملوها ، بل ذهبوا أكثر من ذلك حيث عدوا الفترة الاسلامية ضمن الاموية ودمجوا هذه بتلك فكان أن طمست معالم فترة المخضرمين ، وهذا سبب أول .

أما السبب الثاني في اهمال هذه الفترة والانصراف عنها : فهناك فكرة شائعة خاطئة تزعم أن الدين الاسلامي كان قد عاق الشعر في هذه الفترة ، بل اضطهده ، ناظرين الى صدر آية الشعراء (والشعراء يتبعهم

الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ...) دون عجزها وتمامها ودون النظر الى ظروف الدعوة وموقف الدين من الشعر في كل المراحل والظروف .

ثم هناك سبب آخر لا يقل أهمية عما تقدم ، هو وجود شك في شعر الفترة وذلك الذي نبه عليه وأشار اليه النقاد القدامى وعلماء الشعر ورواته في وقت مبكر . تلك الاسباب وغيرها جعلت الباحثين يحذرون الفترة ويتهيبون دراستها ويترددون في بذل الجهد فيها .

ومع كل ذلك فقد قامت دراسات حول أدب الفترة يتفاوت حظها من العلم والجودة ، وهي في عمومها تطيف بالموضوع وتحوم حوله دون أن تقف عنده وقفة تستغرق الالمام الكافي بشعر العصر ورجاله وظروفه . واذا ما عرضنا هنا الى المهم من تلك الدراسات فاننا نتجاوز عن الكتابات التي تفتقر الى الدقة العلمية والمنهج الموضوعي الصحيح ، وهي في جملتها اما كتب مدرسية في تاريخ الادب ونقده واما كتب نقلت عن الكتب التي تذكرها دون أن تشير اليها أو ترجع الى النصوص الاصيلة فيها .

وأول دراسة حقيقة بالتقدير ، محاضرات كارلو نالينو التي جمعت في كتاب (تاريخ الآداب العربية) وقد تعرض لـ (الادب في صدر الاسلام وفي أيام الخلفاء الراشدين) وهو أول من صنف شعراء الفترة بالنسبة لموقفهم من الاسلام فكانوا عنده أصنافا ثلاثة :

١ - الذين قالوا الشعر في مدح النبي ، سواء أسلموا أم لم يسلموا . وقد قال ان أكثرهم من أهل المدر الذين كانوا يفدون في الجاهلية على الملوك . وعد منهم مع نبذ من أشعارهم كعب بن زهير والاعشى وحسان بن ثابت .

٢ - الشعراء الذين قالوا الشعر في رثاء قتلى الكفار وهجاء النبي ، وأغلبهم

من أهل مكة • وذكر منهم عبدالله بن الزبعري وضرار بن الخطاب والحارث ابن هشام وأبا سفيان بن حرب •

٣ ـ شعراء أسلموا ولم يهتموا في أبياتهم بأمور النبي والدين • وهم أكثر شعراء أهل البادية • وذكر منهم متمم بن نويرة وأبا محجن الثقفي والحطيئة والشماخ وأخويه مزردا وجزءا والهذليين أبا خراش وأبا ذؤيب وغيرهم •

وناللينو هنا يغفل شعراء المدينة الذين مدحوا الرسول مثل كعب بن مالك وعبدالله بن رواحة وكذلك شعراء المهاجرين والنساء الشواعر المسلمات • وكذلك يهمل كثرة الشعراء في مكة والطائف والقرى اليهودية الذين شاركوا قريشا في عدائها للدين ، ولعله وهم ايضا في ذكر أبى سفيان ابن حرب حيث يريد أبا سفيان بن الحارث ، لان الثاني هو المشهور بالشعر، ولو أن للاول أبياتا قالها في الاحداث ، وعلى الرغم مما يشوب هذا التصنيف من خلط وتعميم ، فللرجل فضل السبق في الالتفات الى دراسة الشعراء وفق موقفهم من الدين •

وهناك كتابان للاستاذ احمد الشايب ، الاول (تاريخ الشعر السياسى) خصص الباب الثاني منه لدراسة الشعر في صدر الاسلام وقسمها الى ثلاث مراحل ، الاولى (في سبيل الامة العربية) تناول الشعر فيها أول الدعوة ، والثانية (في سبيل الدولة الاسلامية) عرض للشعر في عهد عمر وعثمان، والثالثة (في سبيل الحكومة الاسلامية) عالج الشعر في الحروب الداخلية بين علي ومعاوية •

وفي الكتاب الثاني (تاريخ النقائض في الشعر العربي) عرض للشعر الذي تراد به شعراء مكة وشعراء المدينة ، ثم تكلم عن خصائص النقيضة في هذا العصر •

وقد تناول الاستاذشوقي ضيف هذه الفترة فدرس الشعر في صدر الاسلام في التمهيد الذى وضعه في صدر كتابه (التطور والتجديد في الشعر الاموي)(١) وعلى الرغم من أن هذه الدراسة مجملة موجزة الا أنها قدمت معلومات قيمة تغني عن الكلام الكثير ، فقد تحدث عن الاسلام ونظامه وأثره في حياة العرب ثم تكلم عن الشعر في زمن الرسول وفي زمن الخلفاء الراشدين فلاحظ أن شعر الشعراء لم يتأثر بالاسلام الا بقدر محدود والتمس الاسباب لذلك فوجد أن الشعراء قد تمسكوا بالمثالية الجاهلية في النظم والصياغة والتفكير فكان أن بقيت فنون الشعر على اسلوبها القديم سواء في الهجاء أم في المديح واستدل بذلك على مديح كعب بن زهير وحسان بن ثابت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى أن الشعر في مكة والمدينة في عصر الراشدين أخذ في الخمول والانزواء بعد أن كان مزدهرا أبان الحروب الاسلامية زمن الرسول • ثم نظر في شعر الفتوح فرآه محافظا كذلك على نمطه القديم وبعده عن روح الاسلام ، وان ظهرت فيه لمحات خفيفة من الاثر القرآني متمثلة في قصيدة سويد بن أبي كاهل في ذكر المنافق وفي قصيدة عبدة بن الطبيب في وصيته لولده بتقوى الله وطاعته وطاعة الوالدين ويقرر بعد ذلك أن الشعراء (لم يتطوروا بشعرهم على هدى الاسلام الا تطورا محدودا وكأنما عاقتهم الصورة القديمة التي ألفوها في صناعة الشعر) •

أما الاستاذ محمد محمد حسين فقد كتب عن الهجاء الديني في كتابه (الهجاء والهجاؤون في الجاهلية) ولم تكن عنايته لتقتصر على فن الهجاء الذى تمثل في شعر الحطيئة وحسان بن ثابت وحسب بل عني بدراسة الشعر ومدى تأثره بالاسلام في هذا العصر فرأى ـ أول ما رأى ـ أن الاسلام لم يتمكن أن ينتزع الروح العصبية القبلية المتأصلة في النفوس أو أن يدحرها ، فقد استمرت عند الاعراب خاصة وتمثلت في سلوك الوفود

(١) ص ١٢ ـ ٢٣ من الطبعة الثانية •

وفي حركة الردة وفي عصبية حسان اليمنية وشطحاته في الاسلام ، ورأى أن الشعر قد حافظ على نهجه الجاهلي في الهجاء والمديح على السواء وأن شعراء المسلمين ـ ومنهم حسان ـ لم يستطيعوا أن يصوغوا المعاني الاسلامية في شعرهم الا بطريقة فاسدة متكلفة قوامها نقل الآيات ونظمها نظما فاسدا •

وتناول أسلوب الهجاء الديني في القرآن وقارنه بأسلوب الهجاء عند الشعراء فاستنتج أن الهجاء القرآني يقوم على قيم أخلاقية واجتماعية جديدة ، ويلتزم الحجج المنطقية والاستشهاد بالتاريخ في تصوير ضلالة المنافقين والمعوقين ، وأما هجاء الشعراء فقد بقي متمسكا بأسلوبه القديم في نهش الاعراض وقذف الناس بأحسابهم وأنسابهم •

وفي الكتاب الثاني (الهجاء والهجاؤون في صدر الاسلام) تناول حركة الردة ودوافعها العصبية ومظاهر تلك العصبية من حسد قريش ومنافستها التي تمثلت في ظهور أنبياء كذابين في القبائل المرتدة • كما لاحظ أن الشعر الذي قيل في الردة لم يكن ليقصد مباديء الاسلام وانما كان يتبع الهجاء القبلي •

وهناك دراسات سريعة أيضا تناولت جوانب معينة من الفترة أو طرقت موضوعات ذات علاقة بها ، من ذلك مقالات الاستاذ خلف الله التي جمعها في كتاب (دراسات في الادب الاسلامي) تناول في فصل منه أدب الجهاد في سبيل الله وقد عرض فيه لسور الجهاد التي نزلت في سرية عبدالله بن جحش وفي بدر واحد ، وقد حلل الآيات الكريمة ودل على ما فيها من روعة الفن وجمال التعبير وقوة الاداء ، كما أنه خصص فصلا آخر تكلم فيه عن شاعر الرسول ، درس فيه حياة حسان بن ثابت في الجاهلية والاسلام وجهوده في سبيل الدين الاسلامي •

وثمة دراسات في تاريخ النقد الادبي تناولت شعر الفترة من حيث ضعفه واستمرار الاثر الجاهلي فيه وأهم تلك الدراسات : كتاب الاستاذ

طه ابراهيم (تاريخ النقد الادبي عند العرب) وكتاب الاستاذ طه الحاجري (في تاريخ النقد والمذاهب الادبية) • فأما دراسة الاستاذ طه ابراهيم فقد كانت أول دراسة في نقد الادب تتسم بالدقة والتثبت ، وهي دراسة رائدة مهدت الطريق أمام السالكين ، وقد تناول ضعف الشعر في العصر الاسلامي، وأما كتاب الاستاذ الحاجري فقد تناول الموضوع من وجهة أثر الاحداث الاسلامية والنظم الجديدة في ضعف الشعر ، وقد حدد وضع الشعر في هذه الفترة وعين وجهته وخصائصه وظروفه • ويجدر هنا أن نشير الى كتاب الاستاذ البهبيتي (تاريخ الشعر العربي) حيث تناول موضوع ضعف الشعر وأثر القرآن في ذلك ولو أنه عالج الموضوع بسرعة وايجاز شديدين •

وقد تناول الاستاذ ناصر الدين الاسد جانبا آخر مما يخص الفترة ذاك هو : الشك في صحة الشعر الاسلامي ، وقد عرض لشكوك ابن سلام وابن هشام وابن النديم في السيرة ومآخذهم على ابن اسحق ، كما عرض لشكلة الوضع في الشعر الجاهلي والاسلامي عند الاقدمين وعند المحدثين•

هذه أهم الدراسات التي قامت ولها صلة بشعر المخضرمين ، سواء من قريب أم من بعيد • أما هذه الدراسة فقد نظرت لفترة المخضرمين فرأت أن كافة ظواهر الشعر من ضعف وقوة أو ازدهار وخمول ومن اتجاهاته ومذاهبه خصائصه وقيمته ، كل ذلك مرتبط بالاحداث الهامة في هذا العصر ، والحدث الكبير الهائل الذي غير معالم الحياة وطرق التفكير فيها هو الاسلام ، فكان لابد أن ينظر للشعر من ناحية ارتباطه وعلاقته بالدين سواء من ناحية تمثيل المبادىء الاسلامية والدعوة لها والسعي في سبيلها ، أم من ناحية معارضة تلك المبادىء ومعاداتها فالشعر هنا مرتبط بالاسلام وبالاحداث التاريخية الكبرى التي أثرت فيه ، فكان لابد عند المضى في الدرس أن ينظر للشعر لا من الزاوية الادبية الفنية فحسب بل

من ناحية ارتباطه بالدين والتاريخ ، وعلى هذا فهناك ثلاثة موضوعات مترابطة متداخلة متكاملة ، شعر ودين وتاريخ . وكان عليّ أن أدرس المصادر التاريخية والدينية والادبية لأتعرّف على حقيقة هذه الصلة . وأستطيع أن أصنف المصادر التي اعتمدتها وأفدت منها فائدة كبيرة الى صنفين ، كل صنف يمثل عهدا فالفترة عندنا على عهدين عهد الرسول حيث يصور الشعر فيه الصراع بين المسلمين وأعداء المسلمين ، وعهد الخلافة الراشدة حيث يسجل الشعر الاحداث التي شهدتها الخلافة من ردة وفتوح وفتن داخلية . فأما كتب العهد الاول ، فأهمها وأغزرها مادة : كتاب السيرة النبوية لابن هشام ، فقد حفظ أكثر الشعر الذي قيل في المعارك من سرايا الرسول الاولى أول الهجرة حتى غزوة حنين والطائف ، وتلتقي في هذا الكتاب القضايا الدينية والتاريخية والادبية . ثم كتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ، وكتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني وقد حفظا شعر كثير من شعراء الفترة . ويضاف الى هذه الكتب الاساسية الثلاثة كتب أخرى قدمت فائدة جليلة هي : الروض الانف للسهيلي وامتاع الاسماع للمقريزي وجمهرة أنساب العرب لابن حزم الاندلسي ونسب قريش للمصعب الزبيري .

أما الكتب الاساسية المعتمدة في العهد الثاني فأكثرها كتب تاريخية ، وقد وجدت في كتب التاريخ مادة أدبية أكثر بكثير من الكتب الادبية التي كانت عنايتها منصبة على شعر البارزين من الشعراء ، وأول تلك الكتب الاساسية كتاب الطبري (تاريخ الامم والملوك) وابن الاثير تاريخ الكامل ثم مروج الذهب للمسعودي والاخبار الطوال لابن قتيبة وفتوح البلدان للبلاذري . وفيما يخص معركة صفين يضاف الى الكتب المتقدمة كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم ، وان كان أكثر الشعر الذي حفظه موضوعا مفتعلا فيه أثر قصاص حظهم من الشاعرية ضئيل .

وهناك بعض الدواوين التي كانت فائدتها كبيرة كديوان لبيد بن ربيعة العامري وديوان كعب بن زهير وديوان الحطيئة وكلهم من شعراء البادية ثم ديوان حسان بن ثابت وأبي محجن الثقفي وهما من شعراء القرى ، ويلاحظ أن الشعر الذي حوته الدواوين هو شعر القلة من شعراء الفترة .

وقد رأيت في شعر المخضرمين شعرا عليه طابع الاسلام وروحه وقد دخل أصحابه الاسلام وكانوا من السابقين اليه العاملين له ، وشعراؤه هم من الانصار في المدينة أو المسلمين الاولين في مكة الذين هاجروا الى الحبشة أولا ثم الى المدينة ثانيا ، وقد درست هذا الشعر الاسلامي في الباب الاول .

وهناك شعر آخر ، رأى في الدين الجديد خطرا يهدد نظم الحياة التي ألفها الناس ، وقد وقف هذا الشعر ضد الدين فجاهر بمعارضته ومعاداته والتحريض عليه ، وقد كانت لهذا الشعر بيئات ثلاث : مكة ، الطائف ، القرى اليهودية . وبذلك قام الباب الثاني لدراسة هذا الشعر المعارض في الاقاليم الثلاثة . ولم تكن البادية في هذه الفترة منعزلة كل الانعزال فقد ثبت الدين في المدينة وانتشر منها وقوى وارتفع صوته يؤذن بانتهاء عهد الشرك والوثنية ، وقد رددت البادية صداه فاهتز لذلك الشعراء فتوافدوا على حاضرة الاسلام فأسلم منهم من أسلم وتعنت منهم من تعنت معتزا بدينه الموروث وتقاليده المألوفه ، فكان أن تأثر بعض الشعراء بالدين الجديد وظهر ذلك الاثر في شعرهم واضحا بينا حينا ، ولمحات وأقباسا خفيفة في حين آخر . وقد أخذت هذا الشعر المتأثر بالدين بالدراسة ، فكان الباب الثالث . والى هنا تكون الدراسة قد تناولت الشعر من حيث موقفه من الاسلام اولا ومن حيث البيئة ثانيا ، ثم نظرت فرأيت ان الفترة تحفل بالاحداث الهامة الكبرى ، وان الشعر كان يتجاوب مع هذه الاحداث وينفعل بها ، وانها تركت أثرها في هذا الشعر ورسمت له

نهجه وموضوعه ، فرحت أرصد الشعر وأدرسه من حيث ارتباطه بالاحداث وتصويره لها ، فكان الباب الرابع ، فالدراسة ـ على هذا ـ نهجت نهجين : الاول دراسة الشعر وفق اتجاهه وبيئته فهي دراسة للشعر افقية ـ اذا صح التعبير ـ والنهج الثاني دراسة الشعر زمنيا أو عموديا ـ اذا أجيز لنا ذلك ـ .

وقد رافقت شعر الفترة ظروف واعترته عوامل أثرت فيه ، وفي نظرة الناس اليه وقد أشرت الى كل ذلك في التمهيد الذى قدمته بين يدي الدراسة ليلقي الضوء على طبيعة الفترة وشعرها ، الا انني هنا أشير الى أن شعر الفترة ـ في أكثره ـ غير مدون في ديوان ولم يحظ بعناية لجمعه وتحقيقه أو التعريف به فمن بين ما يقرب من السبعين شاعرا وشاعرة الذين تعرضت لهم الدراسة لم يكن منهم من جمع شعره في ديوان غير ثمانية هم (لبيد وحسان والحطيئة وكعب بن زهير وسحيم وابو محجن وأمية والاعشى) ولذلك فأكثر شعر الشعراء في حكم المجهول ، فهو لم يجمع اولا ولم يدرس ثانيا وقد رأيت ان الفرصة مواتية لجمع ما أمكن جمعه والتعريف به ، فأكثرت لذلك من التمثيل والاستشهاد بشعر هؤلاء الشعراء الذين فاتتهم العناية وأخطأتهم جهود الباحثين ، وقد كنت أعني بهذا الشعر فأنظر فيه نظرات من مختلف الجوانب والوجوه : نظرة في صلاحه لتمثيل الفكرة ونظرة في اختياره وانتقائه وأخرى في صحته وبراءته من التزييف والوضع وأخرى في نسبته اذا تردد بين شاعرين أو اختلفت فيه الرواة .

والفترة ـ فيما ترى ـ عريضة واسعة لو اطلق للدراسة الزمام لاستطالت وتشعبت ولخرجت عن منهج البحث المرسوم وحدوده المبينة ، فآثرت لذلك الايجاز وجعلت الشرح والتفسير والتحليل على قدر ، واستبعدت ما لا غناء فيه من التعليق والتوضيح خوفا من مزالق الاطالة

التي قد تؤدي الى اللغو وحشو الكلام • كما حاولت أن يكون الشعر هو المفصح عن القصد المعبر عن الفكرة الدال عليها •

وكنت وأنا أمضي في الدراسة أرى في هذا الشعر ـ وبخاصة شعر المسلمين ـ تأثرا واضحا بالقرآن الكريم فكنت أبين العلاقة وأربط بينهما ـ في غير تعسف ـ فأشير الى التأثير القرآني في الشعر حينا وأذكر نص الآية التي نظم الشاعر في معناها أو نقل معناها نقلا في حين آخر •

ويلاحظ هنا ان الشعر قد يطرق معاني توافق آيات من القرآن الكريم من دون قصد وقد يتفق أن تكون تلك المعاني حتى عند الشعراء الجاهليين فهي تراث قديم مشترك ، فالواجب هنا يدعو الى التنبه للمعاني العامة المشتركة أولا ، والى زمن الشعر وزمن نزول الآيات الكريمة ثانيا ، وكذلك فعلت • وقد رأيت ان الشعراء قد نقلوا قسما من الآيات القرآنية في شعرهم نقلا أو غيروا في كلماتها بعض التغيير ، ورأيت ان هذه الظاهرة انما تتضح في الشعر الذى قيل في الحروب الاسلامية الكبرى في بدر وأحد والخندق وذلك أمر طبيعي لأن الشعر غالبا ما يقال بعد انتهاء المعركة ـ بعد أن تهدأ النفوس وتطمئن القلوب ـ فهو وصف لها وحكاية لاحداثها وتسجيل لوقائعها ويكون ذلك بعد نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد أن تلا المسلمون الآيات التي نزلت في الانفال وآل عمران والاحزاب ، ويكون الشعراء من اولئك المسلمين الذين تلوا آيات الله وحفظوا منها الكثير •

وبعد فاني قد بذلت الجهد الصادق في سبيل هذه الفترة البكر التي لم تطرق ، الوعرة التي لم تمهد ، المرتبكة التي لم تنسق ، وأرجو أن أكون قد وفقت فيها ، فأن أصبت فواجب هداني الله الى انجازه واتمامه وان تعثرت أو كبوت فحسبي اني أخلصت النية وبذلت الجهد ونشدت الحق ، ولي عظيم الثقة بسعة صدر اساتذتي الكرام الدكتور الحاجري

والدكتور شوقي ضيف والدكتور محمد محمد حسين وحسن ظنهم وزانة أحلامهم مما يطمعني بطلب العفو والصفح ولهم علي واجب الشكر والتقدير على ما بذلوه من جهد في قراءة هذه الصفحات ، جزاهم الله خيرا عن العلم وأهله وطلابه .

ولن يحول تواضع استاذي الجليل الدكتور محمد طه الحاجري بيني وبين الاشارة الى ما له علي من أياد بيض كريمة فقد كان لغزير علمه وسعة صدره وعظيم رعايته ما شتت امامي ظلمات الجهل ويسر سبل الدرس ومهد وعر الطريق فاسأل الله عز وعلا أن يجزيه خير الجزاء ويأجره أجر العلماء العاملين المخلصين ويسبغ عليه من فضله ورضوانه، كما أسبغ علي هو من علمه ورعايته وفضله .

ومن الله الهداية وبه التوفيق .

يحيى وهيب الجبوري

الاسكندرية ـ الاربعاء :

١٠ ربيع الاول ١٣٨٣ هجرية .

٣١ تموز ـ يوليو ١٩٦٣ ميلادية .

تمهيد
في
عصر المخضرمين

تمهيد

عصر المخضرمين

(١)

اذا أردنا أن نحدد فترة المخضرمين فعلينا أن ننظر الى الزمن الذي شهده جل شعراء الخضرمة والذى يستغرق حوالى قرن من الزمان موزع بين الجاهلية والاسلام . فالعصر اذا استقصيناه غاية الاستقصاء يمتد من زمان النعمان بن المنذر أبى قابوس (حكم سنة ٥٨٥ م) [١] الى زمان معاوية بن أبى سفيان (٤١ هـ - ٦٦١ م) وذلك اذا أخذنا شاعرا من المخضرمين عرف بأنه من المعمرين وهو لبيد الذى شهد النعمان كما شهد معاوية . ويصح أن نتخذ كذلك حسان بن ثابت معلما لتعين العصر ، فقد شارك في أحداث الجاهلية مع ملوك آل غسان وفي الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين وأدرك ملك معاوية ، فاذا صح ما يقال من أن حسانا عاش مائة وعشرين عاما ، ستين في الجاهلية وستين في الاسلام ، نكون قد حددنا على وجه التقريب عصر الشعراء المخضرمين ، ففيه نشأ شعراء الفترة وتم اكتمالهم واكتهالهم وفناؤهم .

ذلك من حيث العصر الذى طبع الشعراء بطابعه وخلف فيهم آثاره ،

---

(١) العرب قبل الاسلام - جرجي زيدان ص ٢٢٢ بعناية حسين مؤنس ط دار الهلال . وقد اتصل بالنعمان كل من لبيد العامري وحسان ابن ثابت .

وأما من حيث الفترة التي نريد أن نرصد فيها الشعر وأثر الاسلام فيه فهي الفترة التي تبدأ بقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى الاسلام في مكة وتنتهي بأنتهاء أيام الخلافة الراشدة وقيام الدولة الاموية سنة احدى واربعين للهجرة • ومدة هذه الفترة ثلاث وخمسون سنة ، منها اثنتا عشرة سنة قبل الهجرة ، ثم قيام الحكم الاموي سنة احدى واربعين ، فيكون ما قبل الهجرة وما بعدها ثلاثا وخمسين سنة •

بيد أن هذا التحديد لا يعني بأي حال من الاحوال اننا نؤرخ للشعر فيه بعامة • لا ، بل أننا نصب عنايتنا على الشعر الذى يكون للاسلام فيه أثر سواء أكان ذلك الاثر في شعر المسلمين أم في شعر الخصوم المشركين، والشعر الذي مثل الدين في هذه الفترة ، انما قيل أبان الحرب الكلامية بين مكة والمدينة قبل الفتح ، فهذه الفترة في حقيقة الامر ، هي فترة الازدهار والخصب • ومع ذلك فهذا لا يعفينا من تتبع ما قيل من الشعر الاسلامي طيلة الفترة الممتدة من بعثة الرسول حتى مصرع آخر خليفة من خلفاء المسلمين وهو علي بن أبي طالب عليه السلام •

وما دام الشعراء المخضرمون قد شهدوا عصرين مختلفين كل الاختلاف من حيث النظم والقيم والمثل والتعاليم ، وما دامت آثار العصرين قد ظهرت في سلوك الناس ومآتيهم ، فعلينا اذن أن نتبين الخطوط العامة للظواهر الاجتماعية والفكرية والدينية التي أثرت ـ من بعيد أو قريب ـ في نفوس شعراء هذا العصر •

(٢)

وأول ما يلاحظ ، أن شعراء هذا العصر يحملون سمات عصرين مختلفين لكل منهما مفهومه ونظامه وعقيدته ومثله • فما هو العصر الجاهلي ؟ وما حظه من الحضارة والفكر ، والدين ؟ وما هو العصر

الاسلامي ، وما هي مفاهيمه ومثله ؟ وبم اختلف عن سابقه ؟ •

فأما العصر الجاهلي فهو بزعم بعض الباحثين : العهد الذى كان يسوده الجهل الذى هو ضد العلم ، بل هو الطيش والسفه والضلال ، وقد توسع الكاتبون في ذلك وغالوا في تصوير العهد بشكل يوحي بأنه عهد بداوة وتوحش وهمجية وجهل مظلم مطبق[1] على أن واقع حال العرب قبل الاسلام يفند ما ذهب اليه اولئك جميعا • فالعرب امة من الناس لها نصيبها ـ كأي أمة عريقة ـ من الحضارة الممتدة في أعماق الزمان ولها لغتها الممتازة التي لم تطاولها لغة على مر الزمان غير ما خلفوه من آثار عقلية وعمرانية ، وقد عرف كثير منهم الكتابة ، وما الحوليات المحككة عند زهير وأضرابه الا ضرب من ذلك • فالاولى أن تكون كلمة الجاهلية قد أطلقت ـ حين اطلقت ـ لتدل على شيوع عبادة الاوثان بينهم ، فلا شك أن من العرب من كان يركع لصنم ، أو ينحر لنصب ، أو يتمسح بوثن ، تقربا لله وزلفى •

ومنهم من عبد كوكبا أو اعتنق المجوسية أو غيرها ، وكان فيهم من أصحاب الدهر • ومنهم من أشاح بوجهه عن كل العبادات ملتمسا ومنتظرا من يجدد الحنيفية الموحدة ـ دين ابراهيم • وقد أشار القرآن الكريم لكل ذلك • فالجاهلية من هذه الناحية حالة وثنية سائدة قبل الاسلام •

وناحية أخرى ، فمعنى الجاهلية ينصرف الى حالة خلقية كانت قائمة في نفوس العرب عامة ، والاعراب خاصة ، جماعها الغلو في تقدير الامور ، والاسراف وسرعة الغضب والتهور • فقد كان العربي يفرط في الكرم حتى يكون سرفا وتبذيرا ، ويغلو في الشجاعة حتى تصبح تهورا وطيشا ويبالغ في النجدة حتى تمسى ظلما • فالكلمة تحمل معنى الجهل الذى هو

(١) ينظر في هذا ما كتبه كل من الآلوسي ـ بلوغ الارب ج ١ ص ١٥ ـ ١٦ • واحمد أمين ـ فجر الاسلام ص ٦٩ • ودائرة المعارف الاسلامية ـ مادة (جاهلية) بقلم فير (T.H. Weir) .

ضد الحلم لا ضد العلم ، ومن هذا قول الشنفرى في لامية العرب :

ولا تزدهى الاجهال حلمى ولا أرى[1]

سؤولا بأعقاب الاقاويل أنمل

والى هذا المعنى ذهب عمرو بن كلثوم في معلقته :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا[2]

ويتضمن هذا معنى الظلم ايضا . ويدعم هذا المعنى حديث الرسول الكريم « من استجهل مؤمنا فعليه اثمه » وقال ابن الاثير : « أي من حمله على شيء ليس من خلقه فيغضبه فانما اثمه على من أحوجه الى ذلك »[3] وقد أصبحت الكلمة في عهد الاسلام تثير في نفوس المسلمين ـ بطبيعة الحال ـ شعورا بكراهية عهد وثني مملوء بالظلم والآثام ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع أبا ذر يعير رجلا بأمه فيقول مؤنبا ومعاتبا : « انك امرؤ فيك جاهلية »[4] أي فيك روح الجاهلية وطيشها .

وقد جاء ذكر الجاهلية في القرآن الكريم في المعنى الذي نذهب اليه ـ أي الحط من القيم الاعتقادية والخلقية المبنية على الحمية والغلو ـ قال تعالى في المقارنة بين الجاهلية والاسلام : « هُوَ الذي يُنزلُ على عبده آيات بينَات لِيُخرِجكُمْ من الظلمات الى النور وانَّ الله بكم لرؤوفٌ رحيمٌ »[5] وقال تعالى في صفة الاعتقاد الجاهلي : « يَظنون بالله غيرَ الحق ظنَّ الجاهلية »[6] وقال : « أفحكمَ الجاهلية يبغونَ ومنْ

---

(١) أعجب العجب في شرح لامية العرب ـ الزمخشري ص ٤٨ .

(٢) شرح القصائد العشر ـ التبريزي ص ٢٤٩ ، وشرح المعلقات السبع الزوزني ص ١٥١ .

(٣) النهاية في غريب الحديث والاثر ـ ابن الاثير ج ١ ص ١٩٢ ط حجرية غير مؤرخة .

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) سورة الحديد آية ٩ .

(٦) آل عمران ١٥٤ .

أحسنُ من الله حُكماً لقومٍ يوقنُونَ »[١] وقولـــه : « وَقَرْنَ في بُيُوتكُنَّ ولاَ تبرجْنَ تبرج الجاهلية الاولى »[٢] وقوله : « اذْ جَعل الذينَ كفرُوا في قُلوبهم الحمِيةَ حَمِيَّةَ الجاهليـة »[٣] وقريب من هذا المعنى قول الرسول في حديث الأفكِ : « ••• ولكنْ اجتَهلَتْهُ الحميَّةُ » أي حملته الانفةُ والغضب على الجهل[٤] •

وقد كان للعرب في جاهليتهم الاولى نصيب وافر من الحضـــارة والعمران ، لم يكتب للمتأخرين منهم أن يشهدوا ما شهده اوائلهم ، بل انهم شهدوا عصر الانحطاط والضعف والتخلف نسبة الى ما كان عليـه اسلافهم الاقدمون ، وليس علينا أن نخوض في أسباب ضعف الحضـارة العربية قبيل الاسلام ، ولكننا نذكر هنا الآيات الكريمة التي وصفت حضارة الاقدمين ، وأشارت الى مآل تلك الحضارة قبيل الاسلام[٥] • قال تعالى يذكّر العرب بما كان لدولة سبأ من حياة ناعمة مترفه : « لقد كانَ لسبأ في مسكنهم آيةٌ جنتان عن يمينٍ وشمَال كُلُوا من رزقِ ربكُمْ واشكروا لهُ بلدةٌ طيبةٌ وربٌ غفور »[٦] • ويذكر سبحانه قوم ثمود ، وما كانوا عليه من عمران وقوة ونعيم : « أتُتركُونَ في ما هاهُنا آمنينَ في جناتٍ وعُيونٍ وزروع ونخلٍ طَلعُها هضيمٍ وتنحتُونَ من الجبال بُيوتاً فارهِيـنْ »[٧] وقال في قوم عاد ومهارتهم في العمارة ، وضربهم في الحضارة ، وبناء المدن العامرة : « أتبنونَ بكل ريعٍ آيةً تعبثونَ وتتخذونَ مصانعَ لعلكُمْ

(١) سورة المائدة آية ٥٠ •
(٢) الاحزاب ٣٣ •
(٣) الفتح ٢٦ •
(٤) النهاية في غريب الحديث والاثر ـ ابن الاثير ج ١ ص ١٩٢•
(٥) قد تجاوزنا عن ذكر الادلة والمصادر التي تعرضت لحضـارة العرب القديمة واكتفينا بما جاء في القـرآن الكريم فانــه النص الاثبت والاوثق الذي يلتقي عنده المسلمون •
(٦) سبأ ١٥
(٧) الشعراء ١٤٦ ـ ١٤٩ •

تَخْلُدُونَ وإذا بَطشتم بطشتم جبارين فأتقوا الله وأطيعون وأتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون »(١) وقد ذكر القرآن الكريم أن تلك الامم التي خلت قد اهلكها الله لذنوبها وان عرب الجاهلية المتأخرين قد شهدوا اثار تلك الامم ومروا بها ، قال تعالى « او لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثاراً في الارض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق »(٢) ذلك كان أمر الجاهلية الاولى ، ونصيبهم من الحضارة والقوة ، أما الجاهلية الاخيرة ، فقد وصفها القرآن بأن أهلها لم يبلغوا معشار ما أوتي أسلافهم في العصور الاولى : « وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير »(٣) .

ويظهر أن العهد الجاهلي الاخير ، كان عهد تخلف حضاري واجتماعي وأضطراب سياسي ، فقد شاعت فيه العادات السيئة التي تقوم على الجور والظلم والعبودية ، وكثرت الغزوات والغارات وتفاوتت فيه أرزاق الناس تفاوتا فاحشا ، فكثر الربا والاختلاس والغش في البيع والشراء . فأذا الممنا بمجتمع متحضر كمجتمع مكة ـ حيث ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ نجد الفروق الكبيرة الواضحة . فمكة بلد تجاري ، فيه طبقة من المثرين المترفين ، الى جانب طبقة كبيرة من الفقراء والمستضعفين، وقد كان لمنزلة مكة الدينية في نفوس العرب أن يسر للقرشين ـ بأعتبارهم سدنة البيت والمشرفين على أمور الحجيج ـ موارد كثيرة ، غير ما تدر عليهم الاسواق ورحلات الصيف والشتاء ، وقد تكدست الثروة فيما يبدو بأيدي قلة شحيحة كانت تتعاطى الربا ، وتكتنز الاموال ، وتغش البيع ، وتخسر اذا كالت أو وزنت ، وكثر لذلك السائلون والمحرومون من اليتامى والبائسين . وقد وصف القرآن الكريم ما كان عليه مجتمع مكة

---

(١) الشعراء ١٢٨ ـ ١٣٤ .
(٢) غافر ٢١ .
(٣) سبأ ٤٥

من قسوة وغلظة وشح ، وحث على مساعدة البائسين والمحرومين ، وقرّع آكلي أموال اليتامى ، قال تعالى : « والذين في أموالهم حقٌ معلومٌ للسائلِ والمحروم »[١] وقال تعالى « ولا تقربوا مالَ اليتيم الاَ بالتى هي أحسنُ حتى يبلغَ أشدَّهُ وأوفوا بالعهد ان العهدَ كان مسؤولا»[٢] « ولا تقربوا مالَ اليتيمِ الاَ بالتي هي أحسنُ حتى يبلغَ أشده وأوفوا الكيلَ والميزانَ بالقسطِ »[٣] .

وقد كان الفقر والحاجة من أسباب الوأد قال تعالى « ولا تقتلوا أولادكُمْ من املاقٍ نحنُ نرزقكم وايَاهُمْ ولا تقربوا الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ »[٤] . والمجتمع الذي تضطرب فيه أمور الناس وتتضح فيه الفروق الاجتماعية تنحرف فيه الاخلاق العامة فيكثر الغش والتزوير والاستغلال في البيع والشراء ، وقد جاء قول الله تعالى في ردعهم « ويلٌ للمطففين الذينَ اذا أكتالوا على الناسِ يستوفونَ واذا كالوهُمْ أو وزنوهُمْ يخسرونَ ألاَ يظنُ أولئكَ أنهمْ مبعوثون ليومٍ عظيمٍ »[٥] .

وفي هذا المجتمع المضطرب القاسي ، كثر العبيد وبخاصة الاحباش : وهم الرقيق الاسود المستورد من أفريقية ، وقد عرف أولئك بـ (الاحابيش) واستعملوا في أكثر الحرف الشاقة والاعمال المرهقة[٦] وكانوا يقومون

---

(١) المعارج ٢٤ ـ ٢٥

(٢) الاسراء ٣٤

(٣) الانعام ١٥٢

(٤) الانعام ١٥١

(٥) المطففين ١ ـ ٥

(٦) تاريخ العرب في الاسلام ـ جواد علي ص ٥١ ـ ٥٢ وينظر المحبر ـ محمد بن حبيب ص ٣٠٦ ـ ٣٠٨ فيه فصل لابناء الحبشيات في الجزيرة العربية وكذلك كان فيها الروم والروميات وقد وردت أسماء كثير منهم في « أسد الغابة » أنظر مثلا ج ١ ص ٢١٢ ، ج ٤ص ٢٣٢ و ج ٥ ص ١٩٤ .

بحراسة القوافل التجارية القرشية ، وحالة أولئك العبيد كانت مزرية بائسة ولاسيما الذين كانوا في ملك اشخاص قساة القلوب غلاظ الاكباد .

ومن الجائز أن يكون هذا الوضع البائس القاسي مقتصرا على المدن، ولم يكن هذا أمره في البادية المحيطة بمكة ، فالنظرة المادية المرابية المتمكنة من نفوس القرشيين لم تكن - في أكبر الظن - عند العرب وسكان الضواحي ، فالنظرة للحليف والمولى عند الاعراب غير النظرة للعبيد والمستضعفين عند المكيين .

(٣)

هذا من الناحية الحضارية والاجتماعية ، أما من الناحية الاعتقادية ، فقد كان للجاهليين عقيدتهم ، بل عقائدهم الدينية المختلفة ، وقد عرف - وشاع - العهد الجاهلي بالعهد الوثنى ، عهد الشرك وعبادة اصنام من دون الله ، غير أن النظرة الفاحصة المحصة تكشف أن وثنية ذلك العهد لم تكن - كما قد يظن - اعتقادا متينا بالاصنام ، فقد كان كثير منهم ، وبخاصة الاعراب ، يسخرون منها ويهزأون[١] . ولم يكونوا يؤمنون بأن هذه الاوثان والاصنام ، خالقة مدبرة قادرة ، ولم يكن الشرك اشراكا في عبادة الله ، فالدلائل تشير - ويكفي ان يكون القرآن قد نص على ذلك - الى أن عرب الجاهلية كانوا يؤمنون بالله الواحد القوى الخالق ، الذي بيده الامر ، وكان اتخاذهم الاصنام على انها وسائط وشفاعات تقربهم الى الله ، فالشرك هنا يلحظ من تقديس اصنام تنسب لها القدرة في الشفاعة، لا الشرك في وحدانية الله . قال صاعد الاندلسي « وجميعُ عَبَدَةِ الاوثانِ من العرب مُوحِّدَة" اللهَ تعالى ، وانما كانت عبادتهم ضربا من التدين بدين الصابئة ، في تعظيم الكواكب والاصنام الممثلة بها في الهياكل ، لا على

(١) الاصنام - ابن الكلبي ص ٣٧ ط الدار في هجاء سعد الذي نفرت منه الابل .

ما يعتقده الجهال بديانات الامم وآراء الفرق ، من أن عبدة الاوثان ترى أن الاوثان هي الالهه الخالقة للعالم ، ولم يعتقد قط هذا الرأى صاحب فكرة ولا واربه صاحب العقل ، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى « مَا نَعبُدهُمْ الاَ ليقربُونا الى اللهِ زُلْفى » (١) وقد جاءت الآيات الكريمة لتدل على ايمانهم بالله الخالق القادر الواحد الرازق الذي بيده أمر كل شيء . قال تعالى : « ولئنْ سَألتَهُمْ منْ خَلَقَ السموات والارضَ ليَقُولُنَّ اللهُ » (٢) . « ولئنْ سألتُهم من خَلقَهُمْ ليَقُولُنَّ اللهُ » (٣) . « قلْ من يرزُقكم من السماءِ والارض أمَّنْ يملكُ السَّمْعَ والابصارَ ومن يُخرجُ الحَيَّ منَ الميت ويُخرجُ الميتَ من الحَيِّ ومنْ يُدبرُ الامْرَ فسيقُولُونَ اللهُ » (٤) .

وقد عبر أوس بن حجر في بيت ، عن اعتقاده بالله الذي هو أكبر من كل المعبودات ، مع اقراره بأحترام اللات والعُزى قال :

وباللاتِ والعُزى ومن دانَ دِيْنَهَا
وَباللهِ انَّ اللهَ منهُنَّ أكبرُ (٥)

وكانت العرب تعلل تقديسها الاوثان مع الاقرار بوحدانية الخالق بقولهم : « ليس لنا أهلية لعبادة الله تعالى بلا واسطة ، لعظمته ، فعبدناها [الاصنام] لتُقربنَا اليه تعالى » (٦) ومنهم من قال « جعلنا الاصنام قبلةً لنا في عبادة الله تعالى ، كما ان الكعبةَ قبلةٌ في عبادته » (٧) .

واذا ما عرفنا كيف بدأ تقديس الاصنام وعبادتها ، نستطيع أن نتفهم

---

(١) طبقات الامم ـ صاعد بن احمد الاندلسي ص ٢٤ ط الكاثوليكية بيروت سنة ١٩١٢ وأنظر سورة الزمر ٣ .
(٢) لقمان ٢٥ .
(٣) الزخرف ٨٧ .
(٤) يونس ٣١ .
(٥) الاصنام ص ١٧ .
(٦) بلوغ الارب ـ الآلوسي ج ٢ ص ١٩٧ .
(٧) بلوغ الارب ج ٢ ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .

العقلية المحافظة المكابرة التي وقفت بشدة وعنف بوجه الدين الجديد في بيئته الاولى . ذكر هشام بن محمد الكلبي قال : « وكان الذي سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجارة ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمنا منهم بها ، وصبابة بالحرم ، وحبا له ، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام »(١) .

ومن المعقول ان يغرب عن اذهان الناس تقديس الحجارة على أنها أثر من آثار الكعبة ، وذكرى لها ، فأنتقل التقديس للحجر وتطور الحجر الى صنم ، ثم تبدأ الظنون في خير هذا الصنم وشره ، وكلما أمتد الزمن وبعد العهد احيطت هذه العبادة بهالة من الغموض المقدس ، والناس أبدا تحن الى الموروث ، الذي تلفه الاسطورة ، ويكتنفه الغموض ، وقد استحكمت العادة في نفوس الناس ، فصاروا يتمسكون بها وينزلونها من نفوسهم مكانة فضلى .

ونلاحظ أن أهم بيئة رسخ فيها الدين ، وتمسك اهلها بالاصنام ، هي مكة قلعة الدين القومي ، بينما نجد أن المناطق الاخرى ، أقل حماسة لعبادة الاوثان ، وبخاصة البادية التي تنظر الى هذه العبادة نظرة غير جادة ، وكثيرا ما يثور الاعرابي على صنمه ، حينما تتضارب مصالح العابد والمعبود ، من ذلك ما يروى عن رجل من العرب ـ وتروى لأمرىء القيس أيضا ـ قتل أبوه فأراد الطلب بثأره ، فأتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالازلام ، فخرج السهم ينهيه عن ذلك فقال : (٢)

---

(١) الاصنام ص ٦ وعنه أخذ الالوسي ـ بلوغ الارب ج. ٢ ص٢٠٠ وهناك اراء أخرى ذكرها صاحب الاصنام وأكثرها وجاهة هذا الذي اثبتناه أنظر الاصنام ص ٦ وما بعدها .

(٢) الاصنام ص ٣٥ وينظر هنا تاريخ الادب العربي لنيكلسون ص ١٣٥ الاصل الانكليزي حول عدم مبالاة العربي بالدين .

لو كنتَ ياذا الخَلَصَ الموتورا

مثلي وكانَ شيخُكَ المقبورا

لم تَنْهَ عن قتلِ العُداةِ زُورَا

وأتى رجل من بني ملكان الى سعد ـ صخرة طويلة بأرضهم ـ بإبل معه يلتمس البركة ، فلما رأت الابل ما عليه من الدم المهراق ، نفرت وتفرقت في كل وجه ، فأخذ حجرا رمى به سعدا ثم أنشد[1] :

أتينا الى سعدٍ ليجمعَ شملَنَا

فشتتنا سعدٌ فلا نحنُ من سعد

وهل سعدُ الا صخرةٌ بتنوفةٍ

من الارضِ لا يُدعى لغيٍ ولارشدِ

ولكن العادة جرت ان يتبع الناس هذا الدين ، دون أن يجرأوا على الشك بجدوى هذه العبادة .

هذا شأن الكثرة من عرب الجاهلية ، وقد عُرفت في هذا العهد فئة من المستبصرين الذين كانوا يترفعون عن عبادة تلك النصب والتماثيل وكانوا يتطلعون الى دين التوحيد ، دين ابراهيم ، على أنه الدينُ المُبرأ من الشرك ، وقد عرفت تلك الفئة بـ « الاحناف » ودينهم بـ « الحنيفية ». ولم تكن الحنيفية أمتدادا أو تقليدا لليهودية أو النصرانية ، بل لم يكن بينها صلة أو وشيجة ، وأن اطلع بعض رجالها على دين اليهود أو النصارى[2] . وقد نص التنزيل على أن ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا : « ما كان ابراهيمُ يهودياً ولا نصرانياً ولكنْ كانَ حنيفا

(١) الاصنام ص ٣٧ .

(٢) على النقيض مما يبالغ بعض الكتاب النصارى (لويس شيخو ـ شعراء النصرانية في أكثر من موضع)وقد حاول أن يثبت ان أكثر الشعراء الجاهلين ممن ذكروا الله نصارى .

مسلماً »[1] وكذلك لم يكن من المشركين « ان ابراهيم كان أُمَّةً قانتاً لله حنيفاً ولم يكُ من المشركين »[2] .

وقد شهدت الجزيرة العربية اديانا أخرى ، غير الوثنية كاليهودية والنصرانية ـ ولم يكن لاتباعهما كبير أثر في الجزيرة ، بحيث لم تستطع أي منهما أن تدحر الوثنية أو أن توسع نفوذها[3] .

كما عرفت جماعة بأصحاب الدهر ، وقد حكى القرآن عقيدتهم بقوله : « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر »[4] . وهم ينكرون الخالق والبعث والجزاء ، ويرون ان العالم لا يخرب ولا يبيد والا كان مخلوقا مبتدعا[5] . قال شداد بن الاسود ابن عبد شمس يرثي كفار قريش يوم بدر[6] :

يُخبِّرُنا الرسولُ لَسَوْفَ نحيا
وكيفَ لقاءُ أصْداءٍ وهامِ

كما ظهرت عبادات أخرى كانت أقل شأنا ، وأضأل اثرا ، مثل الصابئة ، والمجوسية ، وغيرهما .

(٤)

هذه الديانات المختلفة ، من موحدة أو يشوب توحيدها الشرك ، متمسكة بدينها أو معتادة عليه ، مقدسة للوثنية أو ساخطة

---

(١) آل عمران ٦٧ .

(٢) النحل ١٢٠ .

(٣) ينظر هنا رأى بلاشير في الاحناف وعلاقتهم بالمسيحية والمانوية ـ تاريخ الادب العربي ـ العصر الجاهلي ص ٦٨ ترجمة ابراهيم كيلاني . وينظر كذلك رأى نيكلسون في الاحناف وعلاقتهم بالمسيحية ـ تاريخ الادب العربي ص ١٤٩ الاصل الانكليزي ط لندن ١٩٠٧ .

(٤) الجاثيه ٢٤ .

(٥) طبقات الامم ص ٤٤

(٦) السيرة النبوية ـ ابن هشام القسم الثاني ـ ق٢ ص ٢٩ .

عليها . وتلك الحياة الاجتماعية المضطربة المختلة ، كل ذلك يدل على ان الفترة فترة قلق ، فترة أرهاص وتطلع لشيء جديد ، تتوقعه النفوس وتهفو اليه الافئدة ، دون أن تعي تلك النفوس والافئدة ، كيف ومتى يحدث ويكون[1] .

وقد كان لذلك الارهاص أسبابه وعوامله التي ساعدت على دنو زمانه وتعجيل حينه ، من ذلك ان الفترة التي سبقت الاسلام تميزت :

أ - بوعي سياسي وميل الى التكتل في بعض الجهات « ففي منتصف القرن الخامس الميلادي ، تكونت وسط الجزيرة مملكة قبلية ، نتيجة اجتماع عدة قبائل يمانية برئاسة رئيس واحد ، وتلك هي مملكة كندة ، ولكن كان ينقصها العامل الادبي الموحد ، وتعصف بها القبلية الخطرة ، ولذلك لم تعش الا حوالى قرن »[2] . وبعد هذا اجتمعت العرب المضرية وقادتها ربيعة الى الانتصار على اليمن في موقعة خزاز ، ويعتبر ذلك من الاحداث الكبرى الحاسمة في المجتمع العربي قبل الاسلام .

ب - وكان للاسواق الاثر الفعال في توكيد الشعور المشترك ، والمشاركة العاطفية ، وتبادل الافكار ، وتصفية كثير من المشاكل والاحقاد .

ج - وكان للخطر الخارجي الذي يتمثل بأطماع الفرس والبيزنطيين والاحباش ، بالسيادة والسيطرة على الجزيرة ، أثره في بعث الشعور

---

(١) من ذلك كان تطلع الاحناف فقد روت الاخبار ان زيد بن عمرو ابن نفيل مر بأمية بن ابي الصلت فقال له « يا باغي الخير هل وجدت ؟ قال : لا ، ولم أوت من طلب . قال : ابى علماء أهل الكتاب الا أنه منا أو منكم أو من أهل فلسطين » طبقات الشعراء ص ٢٢٠ والاغاني ج ٤ ص١٢٢ ط الدار .

(٢) معجم البلدان جـ٣ ص ٤٢٨ وانظر مقدمة في تاريخ صدر الاسلام - عبدالعزيز الدورى ص ٣٤ وما بعدها .

المشترك بالمصير الواحد ، وأصدق تعبير عن أماني العرب في ذلك ، واقعة « ذي قار » والاثر الذي تركه انتصار بني شيبان في احياء المعنويات في انحاء الجزيرة ٠

د ـ ويلاحظ كذلك الحاجة الى التحالف واجتماع الكلمة ، وبخاصة في مكة ، حيث أقيم حلف الفضول للانتصاف من الظالمين ، وأنصاف المظلومين ، وهذا يعني ـ فيما يعنيه ـ الرغبة في اقامة عدالة اجتماعية ، تردع الطائشين والمتهورين ٠

هـ ـ ثم ارتباك الحالة الاجتماعية ، التي اشرنا اليها أولا ، من تفشي الاستغلال والربا والغش وأكل أموال اليتامى ٠

فكان لكل ذلك أثر ، في أن يتطلع الناس الى حركة ، تهز هذا المجتمع ، وتقضي على كل اسباب الظلم والطيش والحمية ٠

وكان مجيء الاسلام في تلك الفترة بالذات ، استجابة طبيعية لحاجة ملحة ، والاسلام من حيث العموم لم يكن غريبا عن عقلية العرب ونفسيتهم[1] ٠ وشاءت ارادة الله أن يكون الخلاصة النقية ، التي تبلورت فيها كل آمال هذه الامة ، وتمثلت فيها مطالبها النفسية ، ومثلها العليا ٠

(٥)

وجاء الاسلام ، والاسلام معناه يدل عليه ، فهو انقياد وخضوع

---

(١) ليس معنى هذا ان الاسلام كان امتدادا لفكرة منتشرة بين الناس عمل النبي على اظهارها وتوكيدها كما قد يزعم من ينكر فضل الرسول وقدسية الوحي ولكن الاسلام كان استجابة لضرورة قائمة جاءت في حينها الموقوت من لدن رحيم عليم كتب على رسوله أن يبشر وينذر ويتحمل بصبر وجلد ضروبا من الارهاق واللجاجة والاذى ٠

وطاعة لله تعالى ، قال سبحانه : « وأَنِيبُوا الى رَبِّكُمْ وأَسْلِموا لَه »(١) وقال تعالى : « فَقُلْ أسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلهِ .. »(٢) والذي أسلم وجهه لله هو المسلم ، وقد أطلق القرآن الكريم هذه التسمية على الأنبياء ومن يتبعهم ، قال تعالى :« وَوَصَّى بها ابراهيمُ بَنِيهْ ويعقوبُ يابَنِيَّ إنَّ اللهَ اصطفى لَكُمُ الدينَ فلا تَمُوتُنَّ إلا وأنْتُمْ مسلمونَ »(٣) « فلمَّا أحَسَّ عيسى منهمُ الكُفرَ قال من أنصارِي الى الله قال الحَوارِيُّونَ نحنُ أنصارُ الله آمَنَّا بالله واشْهَدْ بأنَّا مُسْلِمُونَ »(٤) « رَبَّنَا واجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ومن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لكَ »(٥) . ثم خصت في الاستعمال بالدين الذى انزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد حدد القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى : « اليومَ أكملتُ لكم دينَكُم وأتممتُ عليكُم نعْمَتِي ورَضِيتُ لكم الاسلامَ دِيْنَا »(٦) « ومَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الاسلام دِيْناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ »(٧) .

جاء الاسلام بعقيدة أساسها التوحيد ، والايمان باله واحد ، خالق قادر ، عالم بكل شيء ، فنقض الاسلام كل معتقدات الجاهلية المتعلقة بالاصنام والمعبودات ، وتعددها وتقديسها ، وقد وصف الاسلام الله سبحانه، بأنه (رب العالمين) رب كل شيء ، وليس رب قبيلة أو فئة أو أمة ، ولا

---

(١) الزمر ٥٤ . وينظر في معنى الاسلام : دائرة المعارف الاسلامية مادة (اسلام) بقلم أرنولد . والعقيدة والشريعة في الاسلام ـ جولد تسيهر ص ٤ الترجمة العربية وفجر الاسلام ص ٧٠ .

(٢) آل عمران ٢٠

(٣) البقرة ١٣٢

(٤) آل عمران ٥٢ .

(٥) البقرة ١٢٨ .

(٦) المائدة ٣ .

(٧) آل عمران ٨٥ .

رب الناس وحدهم ، وانما رب كل شيء في الوجود ، رب السموات والارض ، ومن عليها وما فيها : « لله مافي السموات ومافي الارض »[1] قد أحاط علمه بكل شيء ، وأحاطت قدرته بكل شيء : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وماتسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين »[2] إن الله بكل شيء عليم »[3] .

وقد أوضح الاسلام للناس ـ عن طريق الرسل ـ أن وراء الحياة الدنيا حياة أخرى ، فيها بعث وحساب : « ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون »[4] فيجازى كل على ما اقترفته يداه ، أو على ما قدم من احسان وبر وتقى : « يومئذ يصدر الناس اشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »[5] .

وقد نظم الاسلام حياة الناس ، فحدد واجباتهم ومسؤولياتهم ، وبين حقوقهم وعلاقاتهم بالله وبالناس ، فأكد أن المسلمين سواسية كلهم ، لا يفضل بعضهم بعضا بأي ميزة مما تعارف الناس عليها في الجاهلية ، وانما يكون التفاضل بطاعة الله ، والعمل الصالح ، وأكرم الناس اتقاهم ، قال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »[6] .

---

(١) البقرة ٢٨٤ .
(٢) الانعام ٥٩ .
(٣) التوبة ١١٥ .
(٤) المؤمنون ١٥ ـ ١٦ .
(٥) الزلزلة ٦ ـ ٨ .
(٦) الحجرات ١٣ .

وقد عني الاسلام بالضعفاء ، ودعا الى نصفتهم ومعونتهم ، ورفع من شأنهم وبخاصة النساء والأطفال واليتامى ، فضمن حقوقهم في الميراث والزواج ، كما عني بالحياة المعيشية ، فوضع حدا للفروق المادية الواسعة بين المسلمين ، فأكد الزكاة وهي في مصلحة الفقير ، كما حث على الانفاق والصدقة ،ونهى عن اكتناز الاموال ، من ذهب وفضة ، وحرّم الربا ، وكان مستفحلا في مجتمع مكة وفي المدينة ، وبخاصة عند اليهود ، وعند نصارى نجران [1] .

أما الحياة الخلقية ، فقد تناولها الاسلام بالصقل والتهذيب ، فوجه الناس نحو الآداب العامة ، وجعل من خلق المسلم الحياء وغض الابصار عن النساء ، وقد حرّم الخمر والميسر والزنا ، وأبطل انواعا مريبة من الزواج ، وجعل الزواج عقدا بين طرفين ، فحفظ كيان الاسرة وحدد عدد الزوجات ، وفضّل واحدة [2] .

وحثّ الاسلام على مراعاة الجار وحفظ حقوقه ، وجعل من شيم المسلم الصبر في البأساء ، والحلم والتسامح ، والعفو عند الاقتدار ، والعدل وحفظ الذمم ، ووفاء العهود والامانة ، والدعوة الى الاحسان والعمل الصالح ، ومحاربة الاثم والعدوان والبغي ، وقد جعل الطيش والتهور ، والتناصر بالباطل ، وحمية الجاهلية وعصبيتها ، من رذائل الجاهلية وضلالاتها .

وقد أبدل الاسلام فكرة الثأر ، الذى كان واجبا على أقارب القتيل ، فجعله حقا من حقوق الامة ، والدولة هي المسؤولة عنه ، فحوله عمليا

---

(١) فتوح البلدان ـ البلاذرى ص ٦٧ و٧٥ وكذلك تاريخ اليهود في بلاد العرب ـ اسرائيل ولفنسون ص ١٨ .

(٢) خشية ألا يعدل الازواج ولو حرصوا قال تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » (النساء ١٢٩) وقال تعالى : « فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) (النساء ٣) .

من ثأر الى قصاص ، وا ن كان قد ترك لاقارب القتيل أن يختاروا بين قتل القاتل أو قبول الدية •

وقد عنى الاسلام بالروح الجماعية للامة ، بأن اعتبر المؤمنين كلهم أخوة في الله ، وكان من تأكيده على هذه الروح ، أن فرض الاسلام صلاة الجماعة والحج ، وقد جعل الاسلام المسلمين قوة واحدة ، وأمة واحدة ، لا تفرقها الوحدة القبلية ، ولا الوحدة الجنسية ، فكان نظام المؤاخاة الذى أقرّه الرسول في المدينة ، تأكيدا للروح الجماعية ، ودفعا للروح القبلية التي لم تعد تغني شيئا أمام أخوة الاسلام ، حيث يرث الاخ في الدين أخاه دون اقربائه ، وذلك زيادة في الترابط والتضامن الديني ، وبذلك تحقق قول الله « إنّما المؤمنونَ اخْوةٌ » (١) •

وقد أدخل الاسلام فكرة الدولة والقانون ، الذى هو القرآن ، لتقوم مقام فكرة القبيلة والعرف والعادات العامة • وفكرة الدولة الخارجة عن نطاق القبيلة ، غريبة عن أذهان العرب ، الذين لم يعرفوا الطاعة الا في ظل القبيلة (٢) • وقد جعل الاسلام مفهوم الدولة يشمل الجانبين الديني والسياسي ، فلم يفرق بين دين وسياسة ، وجعل للرسول السلطة الدينية والدنيوية في آن واحد ، وجعل الحكم على أساس الشورى ، التي تحفظ مصلحة مجموع المسلمين •

هذه بعض الجوانب من تعاليم الاسلام ، التي نرى أنها ذات مساس بمُثُل الجاهلية وقيمها ، أما الجوانب الاخرى ، فلم نتعرض لها ، رغبة في حصر الموضوع فيما أثر بشعر الفترة وشعرائها •

(٦)

رأينا فيما تقدم ما كان للجاهليين ، من حضارة وفكر وعقائد ومثل

---

(١) الحجرات ١٠ •

(٢) أنظر المقدمة ــ ابن خلدون ص ١٣٤ وما حولها •

عامة ، ورأينا أن الاسلام جاء دعوة وثورة ، قلبت المفاهيم السائدة ، وغيرت المثل الرديئة الضارة ، وأقام مكان كل ذلك عقيدة وسلوكا ونظام حياة .

وقد التقى التراث الجاهلي التليد ، بالتراث الاسلامي الطريف ، وامتزج كل منهما في الآخر ، وتأثر بعض ببعض ، ونحاول هنا أن نتعرف على آثار ذلك الامتزاج في نفوس العرب وسلوكهم .

لقد جاء الاسلام لينقل العرب من عهد وثني راكد محافظ ، الى عهد اسلامي فيه حيوية وايمان وتفكير . ولم تكن هذه النقلة هيّنة ميسورة، فقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا السبيل جهودا مضنية قاسية ، ذلك أن المصالح والامتيازات القرشية في مكة ، كانت تقف حائلا دون رسالته ، فأهل الثروة والجاه ، يرون في الدين الجديد دعوة لانصاف الفقراء ، والرفق بالمستضعفين ، ودعوة للانفاق والمساواة ، وقد رأوا أن المستضعفين والفقراء والعبيد ، هم المتحمسون لهذا الدين ، فكان يقلقهم ويخيفهم أن يؤدي ذلك ، الى اضطراب الوضع الاجتماعي وتغير نظامه ، وعلى بقاء ذلك الوضع تقوم مصالحهم ومصادر ثرائهم .

وكذلك كانوا يرون في الدعوة الجديدة ، تهديدا مباشرا صريحا لمركز مدينتهم الديني . فلم يرتاحوا لدعوة تسفه معتقداتهم ، وتهاجم موروثاتهم ، وتهدد مصالحهم . هذا التيار الديني المصلحي ، كان المعارض الاول في مكة ، وقد وقف بشدة وقوة بوجه الاسلام ، حتى كانت نهايته وأندحاره عام الفتح .

وأما التيار الثاني الذى وقف بوجه الدين الجديد ، فهو التيار القبلي ، وكان من الطبيعي أن تصطدم التقاليد القبلية الموروثة ، بتعاليم الاسلام ، والجاهليون محافظون بطبيعتهم ، يحبون كل ما ورثوه عن آبائهم ، ومن الصعب أن يقنع الجاهلي بأن أباه كان على خطأ أو ضلال ،

هذه امرأة العباس بن مرداس ، تسمع بأن زوجها قد أسلم ، فتنشد معاتبة ومعنفــة [1] :

لَعَمْرِي لئنْ تابعتَ دينَ محمدٍ
وفارقتَ اخوانَ الصَّفَا والصنائعِ
لَبَدَّلتَ تلكَ النفسَ ذُلاً بعزةٍ
غداةَ اختلاف المُرْهَفَاتِ القواطعِ

وكذلك قال كعب بن زهير لأخيه بجير حين أسلم : [2]

وخالفتَ أسبابَ الهُدى وَتبعْتَهُ
على أيِّ شيءٍ وَيْبَ غيرِكَ دلَّكَا
على خُلُقٍ لم تُلْفِ أُمّاً ولا اَبَاً
عليهِ ولم تُدرِكْ عليه أخاً لكَا

وقد كان الصراع بين الاتجاهين ، القبلي والاسلامي ، قائما منذ أول الدعوة ، واستمر حياة الرسول ، وامتد الى زمان بعيد بعد وفاته عليه السلام ، وبالامكان أن نفسر كثيرا من أحداث التاريخ العربي ، في صدر الاسلام ، على ضوء تعارض هذين التيارين ، وفي مقدمة هذه الاحداث حركة الردة .

ان جهود الرسول في الحد من التيار القبلي ، والغض منه ، أنتجت الخلاصة الطيبة من المسلمين الاولين ، ومن التابعين ، الذين حملوا راية الاسلام خفاقة عالية ونشروها في الخافقين .

---

(١) الاغاني جـ ١٤ ص ٣٠٧ ط الدار .

(٢) ديوان كعب بن زهير ص ٤ ط دار الكتب المصرية وص ١ط كرنكو ـ المجمع العلمي البولوني قراقو ١٩٥٠ . ويب غيرك : هلكت هلاك غيرك .

ولكن هل انمحت النزعات القبلية ، والحمية الجاهلية ، من قلوب العرب بدخولهم في الاسلام ، وكانوا سواسية في ايمانهم ؟ ان طبيعة الحياة ، ونظم الاجتماع ، تأبى ذلك ، وسلوك بعض المسلمين وبخاصة الشعراء ، تثبت النقيض ، فالعربي الذى آمن بالاسلام ، واعتنق مبادئه ، لا يمكن أن ينقطع عن ماضيه مرة واحدة ، والتعارض بين القديم الموروث، والجديد المكتسب ، لا يزول بيسر وسهولة ، وهذا ما حصل للعرب ، فقد ظل هذا التعارض ـ حين أمتزج التياران ـ يظهر في سلوك العربي في صدر الاسلام ، واستمر دهرا طويلا من حياة الخلافة الراشدة . ولتقريب الفكرة وتصوير النزاع بين النزعتين نضرب ما تيسر من الامثلة من حياة المسلمين الاولى :

جاء في السيرة : أن وفد هوازن جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألوه أن يرد عليهم السبى ، فرد عليهم رسول الله ما طلبوه قائلا : « أما ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم » .. ووعدهم أن يسأل لهم المسلمين بعد الصلاة ، ففعل ، فقال المهاجرون : « وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم » . وقالت الانصار : « وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم » . فقال الاقرع بن حابس : « أما أنا وبنو تميم فلا » . وقال عُيَيْنَةُ بن حصن : « أما أنا وبنو نزار فلا » . وقال عباس بن مرداس : « أما أنا وبنو سليم ، فلا » . فقالت بنو سلم : « بلى ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم » . قال عباس بن مرداس لبنى سليم : « وَهَنْتُمُونِي »[1] . وتتضح هنا الروح الاسلامية المتينة ، التي لا تفسدها الاطماع عند المهاجرين والانصار ، فيؤثرون رسول

(١) السيرة ق٢ ص ٤٨٨ ـ ٤٨٩ وكان هؤلاء المعارضون من المؤلفة قلوبهم وأنظر كذلك خبر مطالبة العباس بن مرداس بغنائم يوم حنين في سمط اللآلى ص ٣٢ ، ٣٣

الله على انفسهم ، وتتضح الروح القبلية الغازية ، التي تأمل الكسب والمغنم، عند الاعراب الذين لَـمّا يرسخ الايمان في قلوبهم .

وفي غزوة حنين ، حين بوغت المسلمون بالهجوم ، لم يثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا نفر من المهاجرين والانصار وأهل بيته ، وقد ظهر آنذاك دغل النفوس ، وفسادها ، فقال أبو سفيان بن حرب: « لا تنتهي هزيمتهم [أي المسلمين] دون البحر » . وقال جبلة بن الحنبل: « ألا بطل السحر اليوم » . فقال أخوه صفوان بن أمية يردعه ، وفي ردعه أيضا روح قبلية : « اسكت فض الله فاك ، فو الله لأن يَربَّني رجلٌ من قريش ، أحبُّ الىَّ من أن يَرُبَّني رجلٌ من هوازن »[1] . لقد كان كثير من الاعراب من لم يحسن اسلامهم ، وفي اولئك كان يزيد بن كليب ابن يربوع ، كان لا يصوم رمضان فلما عاتبته ابنته قال :[2]

وتأمُرني بالصوم لا دَرَّ درُّهَا
وفي القبرِ صَومٌ يا أُمَيْمُ طويلُ

لقد كانت النزعات الجاهلية تنتظر المحك الذي يجلوها ، وقد وجدت تلك النزعات متنفسا لها في كثير من الاحداث ، من ذلك ما حدث في غزوة بني المصطلق ، حيث كسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار، فكان بينهما خصام حتى صرخ : « يا معشر الانصار » وصرخ : « يا معشر المهاجرين » . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ما لكم ولدعوة الجاهلية » . فلما ذكروا له قال : « دَعُوْهَا فأنَّها مُنْتِنَةٌ » فقال عبدالله بن أبيّ بن سلول : « لئِنْ رَجِعْنَا الى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الاذلَّ »[3] .

---

(١) السيرة ق٢ ص ٤٤٤ .
(٢) الشعر والشعراء ص ١٧٢ .
(٣) تفسير الطبري جـ ٢٨ ص ٧٣ .

ولم تكن النزعات العصبية الجاهلية وحدها التي تظهر بين حين وآخر ، بل كانت النزعات الدينية الوثنية ، تظهر أيضا ، حين تجد الى الظهور سبيلا : روى أنه في مسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ، رأوا سدرة خضراء عظيمة ، فنادى الناس : « اجعل لنا ذات أنواط ، كما لهم ذات أنواط » (١) .

وقد استمرت النزعات التي تمثل الحنين الى العهد القديم ، في حياة الرسول ، وبعد وفاة الرسول ظهرت هذه النزعات على شكل ملاحاة بين الانصار المدنيين ، والمهاجرين المكيين ، حول الخلافة ، ثم جاءت الردة لتمثل التيار الاعرابي ، فاذا ما قضى على المرتدين ، ومضى عهد أبي بكر وعمر ، ظهرت النزعات الجاهلية في شكل فتنة ضد الخليفة ، انتهت بمصرعه ، فاذا جاء علي بن ابي طالب ، كانت العصبية بين الحجاز والشام تارة ، وبين العراق والشام تارة أخرى ، وبين الاقاليم الثلاثة تارة ثالثة ، وما الفتن والاحداث ، التي كادت تعصف بكيان الدولة الاسلامية ، والتي تخطفت ثلاثة من خلفاء المسلمين ، الا نتيجة طبيعية للصراع بين القيم الجاهلية ، وبين القيم الاسلامية .

(٧)

رأينا ان الاسلام كان حدثا هز النفوس ، وأثر في نظم القوم ، ومظاهر الحياة ، وقد كان الشعر من تلك المظاهر التي تأثرت بالاسلام ، تأثيرا واضحا بارزا ، من حيث الشكل والمعنى ، ومن حيث اتجاهات الشعر وموضوعاته ، صحته وزيفه ، ضياعه أو ابادته ، كل ذلك من اثر الدين الجديد . ولننظر أولا كيف وقف الاسلام من الشعر (٢) ، حتى يمكن على ضوئه تفسير كثير من مظاهره .

---

(١) السيرة ق٢ ص ٤٤٢ .

(٢) ينظر تفصيل ذلك في كتاب الاسلام والشعر - يحيى الجبوري .

نستطيع أن نتبين النظرة الدينية للشعر ، من خلال الآيات القرآنية، وحديث الرسول ، ومواقف الصحابة خلفاء الرسول ، بأعتبارهم ممثلي السلطة الدينية والدنيوية بعد الرسول صلى الله عليه وسلم •

لقد اتخذ الاسلام من الشعر مواقف تنسجم وطبيعة المرحلة التي شهدتها الدعوة ، والمواقف الاسلامية تلك كانت منبثقة من ظروف الدعوة نفسها • فنجد أن الدين قد ذم الشعر والشعراء ، وهوّن من اقدارهم في الفترة الاولى ، فترة البدء بنشر الدعوة ، حين كان الشعر يهاجم الدين وينتقص منه ، ويرمى المرجمون الرسول بأنه شاعر ، وقوله الشعر ، فهو سلاح من اسلحة الشرك ، ثم يكون الاسلام مشجعا وموجها للشعر والشعراء ، وذلك حين اتيح للمسلمين أن يتخذوا الشعر سلاحا من اسلحة الحرب ، يقاتلون به اعدائهم المشركين ، الذين شهروا بوجوههم السلاح ذاته •

أما بعد الفتح ، وقهر قريش العدو الاول ، فيكون الشعر قد أنهى مهمته الحربيةوانتهى دوره في الهجاء ، فقريش عدو الامس قد اصبحت بعضا من المسلمين ، وقد عاد اجترار الشعر الذى تقاذفت به مكة والمدينة ، خطرا حظره المسلمون ، لانه يثير الضغائن والاحقاد التي عفىّ عليها الاسلام •

لذلك كله لا يصح ان يقال ان الدين قد غَضّ من الشعر ونهى عنه ، كما لا يصح أن يقال انه شجع الشعر دون توجيه وتهذيب ، بل لا يمكن قطعا أن ينظر للشعر - من الوجهة الدينية على الاقل - بمعزل عن الاحداث ، ولننظر مصداق ذلك من هذا العرض السريع •

اذا نظرنا في كتاب الله ما جاء من ذكر الشعر والشعراء ، نجد أن القرآن الكريم ينزّهُ الرسولَ عن قول الشعر ، ويرفعه عن ان يكون شاعرا ، وقد ردّ القرآن على مزاعم المشركين ، الذين زعموا أن القرآن

شعر ، أو ضرب من الشعر ، قال تعالى : « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وما يَنْبَغِي له ان هو الا ذِكْرٌ وَقُرآنٌ مبين »[١] وقال تعالى : « بل قالوا أضغاثُ احلامٍ بل افتراهُ بل هُوَ شاعرٌ »[٢] . « ويقولونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لشاعرٍ مجنونٍ »[٣] « أم يقولونَ شاعرٌ نَتَربَّصُ به رَيْبَ المَنُونِ »[٤] « وما هُوَ بقولِ شاعرٍ قليلا ما تُؤْمِنُونَ »[٥] ولعل الحكمة في تنزيه الرسول عن قول الشعر وعن أن يكون شاعرا ، أن الله سبحانه وصف الشعراء بالطيش والسفه وبأنهم قوالون غير فعالين «والشُّعراءُ يَتَّبِعُهُمْ الغاوون ألم ترَ أَنَّهُمْ في كلِ وادٍ يهيمونَ وأنَّهم يقولون مالا يفعلونَ »[٦] . والشعراء معروفون منذ القدم بالغلو والكذب ومجاوزة الحق في مديحهم وهجائهم ، وتلك صفات بَرأ اللهُ رسله منها . وقد ذكر السيوطي تعليلا ـ لا يخلو من وجاهة ـ في سبب تنزيه الرسول عن قول الشعر ، قال : « إن علماء العَروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الايقاع ، الا أن صناعة الايقاع تقسيم الزمان بالنغم ، وصناعة العروض تقسيم الزمان بالحروف المسموعة ، فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الايقاع ، والايقاع ضرب من الملاهي ، لم يصلح ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما أنا مِن دَدٍ ، ولا دَدُ مِنِّي)[٧] .

---

(١) يس ٦٩ .
(٢) الانبياء ٥ .
(٣) الصافات ٣٦ .
(٤) الطور ٣٠ .
(٥) الحاقة ٤١ .
(٦) الشعراء ٢٢٤ ـ ٢٢٦ .
(٧) المزهر ـ السيوطي جـ٢ ص٢٩١ ط السعادة وجـ٢ ص ٤٧٠ط دار احياء الكتب .

والقرآن الكريم يستثنى ـ في تمام الاية ـ الشعراء الصالحين : « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون »[1] فقد حدد القرآن الكريم ، الشعراء الغواة ، والشعراء الصالحين ، الذين كتب لهم النصر بعد الظلم .

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى عنه أنه ذم الشعر ، وهوّن منه ، ونهى عن رواية بعضه ، وهذه الروايات قليلة معدودة ، ورويت عنه ايضا أخبار كثيرة ، فيها اعجاب بالشعر واقبال على الشعراء ، وتشجيعهم واستنشادهم ، فقد روى عنه عليه السلام ، أنه قال : « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه ، خير من أن يمتلىء شعراً »[2] كما جاء عنه انه توعد الشعراء الهجائين الذين ينهشون اعراض الناس بالباطل ، قوله : « من قال في الاسلام هجاء مقذعاً ، فلسانه هدر »[3] . وهذا منسجم مع ما جاء في القرآن ، من ذم ضرب من الشعر ، وتنزيه الرسول عن كونه شاعرا ، ولو كان الرسول شاعرا ، لنسب العرب فضيلته وحجته البالغة الى تأثير الشعر ، لا الى فضل الرسالة، ولا يكون اذ ذاك الكلام الذي يلقى اليه وحيا من عند الله ، بل الهاما من شيطان الشعر ـ وما أكثر شياطين الشعراء ـ . ولأمر ما كانت الحكمة في أن الرسول ما روى بيت شعر كاملا صحيح الوزن[4] ، واذا وردت

(١) الشعراء ٢٢٤ ـ ٢٢٧ .

(٢) العمدة ـ ابن رشيق جـ١ ص ٣١ ـ ٣٢ ودلائل الاعجاز ـ عبدالقاهر الجرجاني ص١٣ ط٣ دار المنار .

(٣) العمدة جـ٢ ص ١٧٠ .

(٤) الاغاني جـ١٥ ص ١٤٢ . ط ساسي وأنظر أيضا امثلة من ذلك في السيرة ق٢ ص ٤٩٤ والعمدة جـ١ ص ٣٢ .

بعض الابيات ، ـ اذا صحت روايتها ـ صحيحة ، فهي الى النثر أقرب منها الى الشعر(١) .

هذا وجه ، أما الوجه الثاني ، فقد جاءت عنه صلى الله عليه وسلم أحاديث فيها ثناء على الشعر الجيد ، وتقدير اثره في نفوس العرب ، من ذلك قوله : « لا تَدَعُ العربُ الشعرَ حتى تدع الابلُ الحنين »(٢) . فالرسول ينظر للشعر على أنه ملكة فنية اشتهر بها قومه وأحبوها وأثرت في نفوسهم وأذواقهم ، ثم ان من الشعر كلاما طيبا رفيعا يوافق الحق ، وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّما الشعرُ كلامٌ مؤلَّفٌ ، فما وافقَ الحقَ منه ، فهو حَسَنٌ ، وما لم يوافق الحق منه ، فلا خَيْرَ فيه » . وقال : « انما الشعرُ كلامٌ ، فمِن الكلام خبيثٌ وطيِّبٌ » (٣) .

فالاصل في الشعر والفضل فيه أن يوافق الحق ، وقد كان الرسول حريصا على ان يتجه الشعر نحو تمثل المفاهيم الاسلامية ، ونشر المثل الجديدة ، التي تنأى عن ضلالات الجاهلية وعصبياتها ، وكان الرسول يوجه الشعراء هذه الوجهة ، ويدفعهم اليها دفعا ، ويحذرهم من اتباع الهوى القديم .

أما أصحاب رسول الله وخلفاؤه ، فقد كانت مواقفهم من الشعر والشعراء مستمدة من مواقف الرسول ومصلحة المسلمين ، وما كان

---

(١) العقد الفريد ـ ابن عبد ربه جـ٥ ص ٨٢ وجـ٦ ص١١٥ـ١١٦ط العريان .

(٢) العمدة جـ ١ ص ٣٠ . وحول مكانة الشعر في نفوس العرب وحياتهم يراجع قول ابي هلال العسكري في الصناعتين ص ١٠٤ وما نقله الجاحظ في كتاب الحيوان جـ ١ ص ٣٦ ط مصر .

(٣) العمدة جـ ١ ص ٢٧ وينظر رأى الرسول في الشعر أيضا في دلائل الاعجاز ـ الجرجاني ص ١٣ ـ ٢٠ .

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفين ولا معرضين عن الشعر ، يروى أن الحسن البصري سئل يوما « أكان اصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزحون ؟ قال : نعم ويتقارضون من القريض وهو الشعر » (١) . فما كان اصحاب الرسول متزمتين ، ولا متحرجين مما يتعاطاه الناس من بليغ القول ، وطيب الشعر ، ولم يكن الاسلام ليقطع بينهم وبين آداب الجاهلية وأشعارها ، ما دامت في حدود ما أباحه الاسلام، وضمن مكارم الاخلاق . قال أبو سلمة : « لم يكن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتَحَزِّقِيْنَ ولا مُتَمَاوتِين ، كانوا يتناشدون الاشعار ، ويذكرون أمر جاهليتهم ، فاذا اريد أحدهم على شيء من أمر دينه ، دارت حماليق عينية كأنه مجنون »(٢) .

بل وكانوا يتناشدون الاشعار على مسمع ومرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حكى جابر بن سمرة قال : « جالست رسول الله صلى اللهعليه وسلم أكثر من مائة مرة ، فكان أصحابه يتناشدون الاشعار في المسجد ، وأشياء من أمر الجاهلية ، فربما تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٣) . ولِمَ لا ألم يكن رسول الله يسمع الشعر ، ويعجبه منه ما كان دعوة الى مكرمة وتغنيا بفضيلة ؟ ألم يعجب بقول عنترة :

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظلُّهُ
حتى أنالَ به كريمَ المأكلِ

حتى انه عليه السلام قال : « ما وُصِفَ لي اعرابي قَطُّ فأحببت

(١) الفائق في غريب الحديث والاثر ج٢ ص ٣٣٩ .

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٢٧٥ .

(٣) الطبقات الكبير ـ ابن سعد ج١ ق٢ ص ٩٦ ط ليدن سنة ١٣٢٢ هـ .

أن أراه ، الا عنترة »[1] . وقد اقتدى به خلفاؤه الراشدون ، وأهتـدوا بهديه ، فكانت نظرتهم للشعر نظرة رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] .

(٨)

جاء الاسلام ثورة على عهد جاهلي ، فغير كثيراً من نظمه ومثـله ، وأقام مقامها مثلا ونظما تختلف عنها اختلافا كبيرا . وكان الشعر قبـل الاسلام يستمد عواطفه وقيمه من تلك المثل والنظم ، وقد ابطل الاسـلام دواعي ونزعات الجاهلية ، فصار على الشعر أن يستمد معانيه وأغراضـه من طبيعة الظرف الجديد . فوفق حينا وخاب في أكثر الاحايين . وقـد كان لتلك الخيبة اثرها في خمول الشعر وضعفه ، اذا ما قيس بشعر العصر الجاهلي ، وعلينا هنا أن نستعرض ما يذكر من اسباب وعـوامل أدت الى ضعف الشعر :

١ ـ الشعر والفتـوح :

لقد كان قول عمر بن الخطاب ، وتعقيب ابن سلام ، عماد كل من نظر في ضعف الشعر وحاول تعليله[3] . وقول عمر في ذلك مشـهور : « كان الشعرُ علمَ قوم لم يكن لهم علم اصحُ منه » . ويقول ابن سلام :

---

(١) الاغاني جـ٨ ص ٢٤٣ط الدار .

(٢) وردت أخبار كثيرة في اقبال الصحابة على الشعر وحفظه وانشاده والحكم على جيده وبخاصة ابو بكر وعمر . ينظر بعض ذلك في ادب الكتاب ـ الصولى ص ١٩٠ ط الاثري والبيان والتبيين جـ١ ص ٢٤١ ط هارون والاغاني جـ ١٠ ص ٢٨٨ .

(٣) ينظر في ذلك ما كتبه كل من الاساتذة ، الدكتـور الحاجري ـ تاريخ النقد والمذاهب الادبية ص ٤٨ . والبهبيتي ـ تاريخ الشعر العربي ص ١١٤ والبصير ـ عصر القرآن ص ٦٥ . والكفراوي ـ الشعر العـربي بين الجمود والتطور ص ٤٠ وغيرهم .

« فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته »[1] .

٢ ـ القرآن وانشغال الناس به :

ويقول ابن خلدون ، ذاكرا سبب ضعف الشعر ، وانصراف الشعراء عنه : « ثم انصرف العرب عن ذلك [أي الشعر] أول الاسلام بما شغلهم من أمور الدين والنبوة والوحي ، وما أدهشهم من اسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ، ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة ، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وأثاب عليه ، فرجعوا حينئذ الى ديدنهم منه »[2] .

٣ ـ انصراف الشعراء عن قول الشعر :

والفكرة الشائعة من عدم تشجيع الدين للشعر ، دفع الشعراء الى الانزواء والتحرج من النظم ، وبخاصة أولئك الذين ملأ الايمان قلوبهم ، فهم يخشون أن يكونوا من الشعراء الذين عناهم القرآن في قوله : « والشُّعراءُ يَتَّبِعُهم الغاوون ألم ترَ أنَّهم في كل وادٍ يهيمون وأنَّهم يقولون ما لا يَفْعَلونَ »[3] . ومن ذلك ما يلاحظ أنّ شاعرا مثل لبيد يترك الشعر ويلوذ بالصمت ، ويلاحظ كذلك أن شعر حسان قد اصابه اللين ، « لأنه دخل في باب الخير وترك طريق الفحول من هجاء ومديح وتشبيب وفخر »[4] .

---

(١) طبقات الشعراء ـ ابن سلام ص ٢٢ .

(٢) المقدمة ص ٥٨١ .

(٣) الشعراء ٢٢٤ ـ ٢٢٦ .

(٤) ينظر في ذلك رأى الاصمعى في الموشح ـ للمرزباني ص ٦٥ ط السلفية .

٤ ـ ابطال الدوافع الجاهلية :

ثم أن الاسلام قد حرم أكثر الاعمال التي يجود فيها الشعر ، وتنشط لاجلها القرائح ، كشرب الخمر ، ومغازلة المرأة ، والفخر الكاذب ، والهجاء ، المقذع[١] . ثم ان التشجيع الذى كان يلقاه الشعراء من الملوك والامراء ، قد حلَّ محله حزم عمر بن الخطاب وزجره ، عن المديح الكاذب والهجاء المقذع ، ومما يلاحظ أيضا ، أن الرسول الكريم لم يصطنع الشعراء لنفسه ، بل وجههم لبث الدعوة وتثبيت قواعد الدين . « والناحية الروحية والمعنوية من الاسلام لم تزل اذ ذاك في مستهلها ولم تكن قد نفذت بعد الى قلوب المسلمين في شكل قوى ملهم يفجر ينابيع الفن الرفيع »[٢] .

هذه أهم الاسباب التي تقدم في ضعف الشعر ، ولاشك ان بعض هذه الاسباب صحيح ، فقد اصاب عصر المخضرمين شىء من الضعف والهزال ، ولأنَ شعرُ الشعراء ، وأن الدواعى القديمة قد انقرضت أو كادت ، الا ان الذى يلاحظ مع كل ذلك ، ان الاسلام لم يقف ـ كما يبدو لاول وهلة ـ من الشعر موقف العائق المضطهد ، (ولو أنه عاق ضروبا من الشعر لا تتفق ومبادىء الاسلام) فالدين قد شجع الشعر ، وأصطنعه سلاحا من اسلحته ، ودفعه في سبيله . وقد اتيحت للشعر في هذا العصر مجالات جديدة ، كانت كفيلة ان تجعله يينع ويزدهر ، وأول تلك المجالات النقائض بين المسلمين والمشركين ، ثم تمثيل الروح الديني الجديد حيث كان الاسلام يحث اليه . وعلى كل حال فان ما يلاحظ على الشعر من فتور نسبة الى شعر العصر الجاهلى كان نتيجة طبيعية للصراع الشديد بين مثل الاسلام ومثل الجاهلية .

---

(١) تاريخ النقد والمذاهب الادبية ـ الدكتور الحاجرى ص ٥٠ .

(٢) دراسات في الادب الاسلامي ـ الاستاذ خلف الله ص ٤٧ وجاءت كلمة (الرفيق) بدلا عن (الرفيع) وهي خطأ مطبعي بلاشك .

(٩)

وكان للاحداث الكبرى التي شهدها العصر ، أثر فيما آل اليه الشعر من الطمس والضياع ، والنحل والتزيد ، فالفترة مليئة بالاحداث الهامة الكبرى ، وفي غمرة الاحداث هذه ، يتعرض الشعر وكل الظواهر الادبية ، الى الطمس والضياع . واذا استعرضنا الاحداث التي تتابعت سريعا ، نجد ان الاسلام قد لقى عداء شديدا ونضالا عنيفا من مشركي قريش ، ومن والى قريشا من الثقفيين والاعراب واليهود ، ولم يكن العداء هينا يسيرا ، فقد قدم الفريقان لاجله من الضحايا العدد الكبير ، وخلف الضغائن والاحقاد ، وأستمر النزاع طويلا نيف على العشر سنين ، وقد كاد الخطر يحدق بالاسلام والمسلمين ، حتى قيض الله لدينه ان ينتصر على معقل الشرك وأهله في الفتح ، ثم في حنين والطائف ، ولم يكد يطمئن المسلمون الى درء الخطر والقضاء عليه ، حتى اصيبوا بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجوبهوا بتحدٍ جديد وخطر رهيب من قبل القبائل التي اعلنت ردتها وتمردها على سلطان المسلمين ، المتمثل في خلافة أبى بكر ، وكان أن اعلن أبو بكر الحرب ، وجابه المرتدين بحزم وشدة ، وكادت معركة اليمامة أن تهدد المسلمين بفناء أكثر الحفاظ ، وما ان قمعت حركة الردة ، حتى توجه المسلمون نحو الفتوح ، وقبل ان يكتب لهم الطمأنينة على أمر دينهم ، والاستقرار في دور الهجرة ، حتى اشرأب عنق الفتنة وتطاول شرها واستفحل ، فتخطفت ثلاثة من أمراء المسلمين ، هم عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي ابن ابى طالب ، رضوان الله عليهم جميعا .

ومن الطبيعي ان يتأثر الشعر بهذه الاحداث الجسام ، فيضيع منه الكثير ، ولعل ابن سلام كان ينظر الى هذه الاحداث ، عندما قال معقبا على قول لعمر بن الخطاب : « فجاء الاسلام فتشاغلت عنه [أي الشعر] العرب

وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الاسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالامصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا الى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك ، بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير »[1] . نعم « فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير » . وضياع الشعر عامة ـ الجاهلى منه والاسلامي ـ أمر يؤكده النقاد القدامى ، فأبن سلام يذكر في موطن آخر من كتابه[2] ، قلة ما بقى لطرفة وعبيد بأيدى الرواة والمصححين . ويقول أبو عمرو ابن العلاء : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثير »[3] .

واذا عرفنا أن الشعر الذى قاله شعراء مكة ، وغير شعراء مكة من خصوم الاسلام ، كان يهاجم الرسول واصحابه ، والدين الاسلامي ، ثم يشاء الله ان يكون النصر لدينه ولرسوله ، ويدخل الخصوم طوعا أو كرها في رحاب الاسلام ، اذا عرفنا ذلك ، ادركنا أن لابد أن يعمل الناس على تجنب ما قيل من الشعر الذي يمثل عهد الحرب والدماء والصراع بين الكفر والايمان . ثم ان ولاة المسلمين قد نَهَوْا عن رواية الشعر الذي تراد به أهل مكة والمدينة . فعمر بن الخطاب كان حازما في منع ما قيل ، دفعا للتضاغن والاحقاد ، وبث القبيح . واذا تيسر للانصار فدونوه وجددوه حمية وعصبية[4] ، فما كان لقريش أن تفعل ذلك وقد تغير بها الزمان ،

---

(١) طبقات الشعراء ص ٢٢ .

(٢) طبقات الشعراء ص ٢٣ .

(٣) الخصائص ـ ابن جنى جـ١ ص ٣٨٦ط الدار وطبقات الشعراء ص ٢٣ .

(٤) جاء في الاغاني : ان عمر بن الخطاب قال بعد ان حدث ما حدث بين حسان بن ثابت وبين غريميه عبدالله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب: «اني كنت نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئا =

وتبدل وجه الدنيا ، فشعرها كان يحارب الله ورسوله ، ثم قد ثابت فآمنت بالله ورسوله ، فالشعر الذي كان مفخرة عصبيتها بالامس ، أصبح اليوم سبة وعارا تتوارى منه ، وتعمل على دفعه والتخلص منه . ثم ان المسلمين لا يرضيهم حفظ شعر فيه تعريض برسول الله واصحابه ، فكان طبيعيا أن يعملوا على طمسه وأبادته ، أضف الى ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان قد نهى عن رواية اشعار بعينها (١) .

وحتى الشعر الذي وصل الى الرواة في العصور الاولى ، وفيه تعريض برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ، فقد تحرجوا من روايته وأسقطوه من مدوناتهم ، وكثيرا ما نجد في السيرة تعقيبات لابن هشام ، يذكر فيها أنه اسقط ابياتاً من القصائد والمقطعات ، نال الشعراء فيها من رسول الله واصحابه ، أو ان الشاعر قد أقذع فيها ، ولذلك فليس من الغريب أن نجد شعر قريش ، أو شعر مكة ، خلوا من ذكر الدين الاسلامي ، ومن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم . ـ الا في القليل النادر ـ وقد يلتبس لاجل ذلك هذا الشعر بشعر الايام ـ ايام العرب في جاهليتها واسلامها ـ لولا ما في شعر الفترة من ذكر للمواقع والرجال.

(١٠)

واذا كان كثير من الشعر المتعلق بأحداث هذه الفترة قد ضاع ، نتيجة الصراع بين مكة والمدينة ، ولحركة الفتوح والتوسع فللأسباب

= دفعا للتضاغن عنكم وبث القبيح فيما بينكم ، فاما اذا أبوا فاكتبوه واحتفظوا به » .. قال الراوى « فادركته والله وأن الانصار لتجدده عندها اذا خافت بلاه » الاغانى جـ٤ ص ١٤١ط الدار .

(١) مثل شعر أمية ابن ابن الصلت في هجاء المسلمين وبكاء قتلى بدر من المشركين وعلينا أن نحذر هنا من الغلو في تقدير ما منع الرسول ، فقصيدة أميه هذه مدونة في السيرة ويبدو أن الرواة دونوها فيما بعد حيث زالت ظروف منعها ينظر في السيرة ق٢ ص ٣٠ ـ ٣٢ .

نفسها ، مضافا اليها العصبية ـ التى بقيت قوية مستمرة في حياة المسلمين ـ كان احتمال الشك والتزوير في شعر الفترة • فان ما بقى من هذا الشعر لا يصح أن يؤخذ على انه صحيح لا ريب فيه ، كما أنه لا يصح أن يرفض على انه باطل لا نفع به ولا خير فيه ، وانما يؤخذ هذا الشعر بالتنقية والتنقيح والتمحيص ، فمنه الصحيح الذي لا غبار عليه ، وقد وثقته الرواة وصححه الناقلون ، ومنه الفاسد المصنوع ، ويتضح زيفه بالفحص والتمحيص ، وان استجلاء الشعر الصحيح من الشعر الفاسد ، مهمة غير يسيرة ، وذلك أن كتب السيرة على العموم ، أقرب الى القصص منها الى التاريخ ، وطبيعة القصص ، تحتمل التزيد ، بل يجملها المثل المصنوع والشاهد الملفق ، وقد فطن لذلك الرواة العلماء ، فنبهوا الى ما فيها من شعر مصنوع منحول • وفي كتاب السيرة لابن اسحق ـ وهو من أهم وأقدم الكتب التي اعتنت بأحداث هذه الفترة ـ كثير من مثل هذا الشعر، فعمل ابن هشام على استدراكه على ابن اسحق ، وأسقط كثيرا منه ، وبين زائفه ، وذكر نقد العلماء له • وابن اسحق نفسه كان قد نبه الى ما في كتابه من منحول الشعر ، فأعتذر بانه لا علم له بالشعر ، يحمل منه الجيد والردىء ، قال : « لا علم لي بالشعر أوتى به فأحمله »[1] • ولم يرض ابن سلام بذلك عذرا ، فقال : « ولم يكن له ذلك عذرا ، فكتب في السيرة اشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط ، وأشعار النساء فضلا عن الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ، فكتب لهم اشعارا كثيرة ، وليس بشعر ، انما هو كلام مؤلف معقود بقوافٍ ، أفلا يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ آلاف من السنين ؟ والله تبارك وتعالى يقول : « فَقُطِعَ دابِرُ القومِ الذين ظَلَموا » أي لا بقية لهم[2] •

(١) طبقات الشعراء ص ٩

(٢) طبقات الشعراء ص ٩

ونقد ابن النديم ابن اسحق أيضا فقال « ويقال : كان يُعمل له الاشعار ويُؤتى بها ، ويسأل أن يدخلها في كتابه السيرة فيفعل ، فضمن كتابه من الاشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر »[1] • وقد عمل ابن هشام على تعقب ابن اسحق ، فأختصر بعض ما أورده ابن اسحق ، ونقد بعضه الآخر ، ونبهعليه ، وذكر روايات أخرى ، فاتَ ابن اسحق ذكرها • ومع أن ابن هشام كان يسقط مالا يصح عنده من الشعر ، فقد كان يثبت أشعارا منحولة مما اثبت ابن اسحق دون أن يخرم منها شيئا ، ثم ينبه عليها بأن يقول : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لفلان ، أو انها لم تصح •• وهكذا •

واذا كان ابن سلام قد فتح للنقاد طريقا يؤدي ـ اذ أُحسِنَ الفهمُ والقصد ـ الى تصحيح الخطأ ، ورد المنحول ، فانه كذلك يذكر أن : « ما اتفقوا [أي العلماء] عليه [أي الشعر] فليس لاحد أن يخرج منه »[2] •

ثم ان من الشعر ما تُرجحُ صحتَهُ الاسانيد ، وأكثر الشعراء المخضرمين حظا من هذا الضرب في الروايات المسندة ، هو حسان بن ثابت، ومرد ذلك الى صلة حسان برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشعره في الاحداث الاسلامية •

من هذا يتضح أن شعر الفترة ، قد تعرض للضياع والشك ، وذلك من طبيعة الفترة والاحداث التي شهدتها • والمنهج الصالح القويم ، يقوم على أخذ ملاحظات النقاد القدامى بأهتمام بالغ ، اذ لا يمكن أن يركن الى شعر نبه على بطلانه الثقات من الاقدمين ، وعلى الباحث ـ اذا توخى الدقة والاطمئنان ـ أن يعرض الشعر على الحدث التاريخي ، فاذا استجاب

(١) الفهرست ـ ابن النديم ص ١٣٦ط المكتبة التجارية بمصر •

(٢) طبقات الشعراء ص ٦

له قبله والا رفضه ، وان يقارن شعر الشاعر بما ثبت وصح من شعره ، فاذا وافقه كان منه والا صد عنه .

ولابد من الحذر ، فكما يطلب الحذر من الفاسد المصنوع ، عليه أن يحذر من الغلو والاسراف في تقدير المنحول المصنوع ، ومن اتباع الهوى الذى تحبيه لذة التشكيك .

(١١)

وما دامت دراستنا تتناول شعر المخضرمين ، فعلينا ان نقف على معنى الخضرمة ، وحد المخضرم ، وكيف ذهب بهما الاستعمال .

لقد وردت مادة (خضرم) (خ.ض.ر.م.) في كتب العربية تحمل معاني عدة ، فمن ذلك :

١ ـ الكثرة والسعة :

وردت الكلمة في معنى الكثرة والسعة ، جاء في اللسان (بِئْرٌ خِضْرِم كثيرة الماء ، وماء مُخَضْرَم وخُضارِم كثير)[(١)] وجاء في القاموس : (الخضرم كزبرج ، البئر الكثيرة الماء ، والبحر الغطمطم، والكثير من كل شيء)[(٢)] .

وقالوا : كل شيء واسع خضرم . والخِضْرِم : الجواد الكثير العطية[(٣)] .

٢ ـ القطع :

وقد وردت في معنى القطع والوسم ، يقال : (ناقة مُخَضْرَمَة ، قُطِعَ طرفُ أُذُنِها ، والخضرمة قطع احدى الاذنين ، وهي سِمَةٌ

(١) لسان العرب ـ جمال الدين ابن منظور مادة خضرم جـ١٥ص ٧٤ وما بعدها .

(٢) القاموس المحيط ـ مجد الدين الفيروز أباذى ط٢ جـ٤ ص١٠٨.

(٣) اللسان نفس المادة .

الجاهلية)[١] • وقال الاصمعي : (اسلم قوم على ابل فقطعــوا آذانَها ، فسُمِّيَ كل من أدرك الاسلام والجاهلية مخضرما)[٢] •

٣ ـ الهجــين :

وجاءت الكلمة بمعنى الهجين ، والمختلط النسب ، والذي لا تعرف حقيقةُ اصله ، قالوا : « رجل مخضرم : أبوه ابيضُ وهو أســودُ •• وناقص الحسب •• ودعى •• ومختلط النسب •• ولا يُعرف ابواه •• والذي ولدته السَّرارِي »[٣] •

٤ ـ المدرك لعصرين ـ الشاعر :

وقد قصد بالكلمة من ادرك عهدين ، فقالوا : « رجل مخضــرم اذا كان نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الاسلام ، وشاعر مخضــرم أدرك الجاهلية والاسلام ، مثل لبيد وغيره ممن ادركهما »[٤] • وهــذا المعنى هو الذي نريد هنا •

واذا حاولنا أن نربط بين المعاني السابقة المتصلة بالسعة والقطــع والهجنة والخلط ، وبين الشاعر الذي شهد عصرين مختلفين ، هما عصر الجاهلية وعصر الاسلام ، نجد أن الصلة بين الماء المتناهي في الكثــرة والسعة ، وبين المعنى الذي نريد ، هو أن الرجل قد استوفي الامــرين ،

---

(١) اللسان مادة خضرم •

(٢) المعارف ـ ابن قتيبة ص ٢٤٩ ط١ الاسلامية بمصر ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م •

(٣) اللسان والقاموس المحيط واساس البلاغة في نفس مادة خضرم وقد ورد في الكلمة (مخضرم) على صيغة اســم الفاعل ايضا • كما وردت بحاء غير معجمة (محضرم) وهي من الحضرمة اي الخلط ، وهذا الاستعمال قليل • وللكلمة معان أخرى بعيدة عن المعنى الذي نريد كالزبد المتفــرق من البرد ، واللحم الفاسد المتغير لونه • ينظر في اللسان والقاموس المحيط وتاج العروس جـ٨ ص ٢٨٠ •

(٤) لسان العرب مادة خضرم •

أمر الجاهلية وأمر الاسلام ، فكان واسعَ العمر ، كثيرَ المشاهد ، فالسعة هي الصلة الجامعة بين المعنيين . وأما القطع : نصلته واضحة ، فالمخضرم الذى ادرك خضرمة الجاهلية وخضرمة الاسلام ، قريب الصلة بالشاعر الذي شهد عصرين ، فكأنه قطع عن الكفر الى الاسلام(١) .

ومعنى الـهُجْنَة وارد ايضا . فكأن المخضرم قد اتخذ الاسلام له اصلا ومفخرة ، ولا يمكن ان يفَا خرَ بدين الجاهلية ، كما لا يفتخر الهجين بأصله المغموز . وكذلك يقال في معنى الخلط ، فقد خلط المخضرمون عهدين مختلفين .

وبقى في النفس سؤال : من هو الشاعر المخضرم ؟ هل هو كل من شهد عهدين مختلفين وحسب ، أم هناك تحديد لذلك ؟

يقول ابن قتيبه : « وانما يكون مخضرما اذا ادرك الاسلام وهو كبير ، فلم يسلم الا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم »(٢) . ولم يرد هذا التحديد عند غيره ، وهو في هذا يسقط من مفهوم المخضرمين الشعراء الذين أسلموا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم كثرة المخضرمين ، وابن قتيبه يعتمد في هذا - على ما يبدو - على اصطلاح اهل الحديث في تعريف المخضرم ، فقد قال السيوطي في شرح التقريب : « المخضرم في اصطلاح أهل الحديث هو الذي ادرك الجاهلية وزمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره »(٣) ويفرق السيوطي بين أصطلاح أهل الحديث ، وأصطلاح اهل اللغة ، في تعريف المخضرم ، فيذكر أن المخضرم عند اللغويين ، هو الذي عاش نصف عمره في الجاهلية ، ونصفه في الاسلام ، سواء أدرك الصحبة أم لا (٤) .

---

(١) المزهر - السيوطى جـ١ ص ١٧٣ ط السعادة .
(٢) المعارف ص ٢٤٩
(٣) نقلا عن خزانة الادب - البغدادي جـ١ ص ٢٤٥ .
(٤) خزانة الادب جـ١ ص ٢٤٥ .

ويشترط بعض المُحْدثين[1] في الشاعر المخضرم ، أن يتأثر شعره بالاسلام ، أما من لم يتأثر كالخنساء ولبيد وغيرهما ، فعنده انهم غيرُ مخضرمين ، وهذا لا يصح ، لا نالتسمية مطلقة دون تحديد . ولعله ـ ومن تابعه في ذلك ـ لاحظوا ان ابن سلام قد درج أسماء بعض المخضرمين في مراتب الشعراء الجاهلين ، لانه لم يجد الاثر البارز الذي يميزهم عن شعراء الجاهلية ، وابن سلام يعد المخضرمين في الجاهلين تارة ، وفي الاسلاميين تارة اخرى قال : « ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية ، والاسلام ، والمخضرمين ، فنزلناهم منازلهم »[2]

وقد تُوسعَ في اطلاق تسمية المخضرمين ، على كل من ادرك دولتين وشهد عصرين ، كرؤبة بن العجاج ، وحماد عجرد ، فانهما ادركا دولة بني أمية ، ودولة بني العباس ، فهما من المخضرمين[3] ويترجم أبو الفرج الاصفهاني لعدد من الشعراء ، شهدوا الدولتين ، فينص على تسميتهم بالمخضرمين ، من ذلك قوله في داود بن سلم مولى بني تَيْمِ بنِ مُرَّةَ : « وهو مخضرم من شعراء الدولتين الاموية والعباسية »[4] وقد ذكر ذلك في اكثر من موضع ، وأكثر من ترجمة . وهؤلاء هم مخضرموا الدولتين .

بعد هذا التمهيد الذي تعرض لأمور كان من الواجب أن تعرض ، نستطيع أن نمضي في الدراسة ، ولعل الموضوعات التي طرقت تجعلنا على بينة من أمر هذه الفترة وشعرها .

---

(١) محمود مصطفى في كتابه تاريخ الادب العربي جـ١ ص ١٥١ .
(٢) طبقات الشعراء ـ ابن سلام ص ٢١ .
(٣) الخزانة جـ١ ص ٢٤٥ .
(٤) الاغاني ـ ابو الفرج الاصفهاني جـ٦ ص١٠ ط الدار .

البـاب الأول

شعر المسلمين

[illegible]

[illegible]

الباب الأول

شعر المسلمين

مقدمة

المدينة وشعراؤها

الحجاز الذي ظهرت فيه الدعوة ، وترعرع بين ظَهْرانَيْهِ شعر هذه الفترة ، يمتد في غربي الجزيرة العربية ، محاذيا للبحر الاحمر ، من أيلة (العقبة) شمالا ، الى اليمن جنوبا ، وكلمة (الحجاز) آتية من حقيقة هذا الاقليم ، فهو سلاسل جبال تسمى جبال السراة ، تحجز بين نجد شرقا ، وتهامة غربا . وتتخلل هذه السلاسل ، وديان ذات زرع وأخرى غير ذات زرع . وتقوم مكة في واد من هذه الاودية ، غير ذي زرع حول بئر زمزم ، وعلى بعد سبعين ميلا جنوبي مكة ، تقوم الطائف ، في بقعة خصبة ذات بساتين نضرة . أما يثرب ، فتقوم في الشمال ، في واحة جميلة بين حرّات مختلفة ، ولها بساتين كثيرة ذات نخيل ومياه ، وفيها آبار للسقي عليها العبيد . أما قدر يثرب ، فهى مقدار نصف مكة[1] ، ويقع (أُحد) ـ وهو أقرب الجبال اليها ـ في شمالى المدينة بينه وبينها مقدار فرسخين .

(١) ياقوت ـ معجم البلدان جـ٧ ص ٤٢٤ .

ولهذه المدينة اسماء عدة ، ذكر منها ياقوت تسعة وعشرين اسما ، منها : المدينة ، وطيبة ، وطابة ، والمسكينة ، والعذراء ، والجابرة ، والحمية ويثرب ، والناجية ، والدار ...[1] .

وفي يثرب ، وعلى طول الطريق الى الشام في الشمال ، كانت هناك مستعمرات يهودية منبثة في خيبر ووادى القرى وتيماء ، وهي قرى رحل اليها اليهود منذ اضطهدهم أباطرة الرومان[2] . وقد وفد اليهود على يثرب منذ القديم ؛ يروى ابو الفرج : أن موسى كان قد بعث جيشا من بني اسرائيل ، الى العماليق ـ سكان يثرب ـ فأنتصر عليهم وأفناهم ، ثم أقام بنو اسرائيل بيثرب بعد وفاة موسى ، وأتخذوا بها الآطام والاموال والمزارع ، ولبثوا فيها زمنا طويلا . ثم لما ظهر الروم على بني اسرائيل في الشام فوطئوهم وقتلوهم ، خرج بنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو بهدل ، هاربين منهم الى أخوانهم بالحجاز ، وكان ذلك بعد ظهور النصرانية وانتصار القياصرة لها ، فتوافدوا على يثرب عشائر وأفرادا ، وتكاثروا بها ... وكان يساكن اليهود بطون من العرب ..[3] فلما ارسل الله سيل العرم على اهل مأرب ـ وهم الأزد ـ تفرقوا في البلاد ، ونزل الأوس والخزرج يثرب ، وعاشوا دهرا في شظف ، ويبدو أنهم كانوا يؤدون الخراج الى اليهود ، فقد قال بعضهم :

نؤدي الخَرْجَ بعد خراج كسرى
وخرج بني قُرَيْظَةَ والنضيرِ[4]

وقد استنجد مالك بن العجلان ، بأبي جبيلة الغساني ، فقضى على

---

(١) نفس المصدر جـ٧ ص ٤٢٥ . والنويري ـ نهاية الارب جـ١ ص ٣١٢ .

(٢) العرب قبل الاسلام ـ جرجي زيدان ص ٢٨٠ .

(٣) الاغاني جـ١٩ ص ٩٤ط ساسى .

(٤) معجم البلدان جـ٧ ص ٤٢٥ .

أشراف اليهود ، فصار الاوس والخزرج سادة يثرب[١] • الا أن الاستقرار لم يدم بين سادة يثرب من الاوس والخزرج ، فقد كانت بينهما منازعات وخصومات ، وكان لهذه المنازعات المستمرة اثر في تحريك القرائح الشعرية ، وكثرة الشعراء ونبوغهم ، لأن الحروب والخصومات تحرك القرائح ، وتشحذ الهمم ، على نقيض مكة التي لم ينبغ فيها الشعر ، لأنها لم تحارب ، ولم تكن بينهم (نائرة) كما يقول ابن سلام[٢] •

والمدينة بعد ذلك ، بيئة متحضرة موفورة الثروة ، منتشرة الثقافة ، تنتشر بين اهلها القراءة والكتابة ، ولهم اطلاع على الاديان ، وذلك لاتصالهم باليهود • ولهذه الناحية الثقافية والمعرفة الدينية ، الاثر الكبير في تهيئة أذهان اهل المدينة وشعرائها لتلقى رسالة التوحيد ، وتقبل دعوة الرسول ، والمبادرة الى تأييده ونصرته •

وعلى هذا نجد : أنه توفر للمدنيين ضرب من الحضارة والمعرفة والدين ، وكثر بينهم الشعراء ، حتى نبغت هذه القرية بين القرى العربية• فقد ذكر ابن سلام : أن المدينة كانت اشعر القرى العربية ، وكان أشعر شعرائها حسان بن ثابت[٣] • وقد عرف الناس ذلك ، حتى ان عبدالملك ابن مروان كان يقول : « اذا اردتم الشعر الجيد ، فعليكم بالزرق من بني قيس بن ثعلبه ، وهم رهط أعشى بكر ، وبأصحاب النخل من يثرب ـ يريد الاوس والخزرج ـ ، وبأصحاب الشُعْف من هذيل »[٤] وقد ذكر ابن سلام : أن فحول شعراء المدينة خمسة : ثلاثة من الخزرج ، وأثنان من الاوس هم :

---

(١) الاغاني جـ ١٩ ص ٩٤ ـ ٩٨ •
(٢) طبقات الشعراء ص ٢١٧ •
(٣) طبقات الشعراء ص ١٧٩ •
(٤) العقد الفريد جـ٥ ص ٢٧٣ •

١ ـ من الخزرج : حسان بن ثابت
وكعب بن مـالك
وعبدالله بن رواحة

٢ ـ ومن الأوس : قيس بن الخطـيم
وأبو قيس بن الاسلت[١]

ويلاحظ ان الثلاثة الاوائل ، هم الذين برزوا في الاحداث الاسلامية، ولم يكن للآخرين أثر في حياة المسلمين ، فأنهما وان كانا لم يعـاديا المسلمين ، الا أنهما لم يُسلِما[٢] . لذلك سنترجم لشـعراء الخزرج : حسان ، وكعب ، وعبدالله ، بقدر ما يتعلق الامر بموقفهم من الدعـوة ، ومدى تأثرهم بالاسلام ، وأثر ذلك في شعرهم . ولننظر بعد هـذا في شعر المسلمين .

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٧٩ .

(٢) السيرة ق١ ص ٤٣٧ . في خبر ابى قيس بن الاسلت ، وخزانة الادب جـ٣ ص ١٦٨ . في خبر قيس بن الخطيم .

الفصل الاول

شعر الأنصار

وأول الشعراء المسلمين ، وابعدهم اثرا ، وأعظمهم مكانة ؛ هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة ... من الخزرج ، وأمه الفريعة ابنة خالد[1] . ويكنى حسان بأبي الوليد ، أو ابى عبدالرحمن ، أو ابي الحسام[2] . أما اسلام حسان ، فلا يعرف بالضبط ، فكتب التاريخ والرواية لا تذكر عن بدء اتصال حسان بالرسول .

وترجع أهمية حسان الى انه من ابرز الشعراء الذين رفعوا راية النضال الشعري ضد المشركين ، وأنه اقوى شاعر اعتمد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، في الذب عن اعراض المسلمين ، ضد هجاء قريش أول الامر .

ثم ان حسانا شاعر جاهلى ذائع الصيت ، له قصائده الجياد في الجاهلية ، ولذلك فمن الطبيعي ان يلقى من العناية اكثر مما لقيه أي شاعر في هذه الفترة ،فالعناية كانت منصبة عليه ، ثم على الخنساء ، ثم الحطيئة ، ثم كعب بن زهير ، ثم لبيد ، ثم سحيم .. وهكذا بهذا التسلسل ، يكون

(١) الشعر والشعراء ص ١٠٤ ، والاغاني جـ٤ ص ١٣٤ط الدار .
(٢) الشعر والشعراء ص ١٠٤ ، والاستيعاب جـ١ ص ١٢٨ط حيدر اباد ١٣١٨ هـ .

حسان موضع عناية الدارسين ، وواضح ان قول ابى عبيدة في حسان ، يبين مبرر تلك العناية ، قال « فضل حسان الشعراء بثلاث : كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الاسلام »[1] . وكان لمكانة حسان هذه في الجاهلية ، أن مزردا أخا الشماخ ، كان يفاخر به كعب بن زهير ، حيث رد عليه مزرد بقوله :

فلستَ كحسان الحُسام ابنِ ثابتٍ
ولستَ كشماخٍ ولا كالمُخبّلِ[2]

فحسان من بقية الجاهليين الفحول ، ولم يبق في عصره من يطاوله مكانة ، غير لبيد ، وكعب بن زهير ، والحطيئة ، ولم يستطع أحد من هؤلاء أن يبرز في الاسلام ، ويساير الدعوة مثله . وكان حسان هو الشاعر البارز الذي يهابه خصومه ، فكانت قريش تجزع الجزع الشديد ، من هجائه ، حيث يطعن في احسابها ، ويرميها بالهنات[3] . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يؤثر حسانا ، ويوجهه الوجهة التي تردع خصوم المسلمين ، فالرسول الكريم كان يرى أن الملكة الشعرية في حسان ، أصلح منها في سواه . وقد جند رسول الله ملكة حسان في سبيل الدعوة ، فوجه مقدرته الهجائية لمناقضة الخصوم ، وأرسله الى ابي بكر يعلمه هنات القوم . فحسان لذلك معدود في طليعة شعراء المسلمين ، المؤيدين بروح القدس[4] . فلابد ان يقول في كل مناسبة من الاحداث

(١) الاغاني جـ٤ ص ٣ ط ساسى ، جـ٤ ص ١٣٦ط الدار .

(٢) الشعر والشعراء ص ٦٣

(٣) الهنات اي خصلات شر ولا يقال ذلك في الخير . اي يعيرها بنقائصها .

(٤) العقد الفريد جـ٥ ص ٢٩٤ . وزهر الاداب جـ١ ص ٦٢ط ٢ بعناية زكي مبارك ودلائل الاعجاز ص ٣

الاسلامية ، وعليه ان يعبر عن أماني المسلمين •

وأول مناوشة بدأها حسان في سبيل الدين الاسلامي ، كانت رده على ضرار بن الخطاب بن مرداس ـ شاعر قريش وفارسها ـ حيث قال ضرار[1] :

تداركتَ سعدا عَنْوةً فأخذتَهُ
وكان شِفاءً لو تداركتَ منذرا

ولو نِلْتُهُ طُلَّتْ هناك جِراحُه
وكان حَرِيًّا أن يُهانَ ويُهْدَرا

وذلك حين ارادت قريش ، أن تؤذي اصحاب العقبة الثانية ـ الذين بايعوا الرسول وولى عليهم اثنى عشر نقيبا ـ فأدركت قريش سعد ابن عبادة ، والمنذر بن عمرو ، وكلاهما كان نقيبا ، فأما المنذر فلم تتمكن منه ، وأما سعد فأخذوه مغلول اليدين الى مكة ، حتى انقذه منهم جبير ابن مطعم والحرث بن حرب بن امية ، فقال ضرار البيتين السابقين ، فأجابه حسان بن ثابت[2] :

لستَ الى سعدٍ ولا المرء منذرٍ
اذا ما مطايا القوم أصبحن ضُمَّرا

فلا تكُ كالوسنان يَحْلُمُ أنه
بقرية كسرى أو بقرية قيصرا

ولا تك كالثكلى وكانت بَمعْزِلٍ
عن الثُكْلِ لو كان الفؤاد تَفَكَّرا

---

(١) السيرة ق١ ص ٤٥١ •

(٢) السيرة ق١ ص ٤٥١ ـ ٤٥٢ ، وديوان حسان ص ١٩٢ط البرقوقي • مطبعة السعادة بمصر •

ولا تك كالشـــاة التي كـــان حَتْفُها
بحفر ذراعَيْهَا فلم ترض مَحْـفَرا

فانّا ومن يُهدِي القصائد نحوَنا
كمُستَبْضِعٍ تمرا الى أرض (خيبرا)

ويأتي ذكر الهجرة ، ووصول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، وترد أسماء أناس أسلموا ، وليس لحسان ذكر فيها . ويأتي ذكر بدر ، وهو أول حدث عظيم في النزاع بين مكة والمدينة ، وأول معركة سفكت فيها دماء من قريش غزيرة ، كما سفكت فيها دماء بعض المسلمين ، وقد طرحت جثث القرشيين في القليب ، ثم وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يناديهم : « يا أهل القليب ، بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس » . ثم قال : « هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ » فيقول له أصحابه : يا رسول الله : أتكلم قوما موتى ؟ فيقول لهم : « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقا »[1] . ويقول حسان في هذه المناسبة[2] :

عرفت ديار زينب بالكثيب
كخط الوحي في الورق القشيب

تداولها الرياح وكل جون
من الوسمي منهمر سكوب

فأمسى رسمها خلقاً وأمست
يَباباً بعد ساكنها الحبيب

(١) السيرة ق ١ ص ٦٣٩ .
(٢) السيرة ق ١ ص ٦٣٩ ـ ٦٤٠ ، والديوان ص ١٤ ـ ١٧ .

فدع عنك التذكُّر كل يوم
ورد حرارة الصدر الكئيب

وخبِّر بالذي لا عيب فيه
بصدق غير اخبار الكذوب

بما صنع المليك غداة (بدر)
لنا في المشركين من النصيب

ثم يفخر بقومه ويعدد بعض أسماء القتلى ، ثم يذكر خطاب رسول الله لأهل القليب :

يناديهم رسول الله لمَّا
قذفناهم كباكب في القليب

ألم تجدوا كلامي كان حقا
وأمر الله يأخذ بالقلوب

فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا
صدقت وكنت ذا رأيٍ مصيب

ويلاحظ أن نصيب هذه القصيدة من الفن ضئيل ، فهي لا تعدو أن تكون نظما لمعركة سمع تفصيلاتها ، ولم يشهدها[1] .

ولحسان قصائد أخرى ، ومقطوعات في هذه المعركة ، منها قصيدته الميمية المشهورة[2] :

---

(١) وتلك عادة حسان فقد كان يتسقط أخبار المسلمين في الحروب ويتسمع تفصيلاتها ثم ينظم في ذلك شعرا ، لقد كان جبانا لا يشهد الحروب ، ينظر الشعر والشعراء ص ١٠٤ .

(٢) السيرة ق ٢ ص ١٦ ، والديوان ص ٣٦٢ .

تبلت فـؤادك في المنـــام خريـــدة

تسقى الضجيع بـــارد بســـام[1]

وقد سجل في قطع أخرى ، بلاء المسلمين في هذه الواقعة ، وقد ناقض شعراء قريش ورد كيد المشركين .

أما في أُحد ، فله قصيدتـه التي يعدها ابن هشـام أحسن ما قيـل وهـي[2] :

منـــع النـــوم بالعشـــاء الهموم

وخيـــال اذا تغـــور النجـــوم

وفيها يفتخر بحضوره مجالس ملك الحيرة ، وكان حسان معجبـا بقصيدته هذه ، حتى ليقال ؛ انه دعا قومه ليلا ، فقال لهم : « خشيت أن يدركني أجلي، قبل أن أصبح فلا ترووها عني »[3] . والقصيدة محافظـة على النمط الجاهلي بكل تفصيلاتها ، ولـولا ذكره ابن الزبعرى ، وبيتين ذكر فيهما اللواء ، لما عرفت فيها مناسبة يوم أُحد ، فالفخر بقومه ، والفخر بأبيه ، وخاله ونفسه ، كل ذلك شغل حسانا عن أمر المعركة ، ومصـاب المسـلمين .

وفي أُحد أصيب حمزة ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكاه حسان بكاءاً صادقاً قال[4] :

(١) تبلت : أسقمت وأفسدت . الخريدة : الجارية السنة الناعمة
(٢) السيرة ق ٢ ص ١٤٩ ، وديوان حسان ص ٣٧٦ .
(٣) لسيرة ق ٢ ص ١٥١ .
(٤) السيرة ق ٢ ص ١٥٥ ، وديوان حسان ص ٣٢٩ ـ ٣٣١ .
الشيزى : جفان من خشب يقدم فيها الطعام للاضياف . الماحـل : القحط . الشبم : الماء البارد . لم يمر : لم يجحد أي يدفع الحق بالباطل والمراء : الجدل . الالة : الحربة . مطرورة : محددة . مارنة : لينـة . الناصل : الخارج من السحاب .

أتعرفُ الدار عفا رسمها
بعدكَ صوبُ المُسبِل الهاطل

••• الى أن يقول :

دع عنك دارا قد عفا رسمها
وابك على حمزة ذي النائل
المالئ الشِّيزى اذا أعصفت
غبراءُ في ذي الشبم الماحل

•••

أبيض في الذروة من هاشم
لم يَمْرِ دون الحق بالباطل
مال شهيداً بين أسيافكم
شلت يدا وَحْشِيٍّ من قاتل
أي أمرئ غادر في ألَّة
مطرورة مارنة العامل
أظلمت الارض لفقدانه
واسود نور القمر الناصل
صلى عليه الله في جنة
عالية مكرمة الداخل •• الخ

ولحسان في كل مناسبة اسلامية قصيدة ، أو قصائد ، ومن جياد قصائده التي كان لها أبعد الاثر ، وأحسن الذكر عند المسلمين ، قصيدة الفتح ـ فتح مكة ، سنة ثمان ، وهي(١) :

---

(١) السيرة ق ٢ ص ٤٢١ ـ ٤٢٤ ، والديوان ص ١ ـ ١٠ •

عفت ذات الاصابع فالجواء
الى عذراء منزلها خلاء

ومطلعها جاهلي ، يتذكر أيامه الاولى عند الغساسنة بالشام ، وما كان له من لهو وشراب ، والجزء الاسلامي من القصيدة ، هو الذي سما بحسان ، سموا لم يلحقه شاعر اسلامي آخر ، قال(١) :

عدمنا خيلنا ان لم تروها
تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصغيات
على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات
يلطمهن بالخمر النساء

والنفس الاسلامي هنا واضح متميز ، فهو يعبر عما يجيش في صدور المسلمين ، من الحق والايمان ، ويخاطب المشركين بلغة الدين :

وجبريل رسول الله فينا
وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد أرسلت عبدا
يقول الحق ان نفع البلاء

لقد جاهد حسان بلسانه ، طوال عشرة الاعوام الاخيرة من حياة الرسول ، وكان له في كل موقف من مواقف المسلمين ، قصيدة أو قصائد ، لذلك يعد شعره مصدرا من مصادر التاريخ الاسلامي لتلك السنوات ، فقد

---

(١) السيرة ق١ ص ٤٥١
كداء : ثنية بأعلى مكة · مصغيات : منحرفات للطعن · متمطرات : مسرعات يسبق بعضها بعضا ·

جاهد حسان بلسانه في يوم بدر ، ويوم أحد ، ورثى حمزة عم النبي ، ورثى خُبَيْبَ بن عدي ، وأصحابه حين غدرت بهم هذيل[١] ، وهجاها هجاء مرا ، ورثى شهداء مؤتة : (زيد بن حارثه ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبدالله بن رواحة)[٢] . ويتصدى لوفد تميم ، فيفحم شاعرهم ، ويشهدون له ويكون سببا في اسلام ذلك الوفد[٣] . وفي السنة العاشرة ، يفقد المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيبكيه حسان بكاءا مؤثرا ، صادق اللوعة ، بين التحسر[٤] :

تالله مــا حملت أنثى ولا وضعت
مثل الرسول نبي الامة الهادي

ولا بـرا الله خلقـاً من بريتـه
أوفى بذمة جار أو بميعاد

من الذي كان فينا يُسْتَضاءُ بـه
مبارك الامر ذا عدل وارشاد

. . .

يا أفضل الناس اني كنت في نَهَرٍ
أصبحت منه كمثل المفرد الصادي

وتكاد تخمد جذوة شاعرية حسان بعد وفاة الرسول الكريم ، فلا نجد له شيئاً ذا بال غير أبيات قالهن في مدح الزبير بن العوام[٥] ، وقطع

(١) السيرة ق ٢ ص ١٧٧ .
(٢) نفس المصدر ق ٢ ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧ .
(٣) السيرة ق ٢ ص ٥٦٠ ـ ٥٦٧ ، والاغاني ج ٤ ص ١٤٦ ـ ١٥١ . ط الدار .
(٤) السيرة ق ٢ ص ٦٧١ ، والديوان ص ٩٩ ـ ١٠٠ .
(٥) ديوان حسان بن ثابت ص ٣٣٨ ـ ٣٤٠ .

أخرى يبكي بها الخليفة عثمان بن عفان[١] ، حين اعتدى عليه المعتدون ، وانتهكوا بقتله حرمة الاسلام ، فهو ينعى على أهل المدينة وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قعودهم عن نصرته وخذلانهم اياه .

ومثلما وقف حسان يناقض المشركين ، ويهاجمهم ، ويذب عن اعراض المسلمين ، ويدعو للفكرة الاسلامية الجديدة ، فكذلك فعل شاعر آخر - يشارك حساناً في خزرجيته وأنصاريته - ليذود عن المسلمين ، ويقاتل أعداءهم ، ذاك هو كعب بن مالك الخزرجي الأنصاري السلمي .

كانت أول صلة كعب بالاسلام يوم العقبة الثانية ، حيث وفد مع السبعين من أهل المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم[٢] . وحين هاجر الرسول الى المدينة ، وآخى بين المهاجرين والانصار ، آخى الرسول بين كعب بن مالك ، وبين طلحة بن عبيد الله .

كان كعب مؤمنا قوي الايمان ، تقيا شديد التقى ، وكان أثيرا عند رسول الله ، يحبه ويدعو له بالخير ويشجعه على جيد الشعر[٣] . وكانت صلة كعب بالرسول قوية ، فهو قريب منه يسمع الحديث ، فيحفظه

---

(١) الديوان ص ٤١٠ .

(٢) السيرة ق ١ ص ٤٤١ - ٤٤٣ ، وجمهرة انساب العرب ص ٣٤١ .

(٣) الاغاني ج ١٥ ص ٢٨ ط ساسى والسيرة ق ٢ ص ٢٦١ وذلك حين سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنت الذي تقول (همت) قال ، نعم يا رسول الله ، أنا الذي أقول :

همت سخينة أن تغالب ربها
وليغلبن مغالب الغلاب

فقال الرسول : « أما ان الله لم ينس ذلك لك » وفي رواية السيرة خلاف بسيط وينظر كذلك معجم الشعراء - للمرزباني ص ٢٢٩ .

فيحدّث به ، فهو لذلك معدود في رواة الحديث[1] • ولم يكن كعب ورعا مؤمنا وحسب ، بل كان فارسا من فرسان المسلمين ، فما كان كصاحبه حسان بن ثابت ، يشارك المسلمين باللسان ، ثم اذا قامت الحرب التجأ الى أطمه (فارع) مع الصبيان والنسوة[2] • بل كان شجاعا مقداما يقرن القول بالفعل ، فقد كان له صبر وبلاء عظيم يوم أحد ، حتى أنه جرح أحد عشر جرحا • وكان من أكرام رسول الله له ، أن لبس لأمته ولبس كعب لأمةَ الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت صفراء •

وقد شارك كعب في أكثر الحروب الاسلامية[3] ، الا أنه تخلف عن غزوة تبوك ، وكان لهذا أسوأ الاثر في نفسه ، فحزن حزنا شديدا ، روى ابن هشام في السيرة : وكان قد تخلف بعض المنافقين ، وتخلف ثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أميّة • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه : « لا تُكَلِمُنَّ أحدا من هؤلاء الثلاثة »[4] • ومكث كعب لا يكلمه أحد خمسين يوما ، عانى خلالها كثيرا من الآلام ، وقد دفعه قومه أن يتوسل بعذر لدى رسول الله ، قالوا : « لو اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض ما يعتذر به الناس عذرك » • فقال : « اني لأصنعهم لساناً ، وأقدرهم على ذلك ، ولكن والله لا أعتذر اليه بكذب ، وان عذرني فيطلعه الله عليه »[5] • ومكث كذلك حتى نزلت فيهم التوبة ، قال تعالى :

---

(١) الاغاني جـ ١٥ ص ٢٦ ط ساسي •

(٢) ينظر حديث صفية بنت عبدالمطلب عن حسان يوم الخندق في الاغاني جـ٤ ص ١٦٥ ط ساسي •

(٣) الاستيعاب جـ ١ ص ٢٢٣ وقد اختلف في حضوره يوم بدر •

(٤) السيرة ق٢ ص ٥٣١ ومغازي رسول الله ص ٣٤٤ •

(٥) طبقات الشعراء ص ١٨٥ وينظر كذلك في امتاع الاسماع جـ ١ ص ٤٨٤ ـ ٤٨٨ •

« وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرضُ بما رَحُبَت وضاقت عليهم أنفسُهم وظنّوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التوّابُ الرحيمُ »[1] .

وقد عاش كعب زمنا أدرك فيه الفتنة التي قامت ضد عثمان ، وأدرك كذلك الخلاف الذي نشب حول الخلافة ، بين علي ومعاوية . فكان عثماني الهوى ، منحرفا عن علي بن أبي طالب ، وقد طالبه في أمر عثمان وقتله ظلما . وكانت وفاته في سنة خمسين – وقيل في ثلاث وخمسين – وهو ابن سبع وسبعين ، وقد ذهب بصره[2] .

لقد ناضل كعب بسيفه ولسانه ، مع من ناضل من شعراء المسلمين ، وصور الاحداث بروح اسلامية ظاهرة التأثر بالدين الحنيف ، ففي بدر يجيب على قصيدة ضرار بن الخطاب ، يقول[3] :

عجبت لأمر الله والله قادر
على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نُلاقيَ معشراً
بغوا وسبيل البغي بالناس جائر

. . .

وفينا رسول الله والاوس حوله
له معقِلٌ منهم عزيز وناصر
وجمعُ بني النجار تحت لوائه
يمشون في الماذي والنقع ثائر

(1) سورة التوبة آية ١١٨ .
(2) الاستيعاب ج ١ ص ٢٢٣ وخزانة الادب ج ١ ص ٢٠٠ ومعجم الشعراء ص ٢٢٩ .
(3) السيرة ق ٢ ص ١٤ – ١٥ . الماذي : الدروع البيض اللينة . النقع : الغبار . حمه الله : قدره الله .

فلما لقيناهم وكل مجاهد
لاصحابه مُستبسلُ النفس صابر

شهدنا بأن الله لا رب غيره
وأن رسول الله بالحق ظاهر

الى أن يقول :

وكان رسول الله قد قال أقبلوا
فولوا وقالوا انما أنت ساحر

لأمرٍ أراد الله أن يهلكوا به
وليس لأمرٍ حمّه الله زاجر

ويتضح في هذه القصيدة فهم كعب وتأثره بالمعنى العام للقرآن الكريم ، فقوله : « انما أنت ساحر » متأثر بقوله تعالى : « وقال الكافرون هذا ساحرٌ كذّاب »[1] . وقوله : « وليس لأمر حمّه الله زاجر » متأثر بمعنى الآية الكريمة : « واذا أراد اللهُ بقومٍ سوءاً فلا مردّ له »[2] . أو قوله : « ولا يُردُّ بأسُه عن القوم المجرمين »[3].

وقد روى ابن اسحق له شعرا في رثاء عبيدة بن الحارث ، الذي قطعت رجله في بدر[4] . وله شعر يخاطب فيه بعض أحياء العرب ، الذين قاتلوا المسلمين في بدر[5] .

---

(١) سورة ص آية ٤ .
(٢) سورة الرعد آية ١١ .
(٣) سورة الانعام آية ١٤٧ .
(٤) السيرة ق ٢ ص ٢٤ .
(٥) السيرة ق ٢ ص ٢٥ . الاروم جـ ارومة : الاصل . كليمها : جريحها .

ألا هل أتى غسان في نأي دارِ هـــا
وأخبـرُ شيءٍ بالامـور عليمُهـــا
بأنْ قـد رمتنـا عن قِسيٍّ عـداوة
معَـدّ معاً جُهّـالُهـا وحليمُهـا
لأنا عبدنا الله لم نرجُ غيره
رجاء الجِنـان اذ أتانـا زعيمهـا
نبيٌّ له في قومـه ارث عزة
وأعراق صدق هذبتها أرومهـا
فساروا وسـرنا فالتقينا كأننـا
أسُودُ لقاء لا يُرجّـى كليمها
فولوا ودساهم ببيض صـوارم
لمنخر سوءٍ من لؤي عظيمهـا
ضربناهم حتى هوى في مَكَرّنا
سواءٌ علينـا حلفهـا وصميمها

وله في هذا اليوم ، قطعة يوعد فيها أبا سفيان ، بأن قريشـا ستذل وتطلع عليها خيول المسلمين من كداء ، بنصر من عند الله[1] :

فما ظَفِرت فوارسُكم ببـدر
ومـا رجِعوا اليـكم بالسواء
فلا تَعْجل أبا سفيان وارقُب
جيـاد الخيل تطلع من كـداء
بنصر الله روح القدس فيهـا
وميكال فيـا طيب المَـلاء

(١) السيرة ق٢ ص ٢٥ ــ ٢٦ ، الملاء : الملأ أشراف القوم وسادتهم.

وكعب هنا يسبق حسانا في نبوءته بفتح مكة ، والطلوع على قريش من كداء ، ولعل المسلمين كانوا منذ البداية ، يمنون النفس بفتح مكة واخضاع أهلها ، ويعدون لهم العدة ، فيتوعدون قريشا ورئيسها أبا سفيان ، فلا غرو أن يذكر ذلك كعب ، ويذكر كذلك حسان ، هذه الاماني .

أما في أحد ، فشعر كعب أكثر منه في بدر ، فله قصيدة طويلة ذكر ابن اسحق ، أنه أجاب بها هبيرة بن أبي وهب ، ولم يرد له ذكر فيها ، وورد اسم عبدالله بن الزبعرى ، حيث كان قد فخر عليه عبدالله ، قال كعب(١) :

ألا هل أتى غسان عنا ودونهم
من الارض خرق سَيْرُهُ متنعنع

وفيها يقول :

مُجالدُنا عن جِذمنا كلَّ فخمة
مُذرَّبةٍ فيها القوانِسُ تلمع

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال حين سمع هذا البيت « أيصلح أن تقول : مجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو أحسن » . فكان كعب يقولها كذلك(٢) . وفيها يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانته بينهم ، وطاعة أمره :

---

(١) السيرة ق ٢ ص ١٣٢ ـ ١٣٥ . الخرق : الفلاة الواسعة . متنعنع : مضطرب . جذمنا : أصلنا .

(٢) السيرة ق ٢ ص ١٣٦ ، والاغاني جـ ١٥ ص ٢٨ ط ساسى . قصرنا : غايتنا . يشرى الحياة : يبيع حياته ، يريد الجهاد في سبيل الله .

وفينا رسول الله نتبع أمره
اذا قال فينا القول لا نتطلع

تدلى عليه الروح من عند ربه
يُنَزَل من جو السماء ويرفع

نشاوره فيما نريد وقصرُنا
اذا ما اشتهى أنّا نُطيع ونسمع

وقال رسول الله لما بَدَوا لنا
ذَروا عنكمُ هول المنيات وأطمعوا

وكونوا كمن يَشرى الحياة تقرُّباً
الى مَلِك يُحيا لديه ويُرجع

ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا
على الله انّ الامرَ لله أجمع

وقد استطاع كعب أن يمثل هول المعركة ، وما أصاب المسلمين ، وأعتذر لذلك بقلة عدد المسلمين ، مع كثرة ما حشد الاعداء :

فجئنا الى موج من البحر وسطه
أحابيش منهم حاسر ومقنع

ثلاثةُ آلاف ونحن نصية
ثلاث مئين ان كثرنا وأربع(١)

نغاورهم تجري المنية بيننا
نشارعهم حوض المنايا ونشرع

(١) النصية : الخيار من القوم ٠

ويخاطب ابن الزبعرى :

فخرت علي ابن الزبعرى وقد سرى
لكم طلب من آخر الليل متبع

فسل عنك في عُلْيا معد وغيرها
من الناس من أخزى مقاما وأشنع

ومن هو لم تترك له الحرب مفخرا
ومن خدُّه يوم الكريهة أضرع .. الخ

ومن خير ما قال كعب في أحد ، رثاؤه لحمزة ، ومن سقط شهيدا من المسلمين ، قال[1] :

نشجت وهل لك من منشج
وكنت متى تذكر تلجج

تذكر قوم أتاني لهم
أحاديث في الزمن الاعوج

فقلبُك من ذكرهم خافق
من الشوق والحزن المنضج

وقتلاهم في جِنان لنعيم
كِرام المداخل والمخرج

ويصف غدر وحشي بحمزة ، وكيف صرعه بحربة لامعة كالشهاب :

فكلُّهم مات حرَّ البلاء
على مِلة الله لم يَحرج

(١) السيرة ق ٢ ص ١٣٨ ـ ١٣٩ . تلجج : من اللجج الاقامة على الشيء والتمادي فيه . ذى هبة : أي السيف الذي يقع في العظم . سلجج : مرهف . يبربر : يصيح . الادعج : الاسود .

كحمـزة لمـا وفى صادقـاً
بذي هبـةٍ صـارمٍ سـلجج

فلاقـاه عبـد بنـي نوفـل
يبربـر كالجمـل الادعـج

ولكعب في رثاء حمزة أكثر من قصيدة ، ففي قطعة يبكي حمزة ، ويخاطب صفية أخت حمزة ، وعمة رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) :

صفيـة قُومي ولا تعجـزي
وبكي النسـاء عـلى حمـزةِ

ولا تسـأمي أن تُطيلي البـكا
على أسـد الله في الهـزةً

فقـد كان عـزا لا يتامنـا
وليـث الملاحـم في البـزة

يُريد بذاك رضـا أحمـدٍ
ورضوانَ ذي العرش والعـزة

أما في الخندق ، فقد وصف المشركين ، وتألبهم عـلى دين الله ، وكيف تمسك المسلمون بدينهم ، فلم يغيروا ولم يبدلوا قال(٢) :

لقـد علم الاحزاب حين تألبـوا
علينا وراموا ديننـا ما نوادع

أضاميم من قيس بن عيـلان أصفقت
وخندف لـم يدروا بما هو واقـع

---

(١) نفس المصدر ق ٢ ص ١٥٨ .
(٢) السيرة ق٢ ص ٢٦٣ .

يذودوننا عن ديننا ونذودهم
عن الكفر والرحمن راءٍ وسامع

اذا غايظونا في مقام أعاننا
على غيظهم نصر من الله واسع

وذلك حفظ الله فينا وفضله
علينا ومن لم يحفظ الله ضائع

هدانا لدين الحق واختاره لنا
ولله فوق الصانعين صنائع

والملاحظ هنا ، أن المعنى الديني بدأ يتضح أكثر ، وفي هذا الشعر جانب من التعليل والمحاجة ، والتوكل على الله ، فانه (ومن لم يحفظ الله ضائع) .

وبكى كعب قتلى مؤتة بقصيدة شجية صادقة الحزن[1] :

نام العيون ودمع عينك يهمل
سحا كما وكف الطباب المخضل

في ليلة وردت علىّ همومها
طورا أحن وتارة أتململ

واعتادني حزن فبت كأنني
ببنات نعش والسماك موكل

وكأنما بين الجوانح والحشى
مما تأوبني شهاب مدخل

(١) السيرة ج٢ ص٣٨٥ . الطباب ج. طبابة : سير بين خرزتين في المزادة فاذا كان غير محكم . وكف : نضح منه الماء . المخضل : السائل الندي . مدخل : نافذ الى الداخل .

وجداً على النفر الذين تتابعوا
يوما بمؤتة أسندوا لم ينقلوا

صلى الاله عليهم من فتية
وسقى عظامهم الغمام المسبل

أما بعد الفتح ، فقد قال كعب قصيدته بعد الفراغ من حنين ، حين أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير الى الطائف[1] :

قضينا من تهامة كل ريب
وخيبر ثم أجممنا السيوفا

نخيرها ولو نطقت لقالت
قواطعهن دوساً أو ثقيفا

وذكر ابن سيرين قال : « فبلغني أن دوسا انما أسلمت فرقا من قول كعب (قضينا من تهامة ...) فقالت دوس : انطلقوا فخذوا لانفسكم ، لا ينزل بكم ما نزل بثقيف »[2] .

وفي هذه القصيدة يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدعو الناس الى الدخول في دين الله ليكونوا منهم ، أو أن يحكموا السيف في رقابهم ، ان هم تمسكوا بضلالهم[3] :

---

(١) السيرة ق٢ ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ . والحماسة ـ ابن الشجري ص٤٣ ، ومغازي الرسول ص٣٣٩ . أجممنا السيوف : أرحناها بعد قتال . نخيرها : نعطيها الخيرة .

(٢) الاستيعاب جـ١ ص٢٢٣ .

(٣) الزحف : الجيش . عزوف . منصرف عن الشيء زهدا فيه . النزق : كثير الطيش والخفة . رعش : متقلب غير ثابت . نجالد : نحارب بالسيوف. مضيفا : ملجئا .

وأنَّا قد أتيناهم بزحف
يحيط بسور حصنهم صفوفا
رئيسهم النبي وكان صلبا
نقيٌّ القلب مصطبرا عزوفا
رشيدُ الامر ذو حكم وعلمٍ
وحلم لم يكن نزقا خفيفا
نُطيع نبينا ونُطيع رباً
هو الرحمن كان بنا رؤوفا
فان تلقوا الينا السلم تقبل
ونجعلكم لنا عضدا وريفا
وان تأبوا نجاهدكم ونصبر
ولا يك أمرنا رعشا ضعيفا
نجالد ما بقينا أو تُنِيبُوا
الى الاسلام اذعانا مضيفا

الى آخر القصيدة ، التي تحافظ على هذا البناء السليم والنسج المحكم الجميل • وبعد مصاب المسلمين بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف كعب ليرثي النبي محمدا بروح المؤمن الذي وعى مفاهيم الدين الحنيف ، وملأ الايمان قلبه فهو يبكيه دون يأس أو جزع ، بل يذكر فضل الله على المسلمين اذ نجاهم برسوله من ظلام ولظى[1] :

---

(١) الطبقات الكبير ـ ابن سعد ق٢ جـ٢ ص٩٢ ـ ٩٣ •

يا عين فابكي بدمع ذرى
لخير البريـة والمصطفى
على خير من حملت ناقة
وأتقى البرية عند التُقى

....

نُخص بما كان من فضله
وكان سراجا لنا في الدجى
وكان بشيرا لنا منذرا
ونورا لنا ضوؤه قد أضا
فأنقذنا الله في نوره
ونجّى برحمته من لظى .

ويقف كعب من قتل عثمان ذلك الموقف الذي وقفه حسان فقد قال يقرع الانصار لقعودهم عن نصرة خليفة المسلمين(١) :

من مبلغُ الانصار عني آية
رسلا تقص عليهم التبيانا
ان قد فعلتم فعلة مذكورة
كست الفضوح وأبدت الشنآنا
بقعودكم في داركم وأميركم
تُحشى ضواحي داره النيرانا
بينا يرجى دفعكم عن داره
مُلئت حريقا كابيا ودخانا

الى آخر القصيدة التي يلوم فيها الانصار الذين قعدوا عن دفع الشر والشغب .

---

(١) الاغاني جـ ١٥ ص٢٧ ط ساسى ، جـ ١٦ ص٢٢٨ ط الدار .

رحم الله كعبا فقد جاهد في سبيل الله بلسانه وسيفه ، وكان فارسا من فرسان المسلمين شديدا على الكافرين حريصا على أن ينتشر الدين ويعز أهله .

هذان الشاعران حسان بن ثابت وكعب بن مالك هما أبرز شعراء المسلمين وأكثرهم خطرا ، ويضاف اليهما عبدالله بن رواحة[1] فهو فيما يبدو أقل منهما تجويدا في شعره ، ولو كان أثبت منهما ايمانا وأشد تقى ، وعبدالله يشارك صاحبيه في الخزرجية والانصارية ، وفي الوقوف ضد المشركين وقتالهم والذب عن المسلمين ودينهم .

كان عبدالله عظيم القدر سيدا في الجاهلية قال عنه ابن سلام : « عظيم القدر في قومه سيد في الجاهلية ليس في طبقته التي ذكرنا أسود منه »[2] فاذا كان الاسلام كان من السابقين اليه . فقد شهد العقبة مع السبعين من الانصار ، وكان أحد النقباء الاثنى عشر[3] ، فاذا كانت الحروب الاسلامية بعد الهجرة نجد عبدالله بن رواحة يشهدها جميعا ويبلو فيها البلاء الحسن شهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء[4] .

وقد كان عبدالله مؤمنا خالص الايمان ، لم يشب ايمانه شيء مما شاب ايمان حسان في بعض مآتيه ، كعصبيته وغلوه في هذه العصبية ، بحيث قال

---

(١) هو عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس .. الانصاري الخزرجي يكنى أبا محمد وأبا رواحة ، وليس له عقب . ينظر الطبقات الكبير ق٢ جـ٣ ص٨٩ والاستيعاب جـ١ ص٣٦١ وامتاع الاسماع جـ١ ص٣٦ وجمهرة أنساب العرب ص٣٤٤ .

(٢) طبقات الشعراء ص١٨٦ .

(٣) امتاع الاسماع جـ١ ص٣٦ وجمهرة الانساب ص٣٤٤ .

(٤) الطبقات الكبير ق٢ جـ٣ ص٧٩ ط ليدن .. وجاء في امتاع الاسماع جـ١ ص٣٣٦ قوله : « ثم كانت عمرة القضية وتسمى عمرة القضاء وغزوة القضاء وعمرة الصلح ويقال لها عمرة القصاص » .

ما قال في غنائم حنين[١] . وتسرعه في حديث الافك[٢] . وغير ذلك ، أو ما شاب ايمان كعب بن مالك من تأخره عن غزوة تبوك[٣] ، وان برأه الله سبحانه وتاب عليه .

ولايمان عبدالله هذا وتقاه كان مقربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أثيرا عنده[٤] يحنو عليه ويدعو له . جاء في حديث أبي عمران الجوني « ان عبدالله بن رواحة أغمي عليه ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم ان كان قد حضر أجله فيسر عليه ، وان لم يكن حضر أجله فأشفه ، فوجد خفة »[٥] . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليرى أن عبدالله تقي شديد التقى ، فكان يحبه لانه صادق الايمان ، كأنه خلق في الاسلام خلقا جديدا ، وصور ايمانه كثيرة : منها ما حكاه أبو الدرداء قال : « لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد ، حتى أن الرجل ليضع من شدة الحر يده على رأسه ، وما في القوم صائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبدالله بن رواحة »[٦] . وقيل : كان عبدالله أول خارج الى الغزو وآخر قافل[٧] . وكان الرسول يوجه عبدالله في مهمات ، فقد قدمه من بدر يبشر أهل العاليه بما فتح الله عليه ، عليه السلام ، واستخلفه على المدينة حين خرج الى غزوة بدر الموعد ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس

(١) السيرة ق٢ ص٤٩٧ ـ ٤٩٨ .
(٢) السيرة ق٢ ص٣٠٢ ، ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ، وامتاع الاسماع ج١ ص٢١٠ ، تاريخ الكامل ج٢ ص٧٥ .
(٣) السيرة ق٢ ص٥٣١ .
(٤) طبقات الشعراء ص١٨٦ .
(٥) الطبقات الكبير ق٢ ج٣ ص٨٢ .
(٦) الاستيعاب ج١ ص٣٦٢ .
(٧) الاستيعاب ق٣ ص٨٩٨ .

ثلاثين راكبا الى أُسَيْرِ بن زارم اليهودي بخيبر فقتله ، وبعثه الى خيبر خارصا فلم يزل يخرص عليهم الى أن قتل بمؤتة[1] .

وكان من اكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم له ، انه كان يقربه ويستنشده ، حدَّث عبدالله نفسُه قال : « مررت بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في نفر من أصحابه ، فأضب القوم : يا عبدالله بن رواحة ، يا عبدالله بن رواحة ، فعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاني ، فأنطلقت اليهم مسرعا ، فسلمت ، فقال ههنا . فجلست بين يديه فقال : ـ كأنه يتعجب من شعري ـ كيف تقول الشعر اذا قلت ؟ قلت : أنظر في ذلك ثم أقول . قال : فعليك بالمشركين ، قال : فلم أكن أعددت شيئا فأنشدته ، فلما قلت :

فخبروني أثمان العباء متى
كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر

قال : فكأني عرفت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الكراهة أن جعلت قومه أثمان العباء ، فقلت[2] :

تجالد الناس عن عرض فأسرهم
فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس غالبنا
حيٌّ من الناس ان عزُّوا وان كثروا
يا هاشم الخير ان الله فضَّلكم
على البرية فضلا ما له غيَرُ

---

(١) الطبقات الكبير ق٢ ج٣ ص٧٩ وأمتاع الاسماع ج١ ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ . وطبقات الشعراء ص١٨٧ .

(٢) طبقات الشعراء ص١٨٧ ـ ١٨٨ . وابن سعد ق ٢ ج ٣ ص ٨١ .

اني تفرست فيك الخير أعرفُـه
فراسة خالفتهم في الذي نظروا

ولو سألت أو استنصَـرتَ بعضهم
في جُـلّ أمرك ما آووا وما نصروا

فثبَّت اللهُ ما آتاك من حسن
تثبيت موسى ونصرا كالذي نُصـروا

فأقبل عليّ بوجهه مبتسما ، ثم قال : واياك فثبت الله » •

ان شعر عبدالله بن رواحة ، يمتاز بسهولته ، وشيوع المعاني الدينية فيه ، ويلاحظ أن شعر عبدالله قليل ، فعلى الرغم من اشارة ابن سلام من انـه كان يناقض قيس بن الخطيم ، في حروبهم في الجاهليـة(١) • وعلى الرغم من أنه معدود في الشعراء الذين دفعوا الاذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهاجوا قريشا مع كل ذلك ، فما تبقى من شعره قليل ، وكتب السيرة والادب لم تنقل الا بضعة مقطوعات من شعره • ونحن أمام فرضين كلاهما محتمل :

أولهما : ضياع شعر عبدالله ، فقد روى الاغاني : أن أهون الشعر على قريش في جاهليتها هو شعر عبدالله بن رواحة ، وان أشد الشـعر عليها بعد اسلامها كان شعر عبدالله لأنه كان يعيرها بالكفر وأهون الشعر عليها شعر صاحبيه حسان بن ثابت وكعب بن مالك ، لانهما كانا يهجوانها بالمثالب والايام(٢) • فأين ذلك الشعر الذي كان هينـا على قريش تارة ، وشديدا عليها تارة أخرى ؟ •

والفرض الثاني : أن شعر عبدالله قد قل بعد الاسلام ، لانه كـان

---

(١) طبقات الشعراء ص١٨٦ •

(٢) الاغاني جـ١٥ ص٢٩ ط بولاق •

يتأثم من قول الشعر ، نقل ابن سعد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال لعبدالله بن رواحة : « انزل فحرك بنا الركاب ، قال : يا رسول الله : أني قد تركت قول ذلك »[١] وروى عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : « لما نزلت : (والشُعراءُ يتبعهم الغاوون ٠٠) قال عبدالله بن رواحة : قد علم الله أني منهم »[٢] بيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يشجع عبدالله على قول الشعر ، ويستنشده في كثير من الاحايين ، فاطمأن قلب عبدالله بعد ان سمع قول الله تعالى : « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وأنتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبونَ »[٣] .

وشيء آخر في شعر عبدالله بن رواحة ، أنه ملتبس بشعر كعب ابن مالك ، فقد روى ابن اسحق في السيرة ، قصيدة لعبدالله بن رواحة في شعر أحد ، يبكي بها حمزة ، وقد استدركها ابن هشام على ابن اسحق ، بأن القصيدة لكعب بن مالك ، كان أنشده اياها ابو زيد الانصاري ، وفي القصيدة يقول[٤] :

بكت عيني وُحقَّ لها بُكاها
وما يُغنى البكاءُ ولا العويل

على أسدِ الالهِ غداةَ قالوا
أحَمزةُ ذاكمُ الرجلُ القتيلُ

أُصِيْبَ المسلمون به جميعا
هناك وقد أُصيبَ به الرسولُ

---

(١) الطبقات الكبير ق٢ ج٣ ص٨٠ ٠
(٢) نفس المصدر ق٢ ج٣ ص٨١ ٠
(٣) سورة الشعراء آية ٢٧٧ ٠
(٤) السيرة ق٢ ص١٦٢ ٠ وأبو يعلى : كنية حمزة ٠

أبـا يعـلى لـك الاركـــان هُدّت
وأنت الماجـــد البَرُّ الوصــــول

عليـك ســـلام ربك في جنـــان
مخالطهــا نعيــم لا يــــزول

وتستمر القصيدة تذكر بدرا وقتلى قريش ، ومخاطبــة هنــد بألا تشمت ، فقد رمى المسلمون بقليب بدر أبا جهل ، وعتبة ، وابنه ، وشيبة ابن ربيعة ، وغيرهم .

وبعد اجلاء بنى النضير ، يروى ابن اسحق شعراً لكعب بن مالـك في الرد على عباس بن مرداس السلمي ، الا ان ابن هشام ينســبه الى عبدالله بن رواحة [1] ، ولاشك ان في هذا الشعر سلاسة ووضوحا عرفا عن اسلوب ابن رواحة قال :

لعمري لقد حكّت رحى الحرب بعـدما
أطــارت لؤيّـاً قبل شــرقا ومغربــا

بقيــــة آل الكاهنـــين وعزهـــا
فعــاد ذليـــلا بعـــد ما كـــان أغلَبــا

فطاحَ ســـلامٌ وابنُ سعيـــةَ عَنْــوةً
وقِيدَ ذليـــــلا للمنايا ابنُ أخطبــا

الى أن يقول :

فبُعْداً وسُحْقاً للنضـــير ومثلهـــا
ان أعقــبَ فتــحٌ أو ان اللهَ اعقبــا

وكذلك في غزوة بدر الاخرة سنة أربع ، يذكر ابن اسحق قطعـ

(١) السيرة ق٢ ص٢٠٢ .

لعبدالله بن رواحة ، يقول عنها ابن هشام « انشدنيها أبو زيد الانصاري لكعب بن مالك[1] :

وعدنا ابا سفيانَ بدرا فلم نجـدْ
لميعادِهِ صدقاً وما كان وافيا

فأُقسمُ لو وافيتنا فلقيتنَا
لأُبْتَ ذميما وافتقَدْتَ المواليا

تركنَا بـه أوصالَ عُتبة وابنَـهُ
وعمراً ابا جهلٍ تركنـاه ثاويا

عصَيْتم رسول الله أفٍ لدينكم
وأمركُم السَّيء الذي كان غاويا

فانى وأن عنفتموني لقائـلْ
فدىً لرسول الله اهلي وماليا

أطَعْنَاه لم نَعْدِلْه فينا بغيره
شهابا لنا في ظلمة الليل هاديا

واننا حين نروى هذا الشعر ، نرجح نسبته الى كعب بن مالك ، فهو بشعره اشبه ، وأن كانت هذه النسبة عمادها مرجحات ظنية ، وليس القطع الجازم ، ففي شعر المسلمين عامة شبه عام يجمعه ، وطبيعة الموضوع تجعله متشابها قريبا بعضه من بعض . ثم ان مرويات ابي زيد الانصاري يمكن الاطمئنان اليها لانه ثقة متقدم .

وكان عبدالله بن رواحة من أمراء المسلمين في مؤتة ، في جمادي الاولى سنة ثمان ، فقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين

(١) السيرة ق٢ ص٢١٠ ـ ٢١١ .

زيد بن حارثة ، وقال : « ان أُصيب زيد فجعفر بن ابي طالب على الناس، فان اصيب جعفر ، فعبدالله بن رواحة على الناس »[1] . فلما تجهز الناس وتهيئوا للخروج وهم ثلاثة الاف ، وودعهم الناس بكى عبدالله بن رواحه فقالوا : « ما يبكيك يابن رواحه ؟ فقال : اما والله ما بي حب الدنيا ، ولا صبابة لكم ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقرأ آية في كتاب الله عزوجل ، يذكر فيها النار : « وان منكم الا واردُها كان على ربّكَ حتما مقضيا »[2] ، فلست ادرى ، كيف لي بالصدر بعد الورود ؟ » ، فقال المسلمون : صحبكم الله ، ودفع عنكم ، وردكم الينا صالحين ، فقال عبدالله :[3]

لكنني اسأل الرحمن مغفرةً
وضربةً ذاتَ فرغ تقذف الزبَدا

او طعنةً بيدي حرانَ مجهزةً
بحربةٍ تُنْفذُ الاحشاءَ والكبدَا

حتى يُقال اذا مروا على جدَثي
أرشدهُ اللّه من غازٍ وقد رَشَدا

واكثر شعر عبدالله قبيل مصرعه ، ينبىء بأنه كان يتخوف الموت ويتوقعه ، كأن هاجسا في نفسه ينبئه بالشهادة . حدث زيد بن ارقم قال : « كنت يتيما لعبدالله بن رواحه في حجره ، فخرج بي في سفره ذلك

---

(1) السيرة ق٢ ص٣٧٣ ، وأمتاع الاسماع ج١ ص٣٤٥ ، ومغازي الرسول ص٣٢٢ .

(2) سورة مريم آية ٧١ .

(3) السيرة ق٢ ص٣٧٤ ، والطبري ج٢ ص٣١٩ ط الاستقامة . ذات فرغ : ذات سعة . الزبد : المراد هنا رغوة الدم . مجهزة : سريعة القتل . الجدث والجدف أيضا : القبر .

مردفي على حقيبة رحله ، فوالله انه ليسير ليلةً اذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه »(١) :

اذا ادَّيتني وحملتِ رحلي
مسيرةَ اربعٍ بعد الحِساء
فشأنكِ أنْعُمٌ وخلاكِ ذمٌ
ولا ارجعْ الى اهلي ورائي
وجاء المسلمون وغادروني
بارضِ الشام مُشتهى الثَّواءِ
وردَّكِ كلُّ ذي نسبٍ قريب
الى الرحمنِ منقطعَ الاخاءِ
هنالك لا أبالي طلْعَ بَعْلٍ
ولا نخلٍ اسافِلُها رِواءِ

قال زيد : « فلما سمعتهن منه بكيت ، فخفقني بالدرة ، وقال : ما عليك يالُكع أن يرزقني الله شهادة ، وترجع بيني شعبتي الرحل » • ثم قال عبدالله في بعض شعره وهو يرتجز(٢) :

يازيدُ زيدَ اليعملات الذُّبلِ
تطاولَ الليلُ هُديتَ فأنزلِ

(١) السيرة ق٢ ص٣٧٦ ـ ٣٧٧ • الحساء : موضع ، وأصله الماء الذي يغور في الرمل حتى يلقى صخرا ، فاذا بحث عنه وجد • فشأنك أنعم : أي تنعم بعده فلا يكلفها سفرا بعد ذلك ، حيث عزم على الموت في سبيل الله • ولا ارجع : قال أبو ذر الخشني في شرح السيرة ؛ هو مجزوم على الدعاء ، دعا على نفسه أن يستشهد ولا يرجع الى أهله • البعل : النبات الذي يشرب بعروقه من الارض • رواء : صفة النخل •

(٢) السيرة ق٢ ص٣٧٧ • اليعملات : جـ يعملة الناقة السريعة النشطة • الذبل : الضعيفات من كثرة الاسفار •

ودارت المعركة ، وكانت شديدة حامية ، استشهد فيها زيد بن حارثة، ثم استشهد فيها جعفر في بطولة منقطعة النظير[1] . فاخذ عبدالله بن رواحه الراية ، ثم تقدم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ، ثم قال :[2]

أقسمتُ يا نَفْسُ لتنزِلِنَّهْ
لتنزِلِنَّ أو لَتكرهِنَّه
اذ أجلبَ الناس وشدوا الرَّنَّة
مالي أراكِ تكرهين الجنه
قد طال ما قد كنتِ مطمئنه
هَل أنتِ الا نُطفةٌ في شَنَّه

وقال أيضا :

يا نفسُ الا تُقتلي تموتي
هذا حِمامُ الموت قد صَليتِ
وما تمنيتِ فقد أعطيتِ
ان تفعلي فِعلهما هُديتِ

يريد صاحبيه : زيدا وجعفرا . قال ابن اسحق : « ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عم له بعَرْقٍ من لحم فقال : شُدَّ بهذا صلبك ، فانك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس . فقال : وأنت في الدنيا !! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل »[3] يرحمه الله .

---

(١) ينظر خبر استشهاده في السيرة ق٢ ص٣٧٨ .

(٢) السيرة ق٢ ص٣٧٩ ، وطبقات الشعراء ص١٨٩ مع خلاف بسيط في الرواية وحذف . اجلبوا : صاحوا واجتمعوا . الرنة : صوت ترجيع شبه البكاء . النطفة : الماء القليل الصافي . الشنة : السقاء البالى.

(٣) السيرة ق٢ ص٣٧٩ .

هؤلاء الثلاثة ـ حسان وكعب وعبدالله ـ شعراء المسلمين في المدينة ، الذين دافعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وناقضوا المشركين ، وهاجوهم ، وصوروا الحرب الكلامية من الجانب الاسلامي ، وهؤلاء هم الذين أنزل الله فيهم قوله : « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا »[(١)] مستثنيا اياهم من الشعراء الذين يتبعهم الغاوون .

وقد رأينا من خلال العرض الموجز لحياة وشعر كل منهم ، الاثر الديني الجديد ، فهم وان لم يوفقوا التوفيق كله ، في استيعاب المثل والمعاني الدينية وعرضهافي شعرهم ، الا أنهم استطاعوا أن يرددوا بعضا من معاني الآيات القرآنية ، ويحاجوا المشركين ، ويباهوهم بفضل الدين ، وخير رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولعل السبب في تقصير الشعراء عن تمثيل المعنى الديني ، بشكل واضح في فهم الدين ، ان الشعراء أنفسهم لما يستطيعوا بعد فهم الدين الاسلامي ، ذلك الفهم الذي يتعمق نظمه ومبادئه ، بحيث يتهيأ لهم التعبير عن كل ذلك باصالة ووضوح . هذا شيء ، وشيء آخر له صلة وثقى بما تقدم ، هو أن أثر الحركات الدينية والفكرية ، وكذلك الثورات ، لايظهر واضحا كاملا في وقت مبكر ، بل لابد أن تمر فترة كافية تستقر فيها النفوس والاذهان ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعوض ما فات على الشعراء ، فيوجههم ويسدد خطاهم ، ويدفعهم في سبيل الدين ، فتهيأ لهم

---

(١) سورة الشعراء ـ آية ٢٢٧ . وانظر تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ص٣٦٧ ط ٢ المطبعة البهية المصرية ١٣٤٤هـ ١٩٢[٥]م .

هناك شعراء آخرون في المدينة لم يبلغوا شأو الفحول وقد سقطت لهم اشعار فيها ايمان وتقى مثل صرمة بن أبي أنس الانصاري ، وأبي الدرداء . انظر أشعارا لهم في الاستيعاب جـ١ ص١٤ ، ٣٣٤ ، ٦٦٣ .

بذلك أن يقوموا بمهمتهم الشعرية طيلة السنوات الثماني التي كانت بين الهجرة والفتح ، أما بعد فتح مكة ، فقد انضم الى هؤلاء الشعراء ـ باستثناء عبدالله بن رواحة ، الذي استشهد في نفس سنة ثمان ـ شعراء جدد ، منهم عباس بن مرداس الذي لمع اسمه في معركة حنين ، وكذلك بجير بن زهير وأخوه كعب بن زهير ، ولم ندرج هؤلاء في شعراء المدينة لانهم لم يشاركوا المسلمين في معاركهم الاولى قبل الفتح ، وجعلناهم مع غيرهم ضمن شعراء البادية لان شعرهم بدوي أعرابي •

أما شعراء المسلمين من المهاجرين ، وأما النساء المهاجرات الشواعر ، فسنعقد الفصل الثاني للتعرف بهم وعرض ما تيسر من شعرهم •

شعر المهاجرين

لم يكن شعر الانصار في المدينة وحده الممثل للدين ، والمعبر عن عواطف المسلمين وأمانيهم ، بل كان هناك شعر آخر ، عبر عن أماني المسلمين ، ودعا الى تحقيقها ، وشارك في الاحداث فوصفها ، وسجل النزعة الدينية الجديدة ، وذلك هو شعر المهاجرين والمهاجرات ، سواء من هاجر منهم الى الحبشة ، أو الى المدينة ، أو هاجر الهجرتين ، وفي كل ذلك سعى في سبيل الله ، وفي سبيل الدين الحنيف كي ينتشر وينتصر .

فمن الذين هاجروا الهجرتين عبدالله بن جحش ، فعندما اشتد عدوان قريش وأذاها ، ولقى المسلمون ـ وهم بعد قلة ضعفاء ـ من قومهم المشركين ضروب الايذاء والارهاق والعنت ، اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أن يهاجروا الى الحبشة ، اتقاءا لأذى قريش ، ونجاة بدينهم وأنفسهم . فكان عبد الله ممن هاجر ثم عاد ثانية بعد أن ثبت أمر المسلمين ، وقوى شأنهم ، فهاجر تارة أخرى الى المدينة[1] ليلحق بالمسلمين هناك .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه ويؤثره ويعتمد عليه ، فكان يوجهه بمهمات ينجزها على خير وجه ، فقد بعثه عليه السلام ليترصد

(١) حول هجرته الى الحبشة ينظر السيرة ق١ ص٣٢٤ وحول هجرته وأهله الى المدينة في السيرة أيضا ق١ ص٤٧٠ .

قريشا مع ثمانية رهط من المهاجرين ، وكتب له كتابا ، أمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحدا ، ففعل عبدالله . وقد مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة لها فيها عمرو بن الحضرمي ، وترددوا في قتل القوم لانهم في الشهر الحرام ، ثم اختلفوا في حقيقة اليوم ، فأقدموا على قتل عمرو بن الحضرمي واستأسروا عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان . وهرب منهم نوفل بن عبدالله ، فلما رجع عبدالله بالعير والاسيرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استنكر الرسول قتالهم في الشهر الحرام ، فأنزل الله سبحانه قوله : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قُل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجدِ الحرام واخراجُ أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتلِ »[1] . وقد قالت قريش في ذلك : « قد أحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه المال ، وأسروا فيه الرجال »[2] . فقال عبدالله في ذلك ، يرد على قريش ، ويستفيد من الآيات الكريمة في ذلك[3] :

تعدون قتلا في الحرام عظيمةً
وأعظم منه لو يرى الرشد راشدُ

صدودكمُ عما يقول محمد
وكفر به والله راءٍ وشاهدُ

---

(١) السيرة ق١ ص٦٠١ ـ ٦٠٤ ، وسورة البقرة آية ٢١٧ . وورد الخبر فقط في المغازي ص٤ .

(٢) نفس المصدر السابق وأمتاع الاسماع جـ١ ص٥٥ ـ ٥٨ ، تاريخ الكامل جـ٢ ص٤٢ ـ ٤٣ .

(٣) السيرة ق١ ص٦٠٥ ـ ٦٠٦ .

واخراجُكم من مسجد الله أهله

لئلا يُرى لله في البيت ساجد

فانّا وان عيرتمونا بقتله

وارجفَ بالاسلام باغ وحاسد

سقينا من ابن الحضرمي رماحنا

بنخلة لما أوقد الحرب واقد

دما وابن عبدالله عثمان بيننا

ينازعه غلٌ من القيد عاند

وكان عبدالله قد شهد بدرا ، فأبلى فيها البلاء الحسن ، حتى نال الشهادة فيها[1] ، يرحمه الله .

وكان لعبدالله بن جحش أخ شاعر ، هو : أبو أحمد عبد بن جحش لم يكن ممن هاجر الى الحبشة ، فقد كان كفيف البصر[2] ولعل ذلك كان عائقا قعد به دون الهجرة ، الا أنه هاجر مع من هاجر من أهله الى المدينة حين ضيقت عليهم قريش وآذتهم وهم على دين الله ، لم يزعزع أذى قريش ايمانهم ، وقد وصف أبو أحمد ما كان يلقاه وأهله في سبيل الله فقال[3] :

ولو حلفت بين الصفا أم أحمد

ومروتها بالله برت يمينها

---

(١) السيرة ق٢ ص١٢٢ ومغازي رسول الله ص١٢٠ وأمتاع الاسماع جـ١ ص١٥٥ .

(٢) كان عبد بن جحش أعمى يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ــ السيرة ق١ ص٤٧٠ .

(٣) السيرة ق١ ص٤٧٢ ــ ٤٧٣ . غنم بن دودان : قبيلة الشاعر

لَنحنُ الألى كنا بها ثم لم نزل
بمكة حتى عاد غثا سمينها

بها خيمت غنم بن دودان وابتنت
وما انْ غدت غنم وخف قطينها

الى الله تغدو بين مثنى وواحد
ودين رسول الله بالحق دينها

وشعر أبي أحمد تعبير عن عواطف المسلمين في مكة ، حيث آذتهم قريش واستضعفتهم ، فدفعتهم أن يغادروا أرضهم ومالهم ، وقد وصف أبو أحمد حاله وحال قريش حين هاجر الى المدينة فذكر ما في هذه الهجرة من تلبية لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما فيها من أجر في سبيل الله ، وقد وصف قريشا بأنهم قوم بغوا واعتدوا ، ولم تجد معهم هداية ولا نصيحة . أما وقد وضح الحق ، وتبين الباطل ، فهم فئتان : واحدة نشدت الحق والهدى فوفقت ، وأخرى وسوس لها الشيطان فأضلها عن الحق فخابت وخيبت ، قال[1] :

لما رأتني أم أحمد غاديا
بذمة من أخشى بغيب وأرهب

تقول : فاما كنت لا بد فاعلا
فيمم بنا البلدان ولتنأ يثرب

فقلت لها : بل يثرب اليوم وجهنا
وما يشأ الرحمن فالعبد يركب

(١) السيرة ق١ ص٤٧٣ ـ ٤٧٤ . الوتر : طلب الثأر . الرغائب: العطايا الكثيرة . ملحب : طريق واضح . اوعبوا : اجتمعوا وكثروا . أجلبوا : صاحوا . تزايلوا : تفرقوا . ورعنا : رجعنا .

الى الله وجهي والرسول ومن يُقِمْ
الى الله يوما وجهه لا يُخَيَّبُ

فكم قد تركنا من حميمٍ مناصح
وناصحةٍ تبكي بدمع وتندب

ترى أن وترا نأينا عن بلادنا
ونحن نرى أن الرغائب نطلب

دعوت بني غنم لحقن دمائهم
وللحق لما لاح للناس ملحب

أجابوا بحمد الله لما دعاهم
الى الحق داع والنجاح فأوعبوا

وكنا وأصحابا لنا فارقوا الهدى
أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا

كفوجين : أما منهما فموفق
على الحق مهديٌ وفوج معذبُ

طغوا وتمنوا كذبة وأزلّهم
عن الحق ابليس فخابوا وخُيِّبوا

ورِعْنا الى قول النبي محمدٍ
فطاب ولاة الحق منا وطُيبوا

وعز على المشركين ان يفلت المسلمون من قبضتهم ، فنفسوا عن أحقادهم بأن آذوا المسلمين في بيوتهم . فهذا أبو سفيان بن حرب يبيع دار بني جحش عدوانا منه وانتقاما . وقد رأى أنه أحق الناس بها من غيره ، لان ابنته الفارعة تحت أبي أحمد . فلما بلغ بني جحش ما صنع أبو

سفيان بدارهم ، ذكر عبدالله بن جحش ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الرسول ، فيما يروى : « ألا ترضى يا عبدالله بأن يعطيك الله بها دارا خيرا منها في الجنة ؟ قال : بلى ، قال : فذلك لك »[١] .

فلما كان الفتح ، كلم أبو أحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في دارهم فأبطأ عليه ، فقال الناس لابي أحمد : « يا أبا أحمد : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكره ان تراجعوا في شيء من أموالكم ، أصيب منكم في الله عز وجل » . فأمسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال يخاطب أبا سفيان[٢] :

أبلغ أبا سفيان عن
أمرٍ عواقبه ندامه

دار ابن عمك بعتَها
تقضى بها عنك الغرامه

وحليفُكم بالله رب الناس مجتهد القسامه

اذهب بها اذهب بها
طُوِّقتها طوق الحمامه

وكما لقي عبدالله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد العذاب في سبيل الله ، والهجرة هربا بالنفس والدين ، فكذلك لقى عثمان بن مظعون من قومه الاذى والبغي والعدوان ، فهاجر هجرته الاولى الى الحبشة[٣] ، وقال في ذلك شعرا يعاتب ويؤنب فيه ابن عمه أمية بن خلف[٤] :

---

(١) السيرة ق١ ص٤٩٩ .
(٢) السيرة ق١ ص٥٠٠
(٣) السيرة ق١ ص٣٢٢ و ٣٢٧
(٤) السيرة ق١ ص٣٣٢ وتيم بن عمرو هو جمح جد أمية (أمية ابن خلف بن وهب بن حذافه بن جمح) . الشرمان : مثنى شرم وهولجة =

أتيم بن عمرو للذي جـاء بغضـة
ومن دونـه الشرمان والبرك اكتـع

أأخرجتني من بطن مكة آمنـا
وأسكنتني في صرح بيضاء تقذع

تريش نبـالا لا يؤاتيك ريشها
وتبري نبـالا ريشها لك أجمـع

وحاربت أقوامـا كرامـا أعـزة
وأهلكت أقوامـا بهم كنت تفـزع

ستعلم ان نابتك يوما مُلِمـة
وأسلمك الاوباش ما كنت تصنع

وقد ظن المسلمون في الحبشة ، أن أهل مكة قد أسلموا ـ فيمـا بلغهم ـ فعاد منهم من عاد ، وكان فيهم عثمان بن مظعون . فلما كانوا قرب مكة ، علموا أن لاصحة لخبر اسلام مكة ، فلم يدخل منهم أحد ـ فيما يقول بن اسحق ـ الا بجوار أو مستخفيا[1] .

فدخل عثمان بن مظعون بجوار من الوليد بن المغيرة[2] ، ثـم رد عثمان على الوليد جواره بدافع من ايمانه العميق وغيرته على أصحابـه المسلمين ، وقد قال في ذلك : « والله ان غدوي ورواحي ، آمنا بجوار رجل من أهل الشرك ،وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والاذى

= البحر وهنا اسم موضع وكذلك البرك . اكتع : توكيد لاجمع وقد حذفت على غير القياس . صرح بيضاء : يريـد الحبشة أي قصـر النجاشي . الاوباش : الضعفاء الداخلون في القوم وليسوا منهم .

(١) السيرة ق١ ص٣٦٤ و٣٦٧

(٢) السيرة ق١ ص٣٦٩

في الله ما لا يصيبني ، لنقص كبير في نفسي »[1] • ثم يحضر عثمان مجلسا لقريش ، فيه لبيد بن ربيعه العامري ينشدهم ، فسمع عثمان قول لبيد :

« ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان : صدقت ، قال لبيد :

« وكل نعيم لا محالة زائل

قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول » فاستاء لبيد ، واستاء الحاضرون ، وتراد عثمان وبعض الحاضرين القول ، حتى لطمه أحدهم لطمة خضرت عينه ، فقال الوليد ـ وكان حاضرا يشهد ما أصاب عثمان ـ : « أما والله يا ابن أخي ، ان كانت عينك عما أصابها لغنية ، لقد كنت في ذمة منيعة » • قال عثمان : « بل والله ان عيني الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها في الله ، واني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر »[2] • ثم عرض عليه الوليد أن يعود الى جواره فرفض عثمان • وفي هذا الخبر من الدلالة على ايمان عثمان ، وثباته على ايمانه ،وتضحيته في سبيل مثله الاعلى الذي هوالاسلام ، ما يغني عن الشرح والتوضيح •

ثم هاجر عثمان ، فلحق باخوانه المسلمين في المدينة ، ثم يشهد بدرا ويكون له فيها حسن البلاء[3] • وتوفي في المدينة بعد بدر بقليل •

ومن المهاجرين والمسلمين الاوائل ، الذين قصدوا الحبشة بأذن من رسول الله ، ونجاة مما يلقونه من عدوان قريش : عبدالله بن الحارث

---

(١) السيرة ق١ ص٣٧٠

(٢) السيرة ق١ ص٣٧٠ ـ ٣٧١ • وكذلك وردت في الاغاني جـ١٤ ص٩٦ ط ساسي والاصابة جـ٣ ص٣٢٦ والكامل ـ ابن الاثير جـ٢ ص٢٨ •

(٣) السيرة ق١ ص٦٨٤

السهمي ، قال شعرا يذكر فيه عدوان قريش ، وما يلقـاه المسلمون من عذاب وضيم[١] :

يـا راكبـا بلِّغـن عني مُغلغلـة
من كان يرجـو بلاغ اللـه والدينِ
كل امرىءٍ من عبـاد الله مضطهد
ببطن مكـة مقهـور ومفتون
أنّـا وجدنا بـلاد اللـه واسـعة
تنجي من الذل والمخزاة والهـون
فلا تقيمـوا على ذل الحيـاة وخز
يٍ في الممـات وعيب غـير مأمون
انا تبعنـا رسـول الله واطرحـوا
قـول النبي وعالـو في الموازيـن
فاجعل عذابك بالقـوم الذين بغـوا
وعائـذا بـك أن يعلـو فيطغوني

وعلى الرغم من أن هذا الشعر ، قد قيل في فترة مبكرة من عهـد الاسلام ، فان فيه روحا اسلاميا واضحا . ولعبدالله شعر غيره ، قاله في ذكر باطل قريش وجحودها لحق الله ، ويقرن فعلها ذلك بفعل عـاد ومدين وثمود ، ويهدد ويوعد قريشا من بعيد[٢] :

---

(١) السيرة ق١ ص٣٣٠ ـ ٣٣١ .

(٢) السيرة ق١ ص٣٣١ . الحجر : أهل الحجر وهـم ثمود . أبرق : أهدد ، وبهذا البيت سمى الشاعر المبرق . النقر : البحث عـن الشيء ، التنقير عنه ، ويروى النفر أيضا .

وتلك قريش تجحد الله حقه
كما جحدت عاد ومدين والحجر

فان أنا لم أُبرِق فلا يسعنني
من الارض بَرٌ ذو فضاءٍ ولا بحر

بأرض بها عبد الاله محمد
أُبيِّنُ ما في النفس اذ بلغ النقر

وقال كذلك يصف حالة المسلمين وهجرتهم[1] :

أبت كبدي لا أُكذِبَنْكَ قتالهم
عليَّ وتأباهُ عليَّ أناملي

وكيف قتالي معشرا أدَّبوكم
على الحق أن لا تأشبوه بباطل

نفتهم عباد الجن من حر أرضهم
فأضحوا على أمرٍ شديد البلابل

وعبدالله بن حذافة شاعر من شعراء قريش الذين ذكرهم ابن سلام[2] ، وكان المؤمل أن يقول شعرا كثيرا ، في مهاجره بالحبشة ، وعند عودته منها ، ولعل لوجوده بأرض الحبشة حيث يصعب نقل الشعر وروايته من بلد أعجمي الى بلد عربي من ناحية ، ولان الشعرالذي قاله لا يروق لقريش ، فلم ترو منه شيئا من ناحية أخرى ، ولقصر الفترة بين عودته من أرض الحبشة (سنة سبع) ، ووفاته مستشهدا يوم الطائف

(١) نفس المصدر والصفحة . تأشبوه : تخلطوه . البلابل . الوساوس والاحزان . حر أرضهم : أرضهم الكريمة .
(٢) طبقات الشعراء ص ١٩٥

(سنة ثمان)[1] من ناحية ثالثة ، ما يفسر قلة شعره •

ولم يكن شعر المهاجرين وحده ليمثل الشعر الاسلامي ، بل كان هناك شعر آخر يؤازره ويشد منه ويكمل صورته في الذهن ، وذلك هو شعر النساء المهاجرات من مكة ، ولو أن شعرهن في أكثره قد تناول جانبا خاصا ، هو رثاء الشهداء ، وندب الموتى ، والبكاء على صرعى المسلمين ، ومن الطبيعي أن لا تظهر في هذا المجال النزعة الدينية واضحة بارزة ، وضوحها عند الشعراء من الرجال ، الذين طرقوا موضوعات أعم وأشمل ، وفيها حيوية وتمثيل لوجهة نظر المسلمين •

ومن شواعر المسلمين المهاجرات في سبيل الله ، هند بنت أثاثه بن عبدالمطلب[2] • قالت تبكي عبيدة بن الحارث بن المطلب ، وكان قد استشهد في بدر ، قتله عتبة بن ربيعة ، قطع رجله فمات بالصفراء[3] :

لقد ضُمِّنَ الصفراء مجدا وسؤددا
وحلما أصيلا وافر اللب والعقلِ

---

(١) ذكر ابن اسحق في السيرة ق٢ ص٤٨٦ أنه استشهد يوم الطائف ثم ذكر في موضع آخر ق٢ ص٣٦٥ أنه هلك بأرض الحبشة وكرر ذلك في ق٢ ص٣٦٧ ولم يذكره مع القادمين من أرض الحبشة الا أن الذي يرجح استشهاده يوم الطائف الروايات التي جاءت في : جمهرة أنساب العرب ص١٥٦ ونسب قريش ص٤٠١ والاستيعاب ق٣ ص٨٨٥ • وبذلك تكون عبارة : هلكه بأرض الحبشة غير موثوق بها •

(٢) ينظر خبرها في الطبقات الكبير جـ٨ ص١٦٥ ـ ١٦٦ ط ليدن •

(٣) السيرة ق١ ص٧٠٦ شهداء بدر وينظر الشعر في ق٢ ص ٤١ ـ ٤٢ • الصفراء : موضع بين مكة والمدينة • الاشعث المتغير • الجذل: أصل الشجرة ، تصفه بالقوة والثبات • الزفزف : الريح السريعة الشديدة التشبيب : ايقاد النار تحت القدر • ازبدت : رمت بالزبد الرغوة • على رسل : بلين وسهولة •

عبيدة فابكيه لأضياف غربة

وأرملة تهوى لأشعث كالجذل

وبكيه للاقوام في كل شتوة

اذا احمرّ آفاق السماء من المحل

وبكيه للايتام والريح زفزف

وتشبيب قدر طالما أزبدت تغلي

فان تُصبح النيران قد مات ضوؤها

فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل

لطارق ليلٍ أو لملتمس القِرى

ومستنبح أضحى لديه على رسل

وقد عقَّب ابن هشام بقوله : « وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لهند »[1] . على أن مرجحات الظن تدعم نسبة هذا الشعر لهند ، أو امرأة مصابة مثل هند ، فصلة الرحم التي تجمع هندا بعبيدة بن الحارث ، ونفس المرأة في هذا الشعر ، حيث ترى في الرجل مصدر القوة والخير والكرم والنجدة ، كل ذلك يرجح نسبة الشعر اليها .

وفي أحد كانت هند بنت عتبه قد مثلت بقتلى المسلمين ، وعلت على صخرة مشرفة ، وصرخت ترتجز متشفية بمصاب المسلمين :

نحن جزيناكم بيوم بدر

والحرب بعد الحرب ذات سُعرِ

---

(١) السيرة ق٢ ص ٤٢ .

فأجابتها هند بنت أثاثه ، هاجية ومنكرة وداعية عليها[1] :

خزيت في بدر وبعد بدر
يا بنت وقّاعٍ عظيم الكفرِ
صبّحك الله غداة الفجرِ
ملهاشمين الطوال الزهر
بكل قطّاع حسام يفري
حمزة ليثي وعليٌ صقري
اذ رام شيب وأبوك غدري
فخضبا منه ضواحي النحر
ونذركِ السوءَ فشرُ نذر

وقال ابن هشام بعدها : « تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعت فيها » . والاقذاع في شعر النساء ظاهرة معروفة ، فالمرأة تغلبها عواطفها ، وتتراكم على صدرها المشاعر الفوارة ، فلا تستطيع أن تهذبها وتنسقها ، بل تطلقها على الطبيعة بما فيها من حماس واقذاع وسباب ، وتلك سنة الله في خلقه .

وقد بكت هند رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بقطع حزينة ، قالت تخاطب فاطمة بنت النبي[2] :

أشاب ذؤابتي وأذل رُكني
بكاؤكِ فاطمَ الميت الفقيدا

(١) السيرة ق٢ ص٩١ ـ ٩٢ . الوقاع : الكثير الوقوع في الدنايا ملهاشميين : من الهاشميين . الزهر : ج ازهر ، الابيض . يفرى : يقطع . شيب : مرخم شيبة وهو شيبة بن ربيعة بن عبد شمس عم هند بنت عتبة . ضواحي النحر : ما ظهر من الصدر .

(٢) الطبقات الكبير ق٢ جـ٢ ص٩٧ .

وكذلك قالت[1] :

ألا يا عين بـــكّي لا تـمـلي

فقد بكر النعـــي بمن هويت

ولها غير ذلك مقطعات في رثاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الا أن أثر الاسلام في ذلك غير ظاهر •

وشاعرة أخرى من شواعر المسلمين ، فعلت ما فعلته هند في بكاء القتلى ، والتفجع على المسلمين ، ولعل الروح الاسلامي يظهر في شعرها أوضح منه في شعر هند ، تلك هي صفية بنت عبدالمطلب ، عمة رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم الزبير بن العوام الصحابي الجليل[2] ، وأخت حمزة بن عبدالمطلب ، عم رسول الله ، الذي استشهد في أحد • ولصفية شعر رواه ابن اسحق عن محمد بن سعيد بن المسيب ، نذكره هنـــا ، لا لتثبتنا من صحته ــ فقد ذكر ابن هشام انه : لم ير أحدا من أهل العــلم بالشعر يعرف هذا الشعر • الا أنه لما رواه محمــــد بن سعيد بن المسيب دونه[3] ــ بل لانه لا يخلو من فائدة ، فصفية شاعرة ليس في ذلك ريب ، ولكن الريب يحوم حول أخواتها وطريقة صياغة القصة •

روي أن عبدالمطلب لما حضرته الوفاة ، وعرف أنه ميت ، جمــع بناته وكن ست نسوة : صفية ، وبرة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء ، وأميمة وأروى • فقال لهن : « ابكين عليّ ، حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت »• فقالت صفية تبكي أباها[4] :

---

(١) نفس المصدر السابق •

(٢) نسب قريش ص ٢٠ •

(٣) السيرة ق١ ص ١٦٩ •

(٤) السيرة ق١ ص١٦٩ ــ ١٧٠ • الفريد : الــدر • الوغــل : الساقط المقصر في الامور • النكس • الضعيف • الشخت : الدقيــق =

أرِقتُ لصوت نائحة بليل
على رجلٍ بقارعة الصعيدِ
ففاضت عند ذلكم دموعي
على خدي كمنحدر الفريدِ
على رجل كريم غير وغلٍ
له الفضل المبين على العبيد
على الفيّاض شيبة ذي المعالي
أبيك الخير وارث كل جود
صدوقٍ في المواطن غير نِكسٍ
ولا شخت المقام ولا سنيد

• • •

عظيم الحلم من نفرٍ كرامٍ
خضارمة ملاوثة أُسود
فلو خلد أمرؤ لقديم مجد
ولكن لا سبيل الى الخلود
لكان مُخلدا أخرى الليالي
لفضل المجد والحسب التليدِ

وتستمر بنات عبدالمطلب في رثاء أبيهن ، واحدة تلو الاخرى ، فاذا ما انتهين ، أشار عبدالمطلب برأسه ـ وقد أُصْمِتَ ـ أن هكذا فأبكينني[1].

= الضامر • السنيد : الضعيف الذي يسند رأيه الى غيره • خضارمة : ج خضرم ، الجواد المعطاء • ملاوثة : أقوياء ج ملوات من اللوثة وهي القوة •

(١) السيرة ق١ ص١٧٣ •

هذا ما روي من شعر لصفية في الجاهلية ، وهو شعر يناسب طبيعة المرأة في البكاء على الميت ، وذكر محامده في القوة والبأس والكرم •

أما في الاسلام فقد كان حزنها الشديد ، وشعرها الحزين المتفجع على حمزة أخيها ، وكان قد استشهد في أحد ، ووجد في بطن الوادي وقد بُقر بطنه عن كبده ، ومثل به ، نجدع أنفه ، وقطعت أذناه وكانت التي مثلت به هند بنت عتبة ، فقد لاكت كبده فلم تسغها ـ وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين رأ ى ما رأى ، قال : « لولا أن تحزن صفية ، ويكون سنة من بعدي ، لتركته حتى يكون في بطوع السباع ، وحواصل الطير »[1] • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حريصا على أن يجنب صفية رؤية أخيها وقد مُثّل به • وقد أبدت صفية صبرا واحتسابا في سبيل الله • وقال كعب بن مالك يرثي حمزة ويخاطب صفية [2] :

صفية قومي ولا تعجزي

وبكّي النساء على حمزة •••الخ

وقالت صفية تبكي أخاها[3] :

أسائلة" أصحاب أحد مخافة

بنات أبي من أعجم وخبيرِ

فقال الخبير ان حمزة قد ثوى

وزير رسول الله خير وزير

---

(١) السيرة ق٢ ص٩٥ وأمتاع الاسماع جـ١ ص١٥٣ ـ ١٥٤ •

(٢) السيرة ق٢ ص١٥٨ وقد مرت القطعة عند الحديث عن كعب ابن مالك •

(٣) السيرة ق٢ ص ١٦٧ •

فذلك ما كنـا نرجى ونرتجي

لحمزة يوم الحشر خير مصير

فوالله لا أنسـاك مـا هبت الصبـا

بكاءاً وحزنا محضري ومسيري

على أسدِ الله الـذي كان مدرهـاً

يذودُ عن الاسلام كلَّ كفـورِ

فياليت شـلوى عنـد ذاك وأعظُمي

لدى أضبـعٍ تعتـادُني ونُسـورِ

أقولُ وقد أعـلى النعيَّ عشـيرتي

جزى اللهُ خيرا من أخٍ ونصير[1]

ويتميز هذا الشعر بصدق الايمان ، والتأثر بالقرآن ، ويتضح ذلك في قولهـا :

دعاه اله الحـق ذو العرش دعوةً

الى جنـة يحيـا بهـا وسـرور

وكذلك في قولها :

يذودُ عن الاسـلام كلَّ كفـور

وأورد ابن سعد في كتابه[2] مقطوعات في رثاء رسول الله صـلى الله عليه وسلم ، تتشابه في الصيغة والاسلوب ، من ذلك قطعة مطلعها :

لَهفَ نفسي وبتُّ كالمسـلوبِ

آرقُ الليـلَ فعْلـةَ المحـروبِ

---

(١) النعى ـ يروى بالرفع على الفاعلية وبالنصب على المفعولية .

(٢) الطبقات الكبير ق٢ جـ٢ ص ٩٤ـ٩٥ وكذلك ذكر رثاء عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وأم ايمن ، وهند بنت الحارث بن عبد المطلب وهند بنت أثاثه . لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ص ٩٣ ـ ٩٨ .

وكذلك قالت تخاطب فاطمة الزهراء :

أفاطـــم بكّـــي ولا تســـأمي
بصبحـــك ما طلـــع الكوكـــب

ومن الشعر الذي تظهر فيه عواطف المرأة وشـــخصيتها وجزعها ، شعر نُعم بنت سعيد زوجة شماس بن عثمان ، قالت تبكي شماساً ، وكان أصيب يوم أحد[1] :

يا عين جودي بفيض غير ابساس
على كـــريم من الفتيـــان أباس
صعب البديهـــة ميمـــون نقيبتُـــه
حـمال الويـــة ركّاب أفـــراس
أقول لمّا أتى الناعي لـــه جزعـــا
أودى الجوادُ وأودي المطعمُ الكاسي
وقلـــتُ لما خلتْ منـــه مجالسُه
لا يُبعدُ الله عنا قُربَ شمّاس

فقال أخوها أبو الحكم بن سعيد بن يربوع يخفف عنها ويعزيها[2]:

اقني حياءك في ستر وفي كـــرم
فانّما كـان شمّاسٌ من النـاس

---

(١) السيرة ق٢ ص١٦٨ الابساس : مسح ضرع الناقة لتـــدر ، يقال لها بس بس ، وقد استعارت هذا المعنى للدمع الفائض بغير تكلف . الاباس : الشديد الذي يغلب غيره . البديهـــة : اول الرأى . ميمـــون نقيبته . مسعود فعاله .

(٢) السيرة ق٢ ص١٦٨ . اقني حياءك : احفظي حياءك والتزمي به يوم الروع : يوم الفزع والباس وهو القتال .

لا تقتُلي النفسَ اذ حانت منيَّتُــــه

في طاعةِ اللــه يوم الرَّوع والباسِ

قد كان حمزةُ ليثَ الله فاصطبري

فذاقَ يومئــذٍ من كأسِ شمَّــاسِ

وهناك شعر اسلامي دونته كتب السيرة ، لشعراء مسلمين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن آل بيته ، وقد تركنا ذلك الشعر ، والخوض فيه ، لأن الشك يحوم حولــه ، وان الاحداث التاريخيــة وملابسات أخرى ، اتاحت للخرافة أن تنسج خيوطها حول اصحابــه ، نحيكت في ذلك شتى الاساطير • ومن أولئك الصحابة وآل بيت رســول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين أولع الناس بأن ينسبوا اليهــم أقوالا وأشعارا : علي بن ابي طالب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وطالب بن ابـي طالب ، وأبو بكر الصديق ، وغيرهم • وقد عظم على الناس ان يكون لهم ذلك الابلاء في سبيل الله ، ولا يكون لهم في ذلك شعر ، فلفق المتأخرون أشعارا ونسبوها اليهم[1] •

---

(١) هناك ديوان منسوب لعلي بن ابي طالب طبع مرارا ، وكذلك نسب ديوان لابيه ابي طالب • ينظر تاريخ الادب العربي ـ بروكلمان ج ١ ص ١٧٥ ، الترجمة العربية • وذكر ياقوت الحموي عن ابي عثمان المازني انه « لم يصح أن عليا تكلم من الشعر بشيء غير بيتين » معجم الادبــاء ج ٥ ص ٢٦٣ ، ط مرجليوث • وقد اورد ابن اسحق لعلي بن ابي طالب شعرا في بناء مسجد المدينة ـ السيرة ق ١ ص ٤٩٧ ـ وأورد له كذلــك قصيدة في خمسة عشر بيتا يوم بدر أنكرها ابن هشام ـ ق ٢ ص ١١ـ١٢ ورجزا يوم أحد ـ ق ٢ ص ١٦٦ ـ أنكره ابن هشام ايضا ، وقصيدة في خمسةعشر بيتا يوم بنى النضير ـ ق ٢ ص ١٩٧ ـ أما حمزة فقد أورد له ابن اسحق قصيدة في أربعة عشر بيتا ـ ق ١ ص ٥٩٦ـ٥٩٧ ـ وقصيدة أخرى في يوم بدر في سبعة عشر بيتا أنكــرها ابن هشام ـ ق ٢ ص ٨ وأما أبو بكر فذكر له ابن اسحق خمسة عشر بيتا في غزوة عبيد بن الحارث أنكرها ابن هشام ـ ق ١ ص ٥٩٢ ـ ونسب له ابن اسحق شعر عبدالله ابن جحش في غزوته ، ستة عشر بيتا ـ ق١ ص٦٠٥ •

أما وقد انتهينا من الكلام عن شعر المسلمين ؛ المهاجرين منهم والانصار • فلننظر في هذا الشعر نظرة اجمال ، فماذا نجد فيه من الامور البارزة ؟ نجد أنه لم يبرز من شعراء المدينة في ظل الاسلام الا ثلاثة ، هم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة ، وأختفى من الميدان قيس بن الخطيم وأبو قيس بن الاسلت ، ونجد أن هؤلاء الشعراء عريقون مجيدون ، وهم في قومهم من سراة الناس • على أنه عرف غير هؤلاء من الذين شاركوا في المناوشات الشعرية ضد قريش ، وهم شعراء مغمورون ، لم يبرزوا ولم يخلفوا شعرا وافرا ، وشعر هؤلاء متناثر في تضاعيف الكتب ، وبخاصة في سيرة ابن هشام ، وليس في جمعه ـ فيما نظن ـ كبير فائدة (١) •

أما الشعراء الذين هاجروا الى المدينة ، أو الى الحبشة من المسلمين أول الدعوة ، فلم يبلغوا شأو الثلاثة المقدمين • وشعرهم مقطعات وابيات ، لم يبلغ القصيد ،وقد كان شعرهم يمثل الوجهة الاسلامية أول الدعوة ، أما ابان أزدهار الشعر في الحرب الكلامية بين مكة والمدينة ، فلم يكن لهم صوت •

وعلى الرغم من ان هؤلاء الثلاثة : حسانا وكعبا وعبدالله ، هم

---

(١) لان اكثر ذلك الشعر مشكوك في صحته وصحة نسبته ، وقد نبه ابن هشام على ذلك في مواضعه ، ونذكر من ذلك شعر : خوات بن جبير يجيب العباس بن مرداس حين مدح وبكى النضير • السيرة ق ٢ ص ٢٠١ وشعر عبدالله بن أنيس في قتله ابن نبيح بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم • السيرة ق٢ ص ٦٢٠ • وشعر ميمونة من بنى مريد بطن من بلي ، في الرد على كعب بن الاشرف اليهودي السيرة ق٢ ص٥٣ • وشعر ابي خيثمة في اخراج زينب بنت الرسول الكريم السيرة ق ٢ ص ٦٥٥ • وشعر خبيب بن عدى حين غدرت به قريش ثمصلبته • السيرة ق ٢ ص ١٧٦ • وشعر عبيدة بن الحارث يوم بدر الذي قطعت رجله فذكر ذلك في شعره السيرة ق ٢ ص ٢٣ • وغير ذلك •

عماد الشعر الاسلامي ، وألسن الدعوة ، الا انهم لم يوفقوا في تمثيل الدعوة على الوجه الاكمل ، فشعرهم لم يرتفع الى مستوى الحدث ، فهو وان كان قريب الصلة بالدين ، الا أنه لم يوفق التوفيق الكامل المرتجى في ابراز وجه الدعوة الاسلامية ، وتعاليم الدين الحنيف ، الا بقدر • ذلك لان الشاعر في هذه الفترة ، كان يعبر عن حاجات الجاهلية ، وحاجات الاسلام ، حاجات الجاهلية التي نشأ عليها وألفها وأستجاب لها ، وصارت جزءا من تكوينه الفكري والخلقي والفني ، وحاجات الاسلام الجديدة التي صارت جزءا من حياة الشاعر الجديدة ، وضرورة تمليها عليه تعاليم الاسلام ، ومبادىء الدين • وكان لابد للشاعر من أن يوفق بين الحاجتين، فهو لن يستطيع أن ينزع عنه موروثات الجاهلية وآثارها ـ حتى لو أراد ـ ولذلك نجد أن الشعر في هذه الفترة يبدو ـ لاول وهلة ـ مقصرا عن تأدية المهمات التي نيطت به ، ولكن هذا الامر في حقيقته طبيعي ، اذا ما نظر للظروف العامة التي تحيط بالشاعر ، وبناء على هذا ، نجد استمرار النفس الجاهلي في هذا الشعر ، وبخاصة في اول العهد بالدين ، واذا جاء المعنى الديني في القصيدة ، فيكون محصورا في بيت أو أبيات ، ويأتي مقتضبا من غير عمق أو توسع ، ولا استرسال أو تفصيل ، فتذكر ـ غالبا ـ الفاظ دينية ، كالكافر والمسلم ، والفاجر ، والمؤمن ، والضلال ، والهدى ، والجنة ، والنار ، أو الذين نصروا الاله ، أو البر الحنيف • ومع أن السور والآيات كانت تنزل في الاحداث ، وفيها حث وتوجيه ، وفرض الفروض ، ومخاطبة المشركين ، وتحريض المؤمنين ، مع كل ذلك لم تكن افادة الشعراء من المعاني القرآنية الا قليلا •

الا أن هناك تعويضا جاء من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو يرعى الشعراء المسلمين ، ويوجههم ، ويسدد خطاهم ، ينهاهم عن أمور ، ويحضهم على أخرى ، فكان أن سد نقصهم ، ورعى مواهبهم ،

فقد تعهدها بالصقل والتهذيب والتوجيه ، فمن ذلك انه عليه السلام ، كان لا يرضى ان ينال شعراؤه من أعراض القرشيين ، أو ينتقصوا من أحسابهم ويعيروهم بضعة الشأن وانسب ونق السنن الجاهلية ، فقد لاحظ عبدالله بن رواحة الاستياء في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين وصف عبدالله قريشا بأنهم « أثمان العباء » ، ولكنه كان يظهر استبشاره ورضاه عليه السلام ، بقول عبدالله :[1]

تجالدُ الناسَ عن عُرضٍ فنأسرُهم

فينــا النبيُ وفينــا تنزل السُـورُ

أو أن يقول كعب بن مالك في قريش : « جاءت سخينةُ كي تغالبَ ربَّها ••• » أي عندما يكون المغنى الاسلامي ممثلا ، فأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يسره أن يتناول الشعراء فنون الشعر من الجانب الديني ، أو على ضوء الصورة القرآنية في تناول موضوعات الحياة •

وقد اثمرت جهود الرسول في صقل مواهب الشعراء المسلمين ، فصارت تعطى أكُلها عند الفتح ، أو قبله بقليل ، فالمغنى الاسلامي في الشعر في هذه الفترة ، بدأ يتضح ويعمق ، وصارت الشخصية الاسلامية في الشعر تميز عن شخصية الشاعر الجاهلي ، فبعد ان كان الفخر في الحرب بقوة العدة والعدد ، وبلاء القبيلة وكسب المغنم ، وسبي العدو ، صار الفخر في شعر المسلمين بنيل الشهادة في سبيل الله ، وانتصار جند الله وأمة المسلمين ــ لا القبيلة ــ على أعداء الله المشركين ، وصار الكسب كسب رضوان الله ورسوله ، لا كسب الشاة والبعير • وكان طبيعيا لذلك ان يكون اسلوب الشعر خاضعا للمعنى الجديد ، فصارت لغة الشعر سهلة لينة ،

---

(١) الطبقات الكبير ــ ابن سعد ق٢ ج٣ ص٨١ •

ابتعدت عن خشونة الكلمة الجاهلية ، وصعوبة تركيب العبارة ، ولذلك فليس من الغريب ان يلين شعر حسان الاسلامي ، ويسلس شعر كعب ويعذب ، أما ابن رواحة ، فيكاد أن يكون شعره كلام المتخاطبين ، وهو حديث النفس المؤمنة ، التي تفصح دون اعياء أو تعقيد •

- وكان لجودة هذا الشعر وخصوبته ، ولتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم للشعراء ورعايتهم ، أن ساهم مساهمة فعالة في نشر الدعوة وأخضاع المشركين والمتمردين على الدين ، فيكفي ان يتفوق حسان - شاعر الرسول - على شاعر تميم ليسلم ذلك الوفد ، ويشهد بأن هذا الرجل مؤتى له • - أي رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما ان أبياتا قالهن كعب بن مالك بعد حنين ، توقع الرعب في قلب دوس ، فتدخل الاسلام • فكان شعر هؤلاء الشعراء ، سيفا مصلتا على رقاب المشركين ، وسلاحا بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخضع به أعداء الدين •

ثم ان هذا الشعر ، يمتاز - فيما يمتاز به - بكثرة ما فيه من رثاء الشهداء ، الذين سقطوا في المعارك التي دارت بين المسلمين وبين قريش ، أو بينهم وبين اليهود • ثم رثاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصحابة بعده ، وكان لحمزة عم الرسول النصيب الاوفى من ذلك الرثاء••ولم يكن شعر الرثاء الا صورة من صور الدعاية للدين ، وبث الافكار الاسلامية ، لان شعراء المسلمين كانوا يمزجون رثاءهم لقتلاهم بثواب الآخرة ، والتنعم بجنان الخلد ، والاستشهاد في سبيل الدين هو الغاية السامية التي يسعى اليها المسلم • فالناحية المعنوية لدى المسلمين قوية ظاهرة ، ولم تتح هذه الناحية للمشركين ، فلم يجدوا التبرير المقنع لقتل أصحابهم ، ولم يكن امامهم الهدف السامي البعيد الذي ترتبط به نفوسهم •

أما النساء اللواتي كن يقلن الشعر في المواقف الحربية الاسلامية ،

ففي شعرهن حمية وتحريض على القتال ، وبكاء على القتلى من ذويهن ، واشتفاء بقتلى أعدائهن .

الا ان هذا الشعر ، يكاد يخلو من الأثر الاسلامي الا في القليل ، فقد تسقط بعض المعاني القرآنية ، أو الاقباس الدينية ، وبخاصة عند صفية بنت عبد المطلب . وشعر النساء المسلمات بعامة لا يبعد عن شعر النساء الجاهليات ، اللواتي قلن في موضوعهن ، وبكين قتلاهن ، في أيام العرب الاولى .

الباب الثاني

شعر المعارضة في مكة والطائف
والقرى اليهودية

الباب الثاني

شعر المعارضة في مكة والطائف والقرى اليهودية

مقدمة ـ مكة

بيت الله الحرام ، ومعقل المعارضة ، التي وقفت بوجه الدين الاسلامي ، وقاومت المسلمين طيلة السنوات الثمان التي انتهت بفتح مكة ، واذلال أهلها المتمسكين بموروثاتهم في معتقدات الجاهلية ، والمعتزين بسلطتهم التي كونتها قدسية البيت الحرام .

وفي اسمها يقولون : سميت مكة لانها تمك الجبارين ، أي تذهب نخوتهم . ويقال سميت مكة لازدحام الناس بها ، من قولهم : قد أمتك الفصيل ضرع أمه ، اذا مصه مصا شديدا ، ويقال : مكة اسم المدينة ، وبكة اسم البيت[١] .

وسماها الله تبارك وتعالى : أم القرى فقال : « ولتنذر أم القرى ومن حولها »[٢] . ووصفها بالبلد الامين : « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين »[٣] . وقد أكرمها الله تعالى ، وبارك بيتها ، وجعلها حرما آمنا ، قال تعالى : « ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى

(١) معجم البلدان ـ ياقوت ط السعادة مصر جـ٨ ص١٣٣ .
(٢) سورة الانعام آية ٩٢ .
(٣) التين ١ ـ ٣ .

للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا »[1] . وقال تعالى : « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا »[2] . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحبها ويؤثرها ، فقد وقف على الجزورة لما خرج مهاجرا منها ، قال : « اني لاعلم أنك أحب البلاد الي ، وأنك أحب أرض الله الى الله ، ولولا ان المشركين أخرجوني منك ما خرجت »[3] . وكان يناجيها : « مرحبا بك من بيت ، ما أعظمك وأعظم حرمتك »[4] .

وكان بيت الله الحرام ـ لما له من مكانة دينية ، قبل الاسلام وبعده ـ مصدر نعمة على قريش أهل مكة ، جاءتها العرب من كل حدب وصوب ، حاجة ومتقربة الى أصنامها في مواسم الحج وغير مواسم الحج ، ومعها الهدايا والنذور ، وأصناف البضائع التي تعرضها في أسواق مكة . وقد كانت تقام الاسواق على مقربة من مكة ، وباشراف أهلها ، وهي عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز . فكسب المكيون لذلك ، فقد نشطت لديهم التجارة وتوسعت حركة السوق ، فشملت رحلة الشام ، ورحلة اليمن ، في الصيف والشتاء .

وما دام حرم مكة آمنا ، فقد جنب قريشا التورط في حزازات قبلية ، وجنبها التعرض للغزوات والخصومات ، فكانت حياة القوم حياة استقرار وأمان وطمأنينة ، بل هيأ ذلك لاهل مكة أن يكونوا وسطاء لاحلال السلام ، وحسم الخصومات بين القبائل[5] . وفي السلم خدمة

---

(١) آل عمران ٩٦ ـ ٩٧ .
(٢) البقرة ١٢٥ .
(٣) معجم البلدان حـ٨ ص١٣٥ ـ ١٣٦ .
(٤) نهاية الارب ـ النويري ط دار الكتب جـ١٠ ص٢٨٦ .
(٥) وقد كانت القبائل تعرف لقريش هذا الفضل قيل : « ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميها : أهل الله » . الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص٢٣ .

لمكة ومصالح أهلها ، والى هذا الاستقرار كانت اشارة القرآن الكريم في سورة قريش : « لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف »(١) . وقال تعالى في سورة القصص : « وقالوا ان نتبع الهدى معك نُتَخطَّفْ من أرضنا أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء »(٢) .

وقد كان لتظافر هذه الاسباب في مكة ، أن أصبحت بلدة تجارية متقدمة ومتحضرة ، فصارت لذلك موطنا لنضج اجتماعي ، وملتقى لكثير من التيارات الثقافية في الجزيرة ، وغير الجزيرة قبل الاسلام ، وخير ما يمثل تلك الحضارة ويدلل عليها ، هو أن الاسلام ظهر فيها ، وأنها أنجبت تلك المواهب اللامعة والشخصيات الفذة في الاسلام .

لم تكن مكة لتبرز في الشعر قبل الاسلام بين القرى العربية ، فقد كان حظها من الشعر ضئيلا خاملا ، فالشعراء البارزون فيها بزغ نجمهم وذاع أمرهم في الاسلام ، ابان الحرب بين مكة والمدينة ، وفي الاحداث الدامية في بدر وأحد ، أما في الجاهلية ، فصحيح أن أبا سفيان كان له شعر ، الا أنه ضاع ولم يحفظ منه الرواة الا القليل . وابن سلام ينص على أن شعره قد سقط ولم يصل أكثره ، والذي بقي منه لا قيمة له ولا يعد شعرا قال(٣) : « ولابي سفيان بن الحارث شعر ، كان يقوله في الجاهلية فسقط ولم يصل الينا منه الا القليل ، ولسنا نعد ما يروى ابن اسحق له ، ولا لغيره ، شعرا . ولأن لا يكون لهم شعر ، أحسن من أن يكون ذلك لهم » .

---

(١) قريش آية ١ ـ ٤ .

(٢) القصص ٥٧ . وينظر في تفصيل ذلك تاريخ العرب في الاسلام ـ جواد علي ص٥٠ـ٥١ .

(٣) طبقات الشعراء ص٢٠٦ .

وترد أسماء شعراء آخرين في مكة ، مثل الزبير بن عبدالمطلب الذي بقي من شعره قليل[١] . وكذلك حظ أكثر الشعراء الذين وردت أسماؤهم في شعراء الجاهلية ، مثل أبي طالب ، يروى له شعر لا يمكن أن يطمئن اليه ، فقد أورد له ابن اسحق في السيرة قصيدة طويلة ، أبقى ابن هشام منها أربعة وتسعين بيتا ، ثم يشكك فيها ، حيث يقول[٢] : « هذا ما صح لي من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها » .

ولعل السبب في خمول شعر مكة وقلته ، هو ما ذهب اليه ابن سلام ، من أن الذي قلل شعر قريش ، انه لم يكن بينهم نائرة ولم يحاربوا . والشعر عنده ، انما يكثر بالحروب التي تقوم بين الاحياء ، نحو حرب الاوس والخزرج ، أو أن تفشي الغارة بينهم ، فيغار عليهم ويغيرون[٣] . وكذلك كان أمر قريش ، ولهذا السبب لم ينبغ فيهم رجال سيف ، بحيث أن اليهود أجابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ـ حين حذرهم أن ينزل بهم ما نزل بقريش في بدر ـ بقولهم : « يا محمد: انك ترى أنا قومك لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، انا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس »[٤] . فقد كان لانشغال قريش بخدمة بيت الله من جهة ، وبالتجارة من جهة أخرى ، أنهم لم يجدوا من وقتهم ما يمكنهم من القيام بأمور الجيش ، فاضطروا أن يستأجروا جندا مرتزقة من افريقية ومن الاحباش ليقوموا بحراستهم[٥] .

---

(١) طبقات الشعراء ص٢٠٥ .
(٢) السيرة ق١ ص٢٨٠ .
(٣) طبقات الشعراء ص٢١٧ .
(٤) السيرة ق٢ ص٤٧ .
(٥) عصر ما قبل الاسلام ـ لامانس ترجمة مبروك نافع ص١٧١ .

أما شعراء مكة الذين ذكرهم ابن سلام [1] ، وأشار الى أبرعهم شعرا ، فهم :

١ ـ عبدالله بن الزبعرى •

٢ ـ أبو طالب بن عبدالمطلب •

٣ ـ الزبير بن عبدالمطلب •

٤ ـ أبو سفيان بن الحارث •

٥ـ مسافر بن أبي عمرو بن أمية •

٦ ـ ضرار بن الخطاب الفهري •

٧ ـ أبو عزة الجمحي ـ عمرو بن عبدالله •

٨ ـ عبدالله بن حذافة السهمي •

٩ ـ هبيرة بن أبي وهب •

أما الشعراء الذين برزوا في عهد الدعوة ، فهم : عبدالله بن الزبعرى ، وضرار بن الخطاب ، وأبو سفيان بن الحارث ، وهبيرة بن أبي وهب • وقد برز أبان معارك مكة مع المسلمين • وهؤلاء هم شعراء مكة البارزون • أما الآخرون ممن كان لهم نصيب في المعارك القرشية مع المسلمين ، فسنذكرهم على أنهم مرتبة أخرى هم والنساء الشواعر ، لان شعرهم لا يرقى الى شعر ابن الزبعرى ورهطه ، وتتجاوز عن ذكر الشعراء الذين لم يكون لهم صوت في الاحداث الاسلامية ـ القرشية •

---

(١) طبقات الشعراء ص١٩٥ •

الفصل الاول

شعر مكة

وأول الشعراء المكيين وأبرزهم ، هو عبدالله بن الزبعرى . وعلى الرغم من ندرة المصادر التي ترجمت لعبدالله بن الزبعرى ، وشعراء قريش عامة ، فاننا نحاول أن نكوّن صورة قريبة من الحقيقة ، فابن الزبعرى بن قيس بن عدي بن سهم القرشي(١) ألمع شعراء قريش وأشدهم عداوة للمسلمين ، وهجاءا لهم وتحريضا عليهم(٢) ، وهو مقدم في شعره على شعراء مكة ، قيل : « وكان من أشعر الناس وأبلغهم ، يقولون أنه أشعر قريش قاطبة »(٣) .

روى في السيرة شعر لعبدالله في الجاهلية ، يذكر فيه أصحاب الفيل وما أحاق بهم(٤) ، ونقل ابن سلام رواية فيها : « أصبح الناس يوما بمكة وعلى دار الندوة مكتوب :

ألهى قصيا عن المجد الاساطير

ورشوة مثل ما ترشى السفاسير

---

(١) الاستيعاب جـ١ ص٣٦٧ .

(٢) الاغاني جـ ١٥ ص ١٧٩ ط ساسى وسمط اللآلي جـ١ ص ٣٨٧ـ٣٨٨ .

(٣) الاستيعاب جـ١ ص٣٦٧ . وينظر نسب قريش ص٤٠٢ .

(٤) السيرة ق١ ص٥٧ـ٥٨ . السفاسير : السماسرة .

وأكلها اللهم بحتـــا لا خليط لــه

وقولهـــا : رحلت عير أتت عـــير

فأنكر الناس ذلك وقالوا : ما قالها الا ابن الزبعرى .. وكان مما تنكر قريش وتعاقب عليه ، أن يهجو بعضها بعضا »[1] . وتذهب الرواية الى أن قريشا هددته بقطع لسانه ، فاستنجد بقومه فلم ينجده أحد منهم ، فصار يمدح بني قصى ، فأطلقوه .

أما في الاسلام ، فقد وقف ابن الزبعرى يناصب المسلمين العداء ، ويناقض حسانا وكعب بن مالك ، ويرد عـــلى المسلمين فخرهم ويشمت بقتلاهم ، واستمر كذلك يسجل بشعره الاحداث التي واجهتها قريش ، فله مناقضات في بدر ، وفي أحد ، وفي الخندق ، وغير ذلك ، حتى اذا كان عام الفتح وقد استسلمت مكة ودخلت في دين الله ، ضاقت الارض بابن الزبعرى وأخذته العزة بالاثم ، فولى وجهه نحو نجران هاربا من غضب المسلمين ، ومع ذلك فلم ينج ابن الزبعرى من غضب حسان خاصـــة ، فيروى أنه رماه ببيت واحد ما زاد عليه ، وذلك قوله[2] :

لا تعدمن رجـــلا أحـــلك بغضـــه

نجران في عيش أجد لئيـــم

فلما بلغه ذلك قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلـــم وحسن اسلامه ، واعتذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبـــل عذره ، ثم شهد ما بعد الفتح من المشاهد[3] ، الا أن اسلام عبدالله بن الزبعرى ، لم يكن ليحول بينه وبين اثارة الاحقاد ، ونبش الماضى المملوء

---

(٢) طبقات الشعراء ص١٩٦ـ١٩٧ .

(١) السيرة ق٢ ص٤١٨ وفي ديوان حسان ثلاثة أبيات ص٣٦٠ .
الاجد : المنقطع .

(٣) الاستيعاب جـ١ ص٣٦٧ .

بالضغائن ، ونشير هنا الى خبر قدوم عبدالله وضرار بن الخطـاب الى المدينة ، حيث أنشدا حسانا ما قاله في هجاء الانصار ، ثم ركبا راحلتيهما دون أن يتيحا لحسان أن يجيبهما بما كان قد قال فيهما وفي قريش عامة ، فاستعدى حسان عليهما عمر بن الخطاب[١] .

كان ابن الزبعرى قد قال شعره في المعارك التي دارت بين المعسكرين وكان طبيعيا أن يدور شعره حول رثاء قتلى المكيين ، وحسن بلائهم ، وهجاء المسلمين أعدائهم . فقد قال يبكي قتلى بدر ، ويعـدد بعض أسمائهم ، ويبين مكانتهم في قريش[٢] :

ماذا عـلى بدر وماذا حولـه
من فتيـة بيض الوجـوه كـرام

تركوا نبيهـا خلفهم ومنبهـا
وابنى ربيعـة خـير خصم فئـام

والحارث الفيـاض يبرق وجهـه
كالبـدر جـلى ليلـة الاظـلام

والعاصى بن منبـه ذا مـرة
رمحـا تميما غـير ذي أوصـام

تنمى بـه أعراقـه وجـدوده
ومآثـر الاخوال والاعمـام

واذا بكـى باك فأعـول شـجوه
فعـلى الرئيس الماجد ابن هشـام

(١) الاغاني جـ٤ ص١٤٠ـ١٤١ ط الدار .

(٢) السيرة ق٢ ص١٥ـ١٦ وقال ابن هشام (وتروى للاعشى بن زرارة بن النباش) . الفئام : الجماعات من الناس . المرة : القـوة . التميم : الطويل . الاوصام : العيوب . الاعوال : رفع الصوت بالبكاء .

حيـا الاله أبا الوليـد ورهطـه
رب الانـام وخصهـم بسـلام

وقال في أحد يبكي قتلى قريش[1] :

ألا ذرفت من مُقلتيـك دمـوعُ
وقد بانَ من حبل الشباب قُطوعُ

وشط بمن تهـوى المـزار وفرقت
نَوى الحيِّ دارٌ بالحبيب فجـوعُ

وليس لمـا ولى على ذي حـرارة
وان طـال تذارف الدموع رجـوع

وبعد أن يذكرقوتهم ، وشدة بأسهم ، وحملتهم على المسلمين بسيوف بيض ماضية ، يقول :

فغادرن قتـلى الاوس عاصبـة بهم
ضبـاع وطـير يعتفـين وقـوع

وجمع بني انجـار في كل تلعـة
بأبدانهم مـن وقعهن شـروع

كما غادرت في الـكر حمزة ثاويـا
وفي صدره ماضى الشـباة وقيـع

---

(١) السيرة ق٢ ص١٤١ـ١٤٢ • ونعمان في قوله (ونعمان قـد غادرن تحت لوائه) • هو نعمان بن مالك بن ثعلبة من بني عوف مـن شهداء أحد • شط : بعد • يعتفين : يطلبن الرزق • النجيع : الـدم • شروع : مائلة للطعن • شباة كل شيء : حده • الكر : هنـا الحرب • يجفن : يطلبن ما في جوفه • غال : أهلك • أشطان الدلاء : حبال الدلاء في البئر • نزوع : جذب الدلو واخراجها من البئر •

ونعمان قد غادرن تحت لوائه
على لحمه طير يجفن وقوع

بأحد وأرماح الكماة يردنهم
كما غال أشطان الدلاء نزوع

ولابن الزبعرى قصيدة أخرى في أحد يخاطب فيها حسانا يقول[1] :

يا غرابَ البين أسمعتَ فقلْ
انما تنطقُ شيئاً قد فُعِلْ

ان للخير وللشر مدى
وكلا ذلك وجهٌ وقَبَل

وفيها يذكر حسانا ويذكر ثأرهم من المسلمين ، وتشفيهم بالقتلى ، وانتصارهم بعد هزيمة بدر ، ثم يقول :

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الاسل

حين حكت بقباء بركها
واستمر القتل في عبد الاشل

ثم خفوا عند ذاكم رُقَصا
رَقَص الحَفَّان يعلو في الجبل

فقتلنا الضعف من أشرافهم
وعدلنا ميل بدر فاعتدل

(١) السيرة ق٢ ص١٣٦-١٣٧ . وانظر طبقات الشعراء ص ١٩٨-١٩٩ . عبد الاشل : بنو عبد الاشهل من الاوس ، أول أهل المدينة اسلاما . البرك : الصدر . الرقص : مشي سريع . الحفان : صغار النعام .

لا ألـــوم النفـــس الا أنـــــا
لـــو كرنـا لفعلنـــا المفتعـل
بســيوف الهنــد تعلــو هامهــم
علــلا تعلوهـــم بعـــد نهـــل

أما في الخندق ، فله قصيدة في خمسة عشر بيتا ، يذكر فيها قوتهم وجمعهم وما أعدوا للمسلمين من سيوف قاطعة ، وموت محتوم ، نأخـذ منهـا(١) :

حَيِيَّ الديار محـا معـارفَ رسمِهـا
طولُ البِـلى وتـراوحُ الاحقـاب

... ...

فاترك تذكـر ما مضى من عيشـة
ومَحِلة خَلَقٍ المقـام يَبَابِ

واذكر بلاء معاشـــر واشـــكرهم
ســاروا بأجمعهـم من الانصاب

أنصــاب مكة عامديـن ليثـرب
في ذى غياطِلَ جحفلٍ جَبْجَـاب

وبعد أن يصف قوة جيشهم ، وجيادهم ، ويذكر أبا سـفيان صخرا قائدهم ، وعيينة حامل اللواء ، يقول :

حتـى اذا وردوا المدينــــة وارتدوا
للموت كـل مجرب قضـــاب

---

(١) السيرة ق٢ ص٢٥٧-٢٥٨ . الاحقاب : ج حقب الدهر . ذي غياطل : جيش كثير الاصوات . والغياطل : ج غيطلة ، الصـوت . جحفل جبجاب : جيش لجب كثير .

شـهرا وعشرا قاهريـن محمـدا
وصحابـه في الحـرب خير صحاب

نادوا برحلتهم صبيحـة قلتـم
كدنـا نكون بهـا مـع الخُيَّابِ

لولا الخنـادق غادروا من جمعهم
قتلى لطير سُغَّبٍ وذئـاب

ولابن الزبعرى شعر في مناسبات أخرى ، كـان يهاجي القرشيين الذين يدخلون في دين الله ، ويذكرهم باللوم والتأنيب ، كما فعل مـع عثمان بن طلحة ، وخالد بن الوليد ، حين أسلما ، قال[1] :

أنشـد عثمان بن طلحـة حلفنـا
ومُلقى نعـال القوم عند المُقَبَّلِ

وما عقـد الآباء من كل حلفـه
وما خالـد من مثلهـا بمحلـل

أمفتـاح بيت غـير بيتـك تبتغي
وما يبتغـى من مجـد بيـت مؤثل

فـلا تأمننَّ خالـدا بعـد هـذه
وعثمـان جاء بالدهيم المعضـل

وحين أسلم ابن الزبعرى ، وتاب وأناب الى الله ، قال شعرا يعتذر فيه لرسول الله صلى الله عليـه وسلم ، ويكفر عما بدر منه ويقرُ أن

---

(١) السيرة ق٢ ص٢٧٨ • المقبل : موضع تقبيل الحجر الاسود• المؤثل : القديم • الدهيم : من أسماء الداهية • المعضل : الشديد •

الشيطان كان قد أضله وأغواه فسار في طريق الشر والضلال[1] :

يا رسول المليك ان لساني
راتق ما فتقت اذ أنا بور
اذ أباري الشيطان في سَنَن الغَيْـ
ـي ومن مال ميله مثبور
آمن اللحم والعظام لربي
ثم قلبي الشهيد أنت النذير
انني عنك زاجر ثَمَّ حيّاً
من لؤي وكلهم مغرور

وقال من قصيدة أخرى حين أسلم[2] :

منع الرقاد بلابل وهموم
والليل معتلج الرواق بهيم
مما أتاني أن أحمد لامني
فيه فبت كأنني محموم

(١) السيرة ق٢ ص٤١٩ وطبقات الشعراء ص٢٠٢ وتاريخ الكامل جـ٢ ص٩٥ ومغازي الرسول ص٣٣٣ وسمط اللآلى جـ٢ ص ٨٣٣ ـ ٨٣٤ ، والبيت الاخير في السيرة فقط . الرتق : السد ، ضد الفتق ، أي اسأت الى الاسلام . أباري : أجاري وأعارض . مثبور : هالك.

(٢) طبقات الشعراء ص٢٠٢ ـ ٢٠٣ وفي السيرة ق٢ ص٤١٩ ذكر ابن اسحق أربعة عشر بيتا مع خلاف في ترتيب الابيات وقد أثبتنا رواية ابن سلام . وقد جاءت كلمة (والداي) في البيت السادس منصوبة (والدي) ولا أرى لها وجها غير الرفع . معتلج : مختلط . رواق الليل : ستره وظلامه . العيرانة : ناقة أصيلة تشبه العير . سرح اليدين : سهلة لينة . غشوم : لا ترد عن وجهها . سهم : سهم بن عمرو قبيلة الشاعر . أسديت : صنعت .

يا خـير من حملت على أوصالهـا
عيرانـة سرح اليدين غشـوم

اني لمعتـذر اليـك مـن الـذي
أسـديت اذ أنا في الضلال أهيـم

أيـامَ تأمرني باغوى خُطَـةٍ
سـهمٌ وتأمرني بهـا مخزومُ

فاغفر ـ فدى لك والداي كلاهما ـ
ذنبي فانـك راحـم مرحـوم

وعليك من أثر المليك علامـة
نور أضـاء وخاتـم مختـوم

مضـت العـداوة فانقضت أسـبابها
ودعـت أواصـر بيننـا وحلـوم

من هذا الشعر الذي توفر لدينا ، نجد أن عبدالله كان في طليعـة شعراء مكة ، الذين ذبوا عن قومهم ، ووقفوا الموقف الذي تمليه عليهم حميتهم الجاهلية ، وهذا ما كان من أمر عبدالله منذ البعثة حتى الفتح ، أما بعد هذا العهد ، فلا نكاد نجد لعبدالله ولا لشعراء مكة أثرا فيما قيل في عهد الراشدين . وما يقال في عبدالله ، يصح أن يقـال في ضرار بن الخطاب ، ثاني شعراء مكة .

وضرار بن الخطاب(١) شاعر له أثره وخطره في النضال ضد الدين الاسلامي وأصحابه المسلمين ، وهو معدود في فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم المطبوعين المجودين ، حتى قالوا : « ضرار بن الخطاب فارس

(١) ينظر نسبه وشيء عنـه في جمهرة أنسـاب العرب ص١٦٩ ونسب قريش ص٤٤٨ .

قريش وشاعرهم » . وهو أحد الاربعة الذين وثبوا الخندق[1] ، وكان ضرار من ظواهر قريش ولا يكون في البطحاء الا قليلا ، وقد عرف ضرار بحياته العابثة اللاهية ، كان يتصعلك ، فيغير ويسبي ويأخذ الامـــوال . وكان قد جمع من حلفاء قريش ، ومراق كنانة ، ناسا اتخذهم أعوانا يأكل بهم[2] ، وله في ذلك أحداث وأخبار وأشعار[3] .

ويرد أول ذكر لضرار في الاسلام ، شعره الذي قالـــه في عدوان قريش على أهل البيعة ـ العقبة الثانية ـ قال ابن اسحق : « وكان أول شعر قيل في الهجرة بيتين قالهما ضرار بن الخطاب .. »[4] :

تداركـت ســعدا عنوة فأخذتــه
وكان شـفاءً لـو تداركت منـذرا

ولو نلتـــه طُلَّتْ هنـــاك جِراحُه
وكان حريا أن يهـــان ويهــدرا

وكان من بر ضرار بقومه أنه آلى على نفسه أن لا يقتل قرشيا ، فقد ذكر ابن هشام أن ضرارا لحق عمر بن الخطاب يوم أحد ، فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول : « انج يا ابن الخطاب لا أقتلك » . فكان عمـــر يعرفها له بعد اسلامه[5] .

وأسلم ضرار ، وكان كصاحبه ابن الزبعرى من مسلمة يوم الفتح ،

(1) الاستيعاب جـ1 ص337 .

(2) طبقات الشعراء ص209 .

(3) ينظر في ذلك السيرة ق1 ص410ـ415 في خبر أبي أزيهر الدوسي وأم غيلان وكذلك الطبقات ص209ـ212 .

(4) السيرة ق1 ص450ـ451 وقد مر ذكر ذلك في ترجمـــة حسان بن ثابت ص65 .

(5) السيرة ق1 ص415 وطبقات الشعراء ص211ـ212 .

وممن بقي في قلبه شيء من أحقاد الجاهلية ، وذكريات الماضي الدامي الرهيب • يروى أنه قال يوما لابي بكر الصديق : « نحن كنا لقريش خيرا منكم ، أدخلناهم الجنة وأوردتموهم النار »(١) • وواضح من هذا القول فيه من العصبية لقريش ، أكثر مما فيه من الايمان الحق • ويروى قول قريب من هذا ، فقد ذكروا أن الاوس والخزرج اختلفوا يوما في من كان أشجع يوم أحد ، فمر بهم ضرار بن الخطاب فقالوا : هذا شهدها وهو عالم بها ، فبعثوا اليه فتى منهم ، فسأله عن ذلك فقال : « لا أدري ما أوسكم من خزرجكم ، ولكني زوجت يوم أحد منكم أحد عشر رجلا من الحور العين »(٢) • ولا يمكن أن يكون جواب ضرار جدا لا هزل فيه ولا عصبية • وقد مر بنا خبر ضرار مع ابن الزبعرى في اغاظة حسان وما نبشا من أحقاد الماضي الذي عفى عليه الاسلام(٣) •

عرف ضرار من الشعراء القرشيين الحريصين على نصر قومهم ، والفخر بهم ، وكان يغتم بانخذالهم ويهجو من ينال منهم ، وقد عبر عن كل ذلك ابان الاحداث الدائرة بين مكة والمدينة ، وكان همه حين يهجو المسلمين أن ينال من الاوس والخزرج ، ويحزنه أن يكون القرشيون قومه بين أولئك •

وشعره الذي نعرضه يكثر حوله الوهم والشك ، فقد رويت له في بدر قصيدتان كلتاهما لا تثبت له ، ففي الاولى التي يبدؤها بقوله(٤) :

عجبت لفخر الاوس والحين دائر

عليهم غدا والدهر فيه بصائر

---

(١) الاستيعاب جـ ١ص٣٣٧ •

(٢) نفس المصدر والصفحة •

(٣) الاغاني جـ٤ ص١٤٠ـ١٤١ ط الدار •

(٤) السيرة ق٢ ص١٣ـ١٤ • اللأواء : الشدة •

نجد فيها مدحا لرسول الله وأصحابه ، فيقول :

فان تظفروا في يوم بدر فانما
بأحمد أمسى جدكم وهو ظاهر
وبالنفر الاخيار هم أولياؤه
يحامون في اللأواء والموت حاضر
يعد أبو بكر وحمزة فيهم
ويُدعى عليٌ وسطَ من أنت ذاكر
ويدعى أبو حفص وعثمان منهم
وسعد ـ اذا ما كان ـ في الحرب حاضر

وواضح أن هذا شعر لا يقوله ضرار ، الذي عرف بعصبيته وشدته على المسلمين ـ ولا سيما بعد بدر ـ ولا يمكن بأي حال من الاحوال أن ينطق بحمد المسلمين رجل موتور مصاب بأهله وقومه ، ويحاول الاستاذ الشايب[1] أن يوفق بين الموقفين المتناقضين بعصبية ضرار لقريش المسلمة ، وهو رأي مردود بالعصبية نفسها ، والغريب أن ابن هشام لم يشكك في هذه القصيدة ، مع أنه قد شكك في القصيدة الثانية ، التي يرثي فيها أبا جهل ، ويقول فيها[2] :

---

(١) تاريخ الشعر السياسي ـ أحمد الشايب ص٩٢ ط ٢ ، ١٩٥٣ ، ومما يدعم رأينا في أن الشعر لا يصح لضرار قوله في الخندق يصف المسلمين :

أناس لا نرى فيهم رشيدا
وقد قالوا ألسنا راشدينا

السيرة ق٢ ص٢٥٥ . وكذلك قال :

وجردا كالقداح مسومات
نؤم بها الغواة الخاطئينا

(٢) السيرة ق٢ ص٢٧ ـ ٢٨ . الخوصاء : البئر الضيقة . البرم : البخيل .

ألا من لعــين باتت الليــل لم تنم
تراقب نجمــا في ســواد من الظلم
كأن قذى فيهــا وليس بهــا قذى
سوى عبرة من جائل الدمع تسجم
فبلغ قريشــا أن خــير نديهــا
وأكرم من يمشي بساق علـى قـدم
ثوى يوم بدر رهن خوصاء رهنهــا
كريم المساعي غـير وغـد ولا برم
فآليت لا تنفــك عينــي بعبــرة
على هالك بعد الرئيس أبي الحـكم

.... الى آخر القصيدة التي يعدد فيها بطولة ومكارم أبي جهل .

وفي أحد حيث النصر حليف قريش ، فان ضرارا يزهو ويفخـر بهذا النصر ، قال[١] :

اني وجـدك لـولا مقدمي فرسي
اذ جالت الخيل بين الجزع والقــاع

---

(١) السيرة ق٢ ص١٤٥ . الجزع : منعطف الوادي . القــاع : المنخفض من الارض . الهام : ج هامة ، وهي طائر يزعم العرب أنـه يخرج من رأس القتيل فيصيح اسقوني ، حتى اذا أخـذ بثاره سكت . شاعي : أصلها شائع فقلبت . الرحالة : السرج . الملواح : الفرس الشديدة التي ضمر لحمها . مثابرة : متابعة . الصريخ : المستغيث . ثوب الداعي : كرر الدعاء . الخور : الضعفاء . الكشف : ج اكشف من لا ترس له في الحرب . الاوراع : ج ورع ، وهو الجبان . ويروى أوزاع : أي متفرقين . الحبيك : ذو الطرائق البيض . شم العرانين : مرتفعي الانوف ، كناية عن العزة . البهاليل : السادة . الدعداع : الضعيـف الخامل البطيء .

ما زال منكم بجنب الجزع من أحد
أصوات هام تزاقى أمرها شاعي

وفارسٌ قد أصاب السيفُ مفرقَه
افلاق هامتِه كفروة الراعي

اني وجدك لا أنفك منتطقا
بصارم مثل لون الملح قطاع

على رحالة ملواح مثابرة
نحو الصريخِ اذا ما ثوَّبَ الداعي

وما انتميت الى خور ولا كشف
ولا لئام غداة البأس أوراع ...

بل ضاربين حبيك البيض اذ لحقوا
شم العرانين عند الموت لذاع

شم بهاليل مسترخ حمائلهم
يسعون للموت سعيا غير دعداع

وله شعر يذكر فيه عدتهم وصبرهم في الحرب ، وعزمهم على أن ينالوا في هذا اليوم النصر والثأر لبدر ، ويحرض الناس على الصبر والاقدام :

يقول فيه(١) :

لما أتت من بني كعب مزينة
والخزرجية فيها البيض تأتلق

(١) نفس المصدر ص١٤٥ ـ ١٤٦ . مزينة : أي كتيبة فيها ألوان من السلاح . تنبي : أصلها تنبيء فخفف وحذفت الهمزة . الزهق : العيب . تعاوروا : تداولوا .

وجــردوا مشرفيـات مهنــدة
ورايــة كجنــاح النسـر تخفـق

فقلــت يــوم بأيـام ومعركــة
تبقي لما خلفهــا ما هزهز الورق

وبعد أن يصف بلاءه وصبره يقول :

لا تجزعوا يا بنـي مخزوم ان لـكم
مثـل المغيرة فيكم ما بــه زهــق

صبرا فدى لـكم أمي وما ولــدت
تعاوروا الضرب حتى يدبر الشــفق

وفي الخندق يقول ضرار قصيدته النونية ، حيث يفتخر بقوة جيشهم ، وحسن عدته وشدته على الأعداء وتسلطه عليهم ، قال[1] :

ومشــفقة تظـن بنــا الظنونـا
وقــد قدنا عرندســة طحونا

كــأن زهاءهــا أحــد اذا مــا
بــدت أركانــه للناظرينــا

تـرى الابــدان فيهــا مسـبغات
عـلى الابطــال واليلـب الحصينـا

(١) السيرة ق٢ ص٢٥٤ ــ ٢٥٥ . العرندسة : الشديدة القوة يريد بها كتيبة . الطحون : التي تطحن كل ما مرت بــه . الابدان : الدروع . مسبغات : كاملة . اليلب : الترسة أو الدرق . الجرد : الخيل العتاق . القداح : السهام . نؤم : نقصد . أحجرناهم : حصـرناهم . شهرا كريتا : كاملا .

وجردا كالقداح مسومات
نؤم بها الغواة الخاطئينا

كأنهم اذا صالوا وصلنا
بباب الخندقين مصافحونا

ثم يهجو المسلمين ، ويصف الحصار ، ويذكر سعدا ، ويتوعدهم بجولة قادمة :

أناس لا نرى فيهم رشيدا
وقد قالوا ألسنا راشدينا

فأحجرناهم شهرا كريتا
وكنا فوقهم كالقاهرينا

نراوحهم ونغدو كل يوم
عليهم في السلاح مدججينا

الى أن يقول[١] :

فان نرحل فانا قد تركنا
لدى أبياتكم سعدا رهينا

اذا جن الظلام سمعت نوحى
على سعد يرجعن الحنينا

وسوف نزوركم عما قريب
كما زرناكم متوازرينا

---

(١) السيرة ق٢ ص٢٥٥ وذكر له ابن الشجري في الحماسة اشعارا في الفخر والحرب ص١٦ . النوحى : النساء النائحات . متوازرين: متعاونين .

بجمع من كنانة غير عزل

كأسد الغاب قد حمت العرينا

ولما أسلم ضرار بعد الفتح ، كان قد اعتذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدم بين يديه شعره الذي يقوله تكفيرا عن جنايات مضت[1]:

يا نبي الهدى اليك لجا حـ

ـي قريش وأنت خير لجاء

حين ضاقت عليهم سعة الار

ض وعاداهم اله السماء

الى آخر ما يقول •

هذا أهم ما لدى ضرار ــ فيما نعلم ــ من شعر ، يتعلق بالاحداث الاسلامية ، وهذا الشعر ، وشعر عبدالله بن الزبعرى ، هو أهم ما عند قريش من شعر ، وقف بشدة وعنف معلنا عداءه ومعارضته لشعر المدينة وشعرائها •

وهناك شاعر ثالث ، يشارك الشاعرين في جهدهما ، وقد عرف بشدة عدائه للمسلمين ، ومعارضته للدين ، ونضاله بالسيف واللسان ، ودفاعه عن قومه ومعتقداتهم ، هو هبيرة بن أبي وهب المخزومي •

وهبيرة من شعراء قريش المعروفين بشعرهم في الجاهلية ، قال عنه ابن سلام : « وله شعر كثير وحديث »[2] • الا أنه لم يذكر له غير بيتين قالهما يوم أحد • كان هبيرة شديد الخصومة لرسول الله والمسلمين ، ناضل بسيفه ولسانه ، ففي بدر قاتل قتالا شديدا حتى أعياه القتال ، فمر

---

(١) دونها كاملة ابن عبد البر في الاستيعاب جـ١ ص٣٣٧ •

(٢) طبقات الشعراء ص٢١٥ • وهبيرة زوج أم هانيء بنت أبي طالب أخت علي وبنت عم الرسول •

به أبو اسامة معاوية بن زهير ـ وقد انهزمت قريش ـ فألقى عنه درعه ، وحمله فمضى به ، ولذلك يقول أبو أسامة واصفا حال قريش وما أصابها في ذلك اليوم[(١)] :

ولما أن رأيت القوم خفوا
وقد زالت نعامتهم لنفر

وأن تركت سراة القوم صرعى
كأن خيارهم أذباح عتر

وكانت جمة وافت حماما
ولقينا المنايا يوم بدر

ويشهد هبيرة يوم أحد ، ويهتز لنشوة الانتصار ، والتشفي بما لحق المسلمين من مصاب وأذى ، فيقول[(٢)] :

---

(١) السيرة ق٢ ص٣٤ وما بعدها · زالت نعامتهم : أراد فرارهم ويروى شالت نعامتهم : أي فروا وهلكوا · والنعامة : حيوان معروف · وفي اللغة النعامة : باطن القدم ومن مات فقد شالت رجله أي ارتفعت ، وطارت نعامته · سراة القوم : خيارهم وأشرافهم · العتر : الصنم الذي يذبح له · الجمة : الجماعة من الناس ·

(٢) ق٢ ص١٢٩ ـ ١٣١ · وذكره المقريزي في جملة أعداء رسول الله انظر امتاع الاسماع جـ١ ص٢٤ ·

العميد : المؤلم الموجع · العوادي : الشواغل · عرض البلاد : سعتها · يزجيها : يسوقها · النخيل (كزبير) مدينة النبي وهي اسم لعين قرب المدينة · أموها : قصدوها · الجر : أصل الجبل · الخذم : الضرب الذي يقطع اللحم سريعا · العارض : السحاب · البرد الذي فيه برد · فلق جـ فلقة وهي القطعة من الشيء · القيض : قشر البيض الاعلى الربد : النعام ، لان ألوانها بين البياض والسواد · الاداحي : المواضع التي تبيض فيها النعام · ذعذعته : حركته · تعاوره : تتداوله · السوافي : الرياح التي تقلع التراب والرمل من الارض · سحا : صبا ، بمعنى عطاء كثير · الشزر : الطعن عن يمين وشمال · المآقي : مجاري الدموع ·

ما بالُ هَمٍّ عميدٍ بات يطرقني
بالود من هند اذ تعدو عواديها

باتت تعاتبني هند وتعذلني
والحرب قد شغلت عني مواليها

وبعد أن يفخر بنفسه ، ويزهو بسلاحه وفرسه وعدته ، يقول واصفا بلاءه وحملته على المسلمين ، وعلى بني النجار خاصة :

سقنا كنانة من أطراف ذي يمن
عرض البلاد على ما كان يزجيها

قالت كنانة : أنى تذهبون بنا ؟
قلنا النُخَيْلُ فأموها ومَنْ فيها

نحن الفوارس يوم الجر من أُحد
هابت مَعَدٌ فقلنا نحن نأتيها

هابوا ضرابا وطعنا صادقا خذما
مما يرون وقد ضمت قواصيها

ثمت رحنا كأنا عارض برد
وقام هام بني النجار يبكيها

كأن هامهم عند الوغى فلق
من قيض ربد نفته عن أداحيها

أو حنظل ذعذعته الريح في غصن
بال تعاوره منها سوافيها

قد نبذل المال سحا لا حساب له
ونطعن الخيل شزرا في مآقيها

ويستمر على هذا المنوال ، ثم يفاخر بكرمه في أيام الشتاء الشديدة ، وتلك سجايا ورثها عن آباء له ، طاولوا النجوم سعيا نحو المجد والعلا . وتبلغ هذه القصيدة من الاهمية مبلغا ، جعل حسانا يرد عليه مسفها رأيه ، مفندا مزاعمه ، بقوله[١] :

سقتم كنانه جهــلا من سـفاهتكم
الى الرسول فجنــد اللــه مخزيها

أوردتموها حيـاض الموت ضاحيــة
فالنـــار موعدهــا والقتـــل لاقيهـــا

.... الـخ .

وفي الخندق ، يعبر هبيرة مع فرسان قريش الخندق ، ويمنـــون بالهزيمة ، بعد أن يقتل حازمهم وشديدهم عمرو بن عبــد ود ، حيث يصرعه علي بن أبي طالب[٢] ، وبذلك يقول مسـافع بن عبد منـــاف بن وهب ، يؤنب الفرسان الذين تركوا عمرا صريعا ، وولوا مدبرين[٣] :

عمرو بن عبد والجيـــاد يقودهــا
خيل تقـــاد لـــه وخيـــل تنعـــل

أجلت فوارســـه وغـــادر رهطـــه
ركنـــا عظيمـــا كان فيهـــا أول

ويخص هبيرة بقوله :

وهبيرة المســلوب ولى مدبــرا
عند القتـــال مخافـــة أن يقتلـــوا

(١) المصدر السابق ص١٣٢ . والديوان ص٤٢٤ .
(٢) السيرة ق٢ ص٢٢٤ـ٢٢٥ .
(٣) السيرة ق٢ ص٢٦٧ .

أما هبيرة ، فيدفع هروبه بعذر ، ويذكر عمرا مؤبنا ونادبا[1] :

لعمري وما وليت ظهري محمدا
وأصحابه جبنا ولا خيفة القتل

ولكنني قلبت أمري فلم أجد
لسيفي غناء ان ضربت ولا نبلي

وقفت فلما لم أجد لي مقدما
صددت كضرغام هِزَبْرٍ أبى شبل

ثَنَى عِطفه عن قِرنه حين لم يجد
مكرا وقدما كان ذلك من فعلي

فلا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا
وحق لحسن المدح مثلك من مثلي

ولا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا
فقد بنت محمود الثنا ماجد الاصل

فمن لطراد الخيل تقدع بالقنا
وللفخر يوما عند قرقرة البزل

هنالك لو كان ابن عبد لزارها
وفرجها حقا فتى غير ما وغل

فعنك علي لا أرى مثل موقف
وقفت على نجد المقدم كالفحل

فما ظفرت كفاك فخرا بمثله
أمنت به ما عشت من زلة النعل

---

(١) السيرة ق٢ ص٢٦٧ـ٢٦٨ . تقدع : تمنع وتكف . القرقرة : أصوات فحول الابل . الوغل : الفاسد من الرجال . عنك : تباعد . النجد : الشجاع .

ولهبيرة شعر غيره في بكاء عمرو ، قال[1] :

لقد علمت عُليا لؤى بن غالب
لفارسها عمرو اذا ناب نائب

لفارسها عمرو اذا ما يسومه
علي وان الليث لابد طالب

عشية يدعوه علي وانه
لَفارسُها إذْ خامَ عنه الكتائب

فيالهف نفسي ان عمرا تركته
بيثرب لا زالت هناك المصائب

وقد بقي هبيرة مكابرا معتزا بالاثم ، فلم يسلم ولم يمس الايمان قلبه ، وقد غاظه أن تسلم زوجه ، أم هانيء (هند بنت أبي طالب) ، فقال حين بلغه اسلامها وهو بنجران[2] :

أشاقتك هند أم أتاك سؤالُها
كذاك النوى أسبابها وأنفتالُها

وقد أرقت في رأس حصن ممنَّع
بنجران يسرى بعد ليل خيالها

وعاذلة هبت بليل تلومني
وتعذلني بالليل ضل ضلالها

وتزعم أني ان أطعت عشيرتي
سأردى وهل يُردين الا زيالُها

---

(١) السيرة ق٢ ص٢٦٨ • يسومه : يكلفه • خام : جبن وتراجع•
(٢) السيرة ق٢ ص٤٢٠ ونسب قريش ص٣٩ • انفتالها : تقلبها من حال الى حال • زيالها : ذهابها • الململمة : المستديرة •

فاني لمن قـوم اذا جـد جـدهم

على أي حال أصبح اليوم حالهـا

الى أن يقول مخاطبا أم هانيء :

فان كنتِ قد تابعت ديـن محمـد

وعطَّفت الارحـام منـك حبالهـا

فكوني على أعلى سـحيق بهضبـة

ململمـة غبراء يبـس بلالهـا

ووجد هبيرة أن الناس قد دخلوا في دين الله ، وقد بقي هو ضالا ، فهرب في كل وجه ، حتى قر قراره بنجران ، كما صرح في البيت الثاني من قصيدته . وقد ذكر هروب هبيرة ، بجير بن زهير ، حين كتب الى أخيه كعب بن زهير يدعوه الى التوبة والاسلام ، ويخبره : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأن من بقي من شعراء قريش ، ابن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب ، قد هربوا في كل وجه »[١] . فأما ابن الزبعرى ، فقد عاد وأسلم واعتذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما هبيرة ، فقد بقي على شركه حتى مات كافرا[٢] .

واذا كان هذا بلاء الشعراء من قريش وكيدهم لرسـول اللـه والمسلمين ، وهم أهله وقومه ، فقد كان هناك شاعر آخر لا يقل كيـدا وهجاء لرسول الله عن الثلاثة المقدم ذكرهم ، مع قربـه من الرسـول وصلته الوثقى به ، فهو من أهل بيته الاقربين ، ذلـك هو : أبو سفيان المغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) السيرة ق٢ ص٥٠١ .

(٢) السيرة ق٢ ص٤٢٠ ونسب قريش ص٣٩ وامتاع الاسماع ج١ ص٣٩١ .

ورضيعه[1] ، وأشدهم عداوة ومعارضة أول أمـره ، حتى أن النبي قال فيه : « أما ابن عمي فهتك عرضي »[2] فاذا كان الفتح ، كان أصـــدق الشعراء اسلاما ، وأقربهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المحنة ، فقد صبر في حنين حين انفض الناس عن النبي ، الا نفرا من صحابتـــه وأهل بيته[3] . وأخبار أبي سفيان قبل الاسلام وبعده ، قليلة مبعثرة ـ كأكثر أخبار شعراء مكة ـ ولم يرد له ذكر في السيرة طيلة مكوث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة . وأول خبر ينقله ابن اسحق عنه ، في أخبار بدر ، حيث ذكر : أن أبا لهب قد جلس وجلس حوله الناس ـ وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر ، فبعث مكانه العاصي بن هشام بـــن المغيرة ـ فيقدم أبو سفيان ، فيخاطبه أبو لهب : « هلم الي فعندك لعمري الخبر ... يابن أخي اخبرني كيف كـــان أمر الناس ؟ قال : واللــــه ما هو الا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا ، يقودوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ، والله ما تليق شيئا ولا يقوم لها شيء »[4] . فأبو سفيان قد حضر بدرا ، وشارك فيها مع قريش ، وعاد منها خائبا يصف هولها وشدتها .

وأبو سفيان هو ثالث الشعراء ترتيبا في طبقات ابن سلام من شعراء مكة ، وقد ذكر في خبره أن له شعرا كان يقوله في الجاهلية ، فسـقط ولم يصل الينا منه الا القليل[5] . أما شـــعره الذي رواه ابن اسحق في السيرة ، فلم يعده شيئا قال : « ولسنا نعد ما يروي ابن اسحق له ولا لغيره

---

(1) ، (2) السيرة ق٢ ص٤٠٠ وينظر نسب قريش ص٨٥ وجمهرة الانساب ص٦٣ .

(3) السيرة ق٢ ص٤٤٣ وكذلك حول ثباته في حنين ينظر مغازي رسول الله ص٣٣٥ وامتاع الاسماع جـ١ ص٣٦٧ و ٤٠٦ .

(4) السيرة ق١ ص٦٤٧ .

(5) طبقات الشعراء ص٢٠٦ .

شعرا ، ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذلك لهـم »[1] .
وابن سلام يلاحظ هنا القيمة الفنية وهبوطها في هذا الشعر . والملاحظ آن شعر أبي سفيان خلال الدعوة وفي الاحداث الاسلامية قليل ، اذا ما قيس بشعر أصحابه من شعراء مكة ، فمما يذكر من شعره ، انه ناقض حسان ابن ثابت في أحد ، حيث أن حسانا كان قد ذكر في شعره ما أصـاب المسلمون من أموال قريش ، في غزوة بدر الموعد في شعبان سنة أربـع للهجرة ، قال حسان يعير قريشا[2] :

دعوا فلجات الشـام قد حال دونها
جِلادٌ كأفواه المخَاضِ الأَوارِكِ

بأيدي رجـال هاجروا نحو ربهـم
وأنصاره حقـا وأيدي الملائك

فلما كان يوم أحد ، رد عليه أبو سفيان بن الحارث بقوله[3] :

أحسـان انـا يا بن آكلـة الفغـا
وجدك نغتـال الخـروق كذلـك

---

(1) نفس المصدر والصفحة .

(2) السيرة ق٢ ص٢١١ وطبقات الشعراء ص٢٠٧ وديوان حسان ص٢٩٤-٢٩٥ .

(3) السيرة ق٢ ص٢١٢ وطبقـات الشعراء ص٢٠٨ وقد أثبتنـا رواية السيرة أما في الطبقات فقد أثبت ابن سلام بيتين فقط فيهما خلاف عما في السيرة قال :

شقيتم بهـا وغيركم أهل ذكرهـا
فوارس أبنـاء فهـر بن مـالك

حسبتم جـلاد البيض حول بيوتكم
كأخذكـم في العـير أرطـال آنك

الفلجات : المزارع وما يشق من أنهار . الجلاد : ضرب السيوف . المخاض : الابل الحوامل . الاوارك : التي تأكل شجر الاراك . الفغا : =

خرجنا وما تنجو اليعافيرُ بيننا
ولو وألت منا بشد مدارك

اذا ما ابعثنا من مناخ حسبته
مُدمَّن أهل الموسم المتعارك

أقمت على الرس النزوع تريدنا
وتركنا في النخل عند المدارك

على الزرع تمشي خيلنا وركابنا
فما وطئت ألصقنه بالدكادك

أقمنا ثلاثا بين سلع وفارع
بجرد الجياد والمطى الرواتك

حسبتم جِلاد القوم عند قبابهم
كمأخذكم بالعين أرطال آنك

فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها
على نحو قول المعصم المتماسك

= التمر ، يريد أنهم أهل نخيل وتمر • تغتال : نقطع • الخروق : جـ خرق ، الفلاة الواسعة • اليعافير : جـ يعفور ، ولد الظبية ، اي أنهم لكثرتهم لا تنجو معهم الظباء • وألت : اعتصمت ولجأت ، ومنه الموئل وهو الملجأ • الشد : الجري • المدارك : المتتابع السريع • المدمن : الموضع الذي ينزلون فيه ، فيتركون به الدمن أي آثار الدواب والابل • أهل الموسم : جماعة الحجاج ، ومكان اجتماع العرب • المتعارك : الذي يزدحم فيه الناس • الرس النزوع : البئر التي تنزع ماؤها بالايدي • المدارك : المواضع القريبة • الدكادك : جـ دكدك وهو الرمل اللين • سلع وفارع : جبلان • الرواتك : المسرعة • العين : المال الحاضر ، وكذلك الدر وكلاهما جائز هنا • الآنك : القزدير • المعصم : المستمسك بالشيء • سعدتم بها : في رواية : شقيتم بها • الناسك : المتبع لمعالم دينه وشرائعه •

سعدتم بهـــا وغيركم كان أهلهـــا

فوارس من أبنـــاء فهر بن مالـــك

فانـك لا في هجـــرة ان ذكرتهـــا

ولا حرمات الديـن أنت بناســـك

فقال أبو سفيان معقبا ومعاتبا : « يا ابن أخي لِم جعلتها آنك ، ان كانت لفضة بيضاء جيدة »[1] .

وقد عرف الناس الخصومة المستعرة بين أبي سفيان بن الحـــارث وحسان بن ثابت ، وكثيرا ما خص حسان أبا ســـفيان بالهجاء والشتم ، لذلك فقد روى شعر منسوب لابي سفيان في هجاء حسان ، قيل[2] :

أبـــوك أبو ســـوء وخالـــك مثله

ولست بخير من أبيـــك وخالـكا

وان أحق النـــاس أن لا تلومـــه

على اللؤم من ألفى أبـــاه كذلـكا

وقد قال ابن سلام في التعقيب على هذين البيتين : « وأخبرني أهل العلم من أهل المدينة : أن قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مظعون الجمحي ، قالها ونحلها أبا سفيان . وقريش ترويه في أشعارها ، تريـد بذلك الانصار والرد على حسان »[3] .

وفي يوم بني قريظة قال حسان بن ثابت في هجاء بني قريظة يعرض بقريش[4] :

---

(١) طبقات الشعراء ص٢٠٨ .
(٢) ابن سلام ص٢٠٩ .
(٣) نفس المصدر والصفحة .
(٤) السيرة ق٢ ص٢٧٢ وديوان حسان ص١٩٤ .

تفاقد معشـــر نصـروا قريشـا

وليس لهـم ببلدتهـم نصـير

هـم أوتـوا الـكتاب فضيعـوه

وهـم عمي من التـوراة بـور

فرد عليه أبو سفيان مناقضا ومهددا[1] :

أدام الله ذلـك من صنيـع

وحـرق في طرائقهـا السـعير

ستعلم أينـا منهـا بنـزه

وتعلم أي أرضينـا تضـير

فلو كـان النخيل بهـا ركابا

لقالـوا لا مقـام لكم فسـيروا

ويبدو أن أبا سفيان كان قد هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هجاء عرف به من دون أصحابه ، الا أن ذلك الشعر قد ذهب أو عمل المسلمون على طمسه وضياعه ، وتحرجوا من روايته وحفظه ، تأدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرصا على ألا يشيع ما يمس الرسول من الشعر • ونستطيع أن نتعرف على معالم ذلك الشعر ، من صداه الذي تركه في أهم قصائد حسان وأشهرها ، وهي قصيدة الفتح :

عفـت ذات الاصـابع فالجـواء

الى عـذراء منزلهـا خـلاء

حيث ينص على ذلك الهجاء ، ويسمي أبا سفيان باسمه ، ثم يهجوه هجاء مرا ، قال فيها[2] •

(١) السيرة ق٢ ص٢٧٢ • الطرائق : النواحي • النزه : البعد •

(٢) السيرة ق٢ ص٤٢١ـ٤٢٣ وديوان حسان ص١ـ٨ •

فنحكم لمن باقوافي من هجانا
ونضرب حين تختلط الدماء

ألا أبلغ أبا سفيان عني
مغلغلة فقد برح الخفا

بأن سيوفنا تركتك عبدا
وعبد الدار سادتها الاماء

هجوت محمدا وأجبت عنه
وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء
فشركما لخيركما الفداء

هجوت مباركا برا حنيفا
أمين الله شيمته الوفاء

أمَن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء ... الخ

وحين أسلم أبو سفيان عام الفتح ، كان حريصا على أن يكفر عن ذنوب قدمها ، ويلقي العذر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال شعرا ذكر فيه ضلاله وكفره ، واعتذر الى الرسول مما كان مضى منه ، قال[1] :

لعمرك اني يوم أحمل راية
لتغلب خيل اللات خيل محمد

لكالمدلج الحيران أظلم ليله
فهذا أواني حين أهدى وأهتدي

(١) السيرة ق٢ ص٤٠١ ، وطبقات الشعراء ص٢٠٦ وتاريخ الكامل جـ٢ ص٩٢ .

هداني هـــاد غير نفسي ونالني
مع الله من طـــردت كل مطـــرد

أصد وأنأى جاهـــدا عن محمـــد
وأدعى ـ وان لم أنتسب ـ من محمد

قالوا : فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « ونالني مع الله من طردت كل مطرد » قال : « أنت طردتني كل مطرد ؟ » كأنه ينكرهـــا[1] .

من هذا العرض لشعر الشعراء المكيين ، نستطيع أن نكوّن صورة ان لم تكن هي حقيقة شعر مكة ، فهي قريبة منه ، تصفه وتشبهه ، وهـذا أمر طبيعي لشعر شعراء خذلوا بنصر المسلمين ، فكان شعرهم سبة عليهم ، فاضطهد وضاع وأبيد أكثره .

ولاجل اتمام الصورة العامة لشعر مكة ، علينا أن نعرض شـــعرا غيره ، قيل ابان الخصومة بين المدينتين ، وهو شـعر دعتـــه المناسبة حين تتحرك النفوس فرحة أو شامتة ، مخذولة أو باكية ، وذلك هو شـــعر الشعراء المقلين أو المغمورين . وذلك الشعر مضافا اليه شـــعر الشواعر القرشيات ـ الذي قيل في التحريض على القتال أو في بكاء القتلى ـ يكوّن الصورة الواضحة لشعر مكة ، المعارض للاسلام .

ومن أولئك الشعراء الذين ساهموا بالسيف واللسان في المعارضة والعداء للدين الجديد ، الحارث بن هشام . عرف الحارث بعدائه الشديد للمسلمين منذ وقت مبكر ، وظل يناصب المسلمين العداء ، حتى اذا شهد بدرا وكانت الخيبة لقريش ، كان الحارث من الهاربين . ويكون هروبه

---

(1) طبقات الشعراء ص٢٠٦ وكذلك السيرة مع تغيير يسير ق٢ ص ٤٠١ .

سبة عليه وعارا ، فيتناوله حسان بن ثابت بلسانه ، فيقول فيه من قصيده[1] :

ان كنت كاذبة الذي حدثتني
فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الاحبة أن يقاتل دونهم
ونجا برأس طمرة ولجام

ويخاطبه حسان شامتا ومعيرا ، من قطعة أخرى[2] :

يا حار قد عولت غير معول
عند الهياج وساعة الاحساب

أما الحارث ، فيعتذر عن هزيمته بأنه يدخر نفسه لجولة أخرى ، فيقول[3] :

الله أعلم ما تركت قتالهم
حتى حبوا مهري بأشقر مزبد

وعرفت أني ان أقاتل واحدا
أقتل ولا ينكى عدوي مشهدي

فصددت عنهم والاحبة فيهم
طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

وفي أحُد ، يقول أبو سفيان بن حرب شعرا يذكر فيه صبره

(١) السيرة ق٢ ص١٧ وديوان حسان ص٣٦٣ وينظر نسب قريش ص٣٠١ • الطمرة : الفرس الكثيرة الجري •

(٢) السيرة ق٢ ص١٩ والديوان ٤٥ •

(٣) السيرة ق٢ ص١٨ • الاشقر : الدم هنا • المزبد : الذي قد علاه الزبد ، الرغوة • ينكى : يؤلم ويوجع •

وبلاءه ، ومنه قوله[1] :

ولو شئت نجتني كميت طمـــرة
ولم أحمــل النعمـاء لابن شـعوب
وما زال مُهري مزجر الـكلب منهم
لدن غدوة حتـــى دنت لغـــروب
أقاتلهـــم وأدعـــى يا لغـــالب
وأدفعهـــم عنـــي بركـــن صليب

ويظن الحارث أن أبا سفيان قد عرّض به ، لفراره يوم بدر فيرد عليه بقوله[2] :

جزيتهم يومـا بـــدر كمثلـــه
على ســـابح ذي ميعـــة وشـــبيب
لدى صحن بدر أو أقمت نوائحـــا
عليك ولـــم تحفل مصـــاب حبيب
وانك لو عاينت مـــا كـــان منهـــم
لابت بقلـــب مـــا بقيـــت نخيـــب

وقد نسبت للحارث قصيدة في نقض قصيدة لعلي بن أبي طالب في يوم بدر ، وقد نبه ابن هشام الى أن علماء الشعر لم يعرفوها • وتنسب للحارث قطعة في رثاء أخيه أبى جهل ، من الممكن القول بصحـة نسبتها

(١) السيرة ق٢ ص٧٥ـ٧٦ •

(٢) نفس المصدر ص٧٦ـ٧٧ • السابح : الفرس كانه يسـبح في جريه • الميعة : الخفة والنشاط • شبيب : شباب • النخيب : الجبان الفـــزع •

للحارث ، اذ من المعقول أن يرثي الحارث أخاه بهذا الشعر الواضح البسيط[1] :

ألا يا لهف نفسي بعد عمرو
وهل يُغني التلهف من فتيل[2]

يخبرني المخبر أن عمرا
أمام القوم في جفر محيل

نقِدماً كنت أحسب ذاك حقاً
وأنت لما تقدم غير فيل

وكنت بنعمة ما دمت حيا
فقد خلفت في درج المسيل

كأني حين أمسي لا أراه
ضعيف العقد ذو هم طويل

على عمرٍو اذا أمسيتُ يوما
وطرف من تذكره كليل

وشاعر قرشي آخر عرف له جهده في عداء المسلمين ، ذلك هو أبو عزة عمرو بن عبدالله بن عثمان الجمحي ، من شعراء مكة في الجاهلية . كان مسنا ومعوزا ذا عيال ، حضر بدرا فوقع أسيرا بأيدي

(١) نفس المصدر ص٢٨ . ثم يسلم الحارث بعد الفتح ويكون له بلاء في سبيل الله في الفتوح . ينظر نسب قريش ص٣٠١-٣٠٢ . وكذلك في خبر اسلامه امتاع الاسماع جـ١ ص٣٨١-٣٨٢ .

(٢) في الاصل (قتيل) بالقاف ، وفتيل بالفاء أولى كما جاءت في بعض روايات السيرة . والفتيل : الخيط الذي يكون في شق النواة ، يضرب مثلا في الشيء القليل ومنه قوله تعالى : (لا يظلمون فتيلا) . الجفر : البئر التي لا بناء لها . المحيل : القديم المتغير . غير فيل : غير فاسد الرأي . درج المسيل : يريد موطن الذل والقهر . ضعيف العقد : واهن العزم والرأى .

المسلمين ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : « يا رسول الله ، لقد عرفت ما لي من مال ، واني لذو حاجة وذو عيال فامنن عليّ » فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا . فقال أبو عزة يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) :

من مبلغ عني الرسول محمدا
بأنك حق والمليك حميد
وأنت امرؤٌ تدعو الى الحق والهدى
عليك من الله العظيم شهيدُ
وأنت امرؤٌ بوّئت فينا مباءة
لها درجاتٌ سهلة وصعودُ
فانك من حاربته لمحارب
شقيٌ ومن سالمته لسعيد
ولكن اذا ذُكّرتُ بدرا وأهله
تأوّب ما بي حسرة وقعود

فلما كان يوم أحُد ، دعاه صفوان بن أمية الجمحي الى الخروج ، فأبى أبو عزة للوعد الذي قطعه للنبي . الا أن صفوان أغراه وأطمعه . فخرج أبو عزة في تهامة يدعو بني كنانة ويقول(٢) :

إيْهاً بني عبد مناة الرزّامْ
أنتم حماة وأبوكم حام

(١) هذه رواية السيرة ق١ ص٦٦٠ ، أما في طبقات الشعراء ص ٢١٢ فثلاثة أبيات مع خلاف في بعض الكلمات . المباءة : المكانة والمنزلة . تأوب : رجع .

(٢) السيرة ق٢ ص٦١ وطبقات الشعراء ص٢١٣ . ومغازي رسول الله ص١٥٨ وفي الرجز خلاف . الرزام : ج رازم ، الذي يثبت مكانه .

لا تعدوني نصركم بعد العام
لا تسلموني لا يحل اسلام

ويقع أبو عزة أسيرا مرة ثانية بأيدي المسلمين ، ويتضرع ثانية كما تضرع في الاولى فيقول : « يا رسول الله : أقلني » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول : خدعت محمدا مرتين » ثم يأمر بضرب عنقه(١) .

وشاعر آخر عرف بفروسية وبطولة وحسن بلاء في سبيل قومه ، ذلك هو أبو أسامة معاوية بن زهير بن قيس ، وأبو أسامة هو الذي مر - في موقعة بدر - بهبيرة بن أبي وهب ، وهو طريح من الاعياء ، والناس قد ولوا الدبر ، فألقى عنه درعه ، وحمله فمضى به ، وقال شعرا عده ابن هشام أصح أشعار أهل بدر(٢) :

ولما أن رأيتُ القوم خفُّوا
وقد زالت نعامتهم لنفر

وأن تركت سراة القوم صرعى
كأن خيارهم أذباح عتر

وكانت جمة وافت حماما
ولقينا المنايا يوم بدر

نصد عن الطريق وأدركونا
كأن زهاءهم غطيان بحر

---

(١) السيرة ق٢ ص١٠٤ والطبقات ص٢١٣ مع خلاف في التعبير بسيط . وامتاع الاسماع جـ١ ص١٦٠ فيه زيادة حيث يقول الرسول : « ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ... » .

(٢) السيرة ق٢ ص٣٤ الى ٣٦ . شالت نعامتهم : هلكوا . العتر : الصنم الذي يذبح له . جمة : جماعة الناس ويروى : حمة من الحميم الاقرباء . غطيان بحر : فيضانه .

وقال القائلون من ابن قيس

فقلت : أبو أسامة غير فخر

ويستمر أبو أسامة في الفخر بنفسه وقبيلته ، وشهوده الحرب ، وذكر هبيرة ونكوص الناس ، وتستمر القصيدة على هذا المنوال ، وهي طويلة تبلغ سبعة وعشرين بيتا • وله قصيدة أخرى في هذا اليوم ، يقول فيها[1] :

ألا من مبلغ عني رسولا
مغلغلة يثبتها لطيف

ألم تعلم مردّي يوم بدر
وقد برقت بجنبيك الكفوف

وقد تركت سراة القوم صرعى
كأن رؤوسهم حدج نقيف

وقد مالت عليك ببطن بدر
خلاف القوم داهية خصيف

فنجّاه من الغمرات عزمي
وعون الله والامر الحصيف

ومنقلبي من الابواء وحدي
ودونك جمع أعداء وقوف

وبهذا النفس يمضي أبو أسامة في ذكر بطولته ، وخوضه غمرات الحروب • وقد نبه ابن هشام الى أن له قصيدة أخرى على اللام تركها

---

(١) السيرة ق٢ ص٣٧-٣٨ • اللطيف : الحاذق الدقيق • الحدج : الحنظل الواحدة حدجة • نقيف : مكسور • الخصيف : المتلونة الوانا ، وقيل المتراكمة • الابواء : موضع به آمنة بنت وهب أم رسول الله •

كراهية الاكثار ، وليس فيها ذكر بدر الا في أول بيت منها والثاني[1] .

وكما أبى أبو أسامة ونصر قريشا ، وأعان رجالها وقت الهزيمة ، فكذلك فعل أبو بكر : شداد بن الاسود بن شعوب الليثي ، حيث أنقذ أبا سفيان بن حرب من سيف حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة يوم أحد ، وقتل شداد حنظلة ، فذكر أبو سفيان هذا الصنيع في قوله[2] :

ولو شئت نجتني كميت طمرة
ولم أحمل النعماء لابن شعوب

وذكر الحادث شداد نفسه ، ووصف دفع الموت عن أبي سفيان ، قال[3] :

ولولا دفاعي يا بن حرب ومشهدي
لألفيت يوم النعف غير مجيب

ولولا مكرّي المُهر بالنعف قرقرت
ضباع عليه أو ضراء كليب

وذكر فعلته تلك في بيت آخر[4] قال :

لأحمِيَنَّ صاحبي ونفسي
بطعنة مثل شعاع الشمس

وكان أبو بكر ضالا متحيرا ، مضطرب القلب مزعزع الايمان . كان قد

---

(١) نفس المصدر ص٣٨ .

(٢) السيرة ق٢ ص٧٥ والكامل في التاريخ ج٢ ص٦٠ . طمرة : شديدة الجري .

(٣) السيرة ق٢ ص٧٧ .

النعف : أسفل الجبل . كليب : اسم لجماعة الكلاب . الضراء : الضارية المتعودة الصيد . قرقرت : أسرعت .

(٤) السيرة ق٢ ص٧٥ .

أسلم ثم ارتد . فلما كان يوم بدر ، ورأى هزيمة قريش ومصابها ، بكى قومه من أصحاب القليب ، قال[1] :

تحيــي بالســلامة أم بكــر
وهــل لي بعــد قومي من ســلام

فمــاذا بالقليــب قليب بــدر
مــن القينــات والشــرب الـكرام

ومــاذا بالقليب قليــب بــدر
مــن الشــيزى تكلل بالســنام

وكم لك بالطَّوِي طوى بــدر
من الحومات والنعــم المُســام

وكم لك بالطَّوِي طوى بــدر
من الغايات والدســع العظــام

وأصحــاب الـكريم أبى عــلى
أخي الكأس الـكريمة والنــدام

وانك لو رأيت أبــا عقيــل
وأصحــاب الثنيــة من نعــام

(١) السيرة ق٢ ص٢٩ . القليب : البئر . القينات : الجواري ، يريد أن أولئك القتلى كانوا أصحاب لهو وشراب . الشيزى : جفان من خشب ، يريد أصحابها الذين يطعمون فيها . الطوى : البئر المطويــة بالحجارة . الحومات : ج حومة القطعة من الابل . المسام : المرسل في المرعى دون راع . الدسع : العطايا . الثنية : فرجة بين جبلين . نعــام : اسم موضع . السقب : ولد الناقة حين تضعه . الاصداء : ج صــدى ، وهي بقية الميت في قبره ، وهي أيضا طائر ، يقال هو ذكر البوم . الهام : ج هامة ، طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل اذا قتل فيصيح : أسقوني أسقوني ، فلا يزال يصيح كذلك حتى يؤخذ بثأره ، فحينئــذ يســكت .

اذا لظللت مـــن وجـد عليهـم
كأم السـقب جائلة المـرام

يخبرنا الرسول لسـوف نحيا
وكيف لقاءُ أصداءٍ وهامِ[1]

أما مسافع بن عبد مناف ، فقد كان جهده منصبا عـلى تحريض الناس ، وتقريع المنهزمين ، ورثاء القتلى من قريش . فقد خرج مسافع الى بني مالك بن كنانة ، يحرضهم ويدعوهم الى حرب المسلمين يوم أُحُـد ، فقـال[2] :

يا مال : مـال الحسـب المقـدم
أنشـد ذا القربـى وذا التـذمم

من كان ذا رحم ومن لـم يرحـم
الحلف وسـط البلد المحـرم

عنـد حطيم الكعبـة المعظم

أما في الخندق ، فيكي مسافع عمرو بن عبد ود ، الذي قتله علي بن أبي طالب . ويذكر مصرع عمرو وبطولته وسجاياه[3] :

---

(١) روى ابن هشام هذا البيت من انشاد أبي عبيدة النحوي رواية أخرى هي :
يخبرنـا الرسـول بأن سنحيا
وكيف حيـاة أصـداء وهـام

(٢) السيرة ق٢ ص٦١ . مال : مرخم مالك . ذو التذمم : الذي له ذمام وهو العهد .

(٣) السيرة ق٢ ص٢٦٦-٢٦٧ . جزع المذاد : قطعه ، والمذاد موضع بالمدينة حيث حفر الخندق ، وقيل هو بين سلع وخندق المدينـة ويروى : المزاد أيضا . ويليل : واد ببدر . المرة : الشـدة والقوة . الشكة : السلاح. لم ينكل : لم يرجع من رهبة أو خوف. تكنفه : أحاط =

عمرو بن عبـــد كان أول فارســـ
جزعَ المذادَ وكان فارس يَلْيَلِ

سمحُ الخلائق ماجدٌ ذو مِرَّةٍ
يبغي القتــال بشكة لم ينكل

ولقـــد علمتم حين ولَّوا عنكم
ان ابـن عبـد فيهم لـم يعجـل

حتى تكنفـــه الـكماة وكلهــم
يبغي مقاتلـــه وليس بمـــؤتلي

ولقـــد تكنفت الاسنة فارســـا
بجنوب سـلع غـير نكس أميـل

تســل النزال علىٌّ فارسَ غالبٍ
بجنوب سلْع ليته لـــم ينـزل

فاذهب عليُّ فمـــا ظفرت بمثلـه
فخـرا ولا لاقيت مثـــل المعضـل

نفسي الفـــداء لفارس من غالـــب
لاقى حمـــام المـوت لـم يتحلحل

أعني الذي جزع المـــذاد بمهـــره
طلبـــا لثأر معاشـر لـــم يخـذل

وتنسب لمسافع قطعة أخرى ـ أنكر نسبتها ابن هشام ـ في تأنيب الفرسان الذين عبروا الخندق مع عمرو بن عبد ود ، ثم غادروه صريعا ، وذكـر

= به • ليس بمؤتلي : غير مقصر • سلع : جبل بسوق المدينة ، وقيـل موضع قرب المدينة • المعضل : الامر الشديد • لم يتحلحل : لم يبرح مكانه يريد ثابت لم يهرب •

منهم هبيرة بن أبي وهب ، وضرار بن الخطاب ، وأولها[1] :

عمرو بن عبد والجياد يقودها
خيل تقاد له وخيل تنعل

وثمة شعر في تضاعيف السيرة وغيرها ، يقال حين تدعو المناسبة ذلك ، كأن يصف عمرو بن العاص خروج قريش الى القتال يوم أحُد ، وما أعدوا للمسلمين ، وما آل اليه أمر المسلمين ، ومنهم الخزرج ، قال[2] :

خرجنا من الفيفا عليهم كأننا
مع الصبح من رضوى الحبيك المنطق
تمنت بنو النجار جهلا لقاءنا
لدى جنب سلع والاماني تصدق
فما راعهم بالشر الا فجاءة
كراديس خيل في الازقة تمرق
أرادوا لكيما يستبيحوا قبابنا
ودون القباب اليوم ضرب محرق
وكانت قبابا أومنت قبل ما ترى
اذا رامها قوم أبيحوا وأحنقوا
كأن رؤوس الخزرجين غدوة
وايمانهم بالمشرفية بروق

أو أن يبكي الاسود بن عبدالمطلب أبناءه ، وكانت قريش قد منعت النواح

(1) السيرة الصفحة السابقة .

(2) السيرة ق٢ ص١٤٣ـ١٤٤ . الفيفا : القفر الذي لا ينبت شيئا والاصل فيفاء فقصر للشعر . رضوى : اسم جبل . الحبيك : الذي فيه طرائق . المنطق : المحزم . الكراديس : جماعات الخيل . تمرق : تخرج . البروق : نبات له أصول تشبه البصل .

بعد بدر ، خشية أن يشمت المسلمون ، فاذا سمع امرأة تبكي بحجة بعير أضلته ، قال(١) :

أتبكي أن أضل لها بعير
ويمنعها البكاء من الهجود

ولا تبكي على بكر ولكن
على بدر تقاصرت الجدود

على بدر سراة بني هُصَيْصٍ
ومخزوم ورهط أبي الوليد

وبكى اذ بكيت على عقيل
وبكى حارثا أسد الاسود

وبكيهم - ولا تسمى - جميعا
فما لابي حكيمة من نديد

ألا قد ساد بعدهم رجال
ولولا يوم بدر لم يسودوا

ويقول ابن هشام بعدها : انه أسقط أبياتا أشهر منها(٢) • وليت ابن هشام لم يفعل ذلك ، فهذا الشعر من أصدق شعر قريش عاطفة ، وأبلغه وقعا في النفس ، وأكثره شجى •

ومن شعر قريش هذا المتناثر في تضاعيف الكتب ، والذي يعبر عن موقف قريش وعواطفها ، شعر مقيس بن صبابة • وكان قد ادعى الاسلام

(١) الاغاني جـ٤ ص٢٠٩ ط الدار وفي القطعة اقواء في البيتين الثاني والاخير • وانظر كذلك السيرة ق١ ص٦٤٨ • والكامل - ابن الاثير جـ٢ ص٢٧ •

(٢) السيرة ق١ ص٦٤٨ • ولا تسمى : أصلها ولا تسامي ، نقل حركة الهمزة الى السين ثم حذف الهمزة • النديد : الشبيه •

كذبا ليظفر بثأر أخيه ـ وكان أخوه مسلما قتله أحد الانصار خطأ في غزوة بني المصطلق ، ظنا من الانصاري أنه من العدو ـ فوثب على قاتل أخيه فقتله ، وعاد الى مكة يصف حاله(١) :

شفى النفس أن قد مات بالقاع مسندا
تضرج ثوبيه دماء الاخادع

وكانت هموم النفس من قبل قتله
تُلِمُّ فتحميني وطاء المضاجع

حللت به وتري وأدركت ثؤرتي
وكنت الى الاوثان أول راجع

ثأرت به فهرا وحملت عقله
سراة بني النجار أرباب فارع

وفي مكة نساء شواعر ، كان لهن أثر كبير في دفع المقاتلين الى الحروب ، وفي تحريض الرجال ، واثارة الاحقاد ، وبكاء القتلى . ومما يعرف أن رجال مكة كانوا قد اصطحبوا نساءهم يوم أُحُد ، ليحرضنهم على القتال ، ويثرن الحمية في النفوس . وشعر النساء في مكة لا يقل خطرا عن شعر الرجال ، ففيه الكثير من اتجاهات الشعر القرشي ، زيادة على ما في شعر النساء من التفجع ، واللوعة في بكاء القتلى .

وأول ذلك الشعر ، وأجوده ، وأشده ايلاما للمسلمين ، وأصدقه حزنا على قتلى المشركين ، هو شعر هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبرز شاعرات قريش وأشدهن عداء لرسول الله صلى الله

(١) السيرة ق٢ ص٢٩٣ـ٢٩٤ وتاريخ الكامل ج٢ ص٧٣ .
الاخادع : عروق القفا ، وانما هما أخدعان فجمعهما مع ما يليهما . تلم : تحل بي وتساورني . الوتر : طلب الثار . الثؤرة : الثأر . العقل : الدية . فارع : حصن لبني النجار كان لحسان بن ثابت .

عليه وسلم وأصحابه . وكانت مصيبة هند في بدر كبيرة حيث كان قد قُتل أبوها ، وكذلك حنظلة بن أبي سفيان ، ابنها ، وعمها شيبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وأخوها الوليد بن عتبة بن ربيعة[1] . وكانت هند قد ذكرت قتلاها حين كاثرت الخنساء بمصيبتها ، فقالت[2] :

أبكـي عميـد الابطحين كليهمـا
وحاميهما من كل باغ يريدها
أبي عتبـة الخيرات ويحك فاعلمي
وشيبة والحـامي الذمار وليدهـا
أولئـك آل المجـد من آل غالب
وفي العز منهـا حين ينمى عديدها

وقالت هند تبكي أباها عتبة بن ربيعة ، حيث قتل يوم بدر ، وكان قد قتله عبيدة بن الحارث بن المطلب[3] :

أعينـيَّ جـودا بدمـع سـرب
عـلى خير خندف لـم ينقلـب
تَداعَى لـه رهطـهُ غُـدوةً
بنـو هاشـم وبنـو المطلـب
يذيقونـه حـد أسـيافهم
يُعلونَه بعدَ ما قـد عطب
يجرونـه وعفـير التـراب
على وجهـه عاريا قـد سـلب

(١) السيرة ق١ ص٧٠٨-٧٠٩ .
(٢) الاغاني جـ٤ ص٢١١ ط الدار .
(٣) السيرة ق٢ ص٣٨ . جميل المراة : أصلهـا مرآة العين ، فنقلت حركة الهمزة الى الساكن فذهبت الهمزة . برى : أصله البـراء فصغرتـه .

وكـــان لنـــا جبـــلا راســـيا

جميـــل المــراة كثـــير العشب

وامـــا بـــرى فلـــم أعنـــه

فأوتي من خـــير مـــا يحتسب

ولها مقطوعتان في هذا اليوم ، ضعَّف ابن هشام نسبتهما لهنـــد ، وهو شعر معبر عن أحاسيس امرأة مفجوعة ، فان لم يكن لهند فلواحدة من قريش غيرها ، قالت في الاولى[1] :

يريب علينـــا دهرنـــا فيسوؤنا

ويأبى فمـــا نأتي بشـــيء يغالبـــه

أبعـــد قتيـــل من لؤي بن غالـــب

يراع امروء ان مات أو مات صاحبه

ألا ربَّ يومٍ قـــد رُزئت مُرزأً

تروح وتغـــدو بالجزيل مواهبـــه

فأبلغ أبا ســـفيان عنـــي مألـــكا

فان ألقـــه يوما فسوف أعاتبـــه

فقـــد كان حـــرب يسعر الحرب انـــه

لكل امرىء في الناس مولى يطالبـــه

(١) نفس المصدر ص٣٩ ٠ المرزأ : الكريم الذي يرزؤه القاصدون والاضياف ، أي ينقصون من ماله (أنظر شرح السيرة لابي ذر الخشني) ٠ المألك : ج مالكة الرسالة التي تبلغ باللسان ٠ حرب : هو والد أبـــي سفيان (صخر بن حرب) ٠ ويسعر : يهيج ٠

وقالت في القطعة الثانية[1] :

لله عينا من رأى
هلكا كهلك رجاليه

يا رب باك لي غدا
في النائبات وباكيه

كم غادروا يوم القليـ
ـب غداة تلك الواعيه

من كل غيث في السنيـ
ـن اذا الكواكب خاويه

قد كنت أحذر ما أرى
فاليوم حق حذاريه

قد كنت أحذر ما أرى
فأنا الغداة مواميه

يا رب قائلة غدا
يا ويح أم معاويه

وقالت هند ترتجز في بكاء أبيها[2] :

يا عين بكي عتبه
شيخا شديد الرقبه

---

(١) السيرة ق٢ ص٣٩ ٠ الواعية : الصراخ ٠ مواميه : تريد ذليلة حزينة ٠

(٢) نفس المصدر ص٤٠ ٠ المسغبة : شدة الجوع ٠ حربة : حزينة غضبى ٠ مستلبة : ماخوذة العقل ٠ منشعبة : سائلة سريعة ٠ المقربة : من الخيول الكريمة ٠ السلهبة : الفرس الطويلة ٠

يطعـــم يـــوم المســـغبه
يدفـــع يـــوم المغلبـــه

انـــي عليـــه حربـــه
ملهوفـــة مســـتلبه

لنهبطـــــن يثربـــه
بغــــارة منثعبـــــه

فيهـــا الخيـــول مقربـــه
كـــل جـــواد سَلْهَبَة

وقد ذكر صاحب الاغاني ، قطعة أخرى ترثي أباها في بدر ، لا يخـــرج معناها عن شعرها المتقدم[1] :

أما في أحُد ، فقد خرجت هند الى أرض المعركة ، وجمعت النسوة يضربن بالدفوف خلف الرجال يحرضنهم ، وكانت هند تنشد وقد التقى النـــاس[2] :

ويهـــا بني عبـــد الـــدار
ويهـــا حمـــاة الادبـــار

ضـــرباً بـــكل بتـــار

وتقول أيضا متمثلة[3] :

---

(١) الاغاني جـ٤ ص٢١٠ ط الدار. والقطعة تبدأ بقولها :
من حس لـــي الاخـــوين كالـ
غصنـــين أو مـــن راهمـــا

(٢) السيرة ق٢ ص٦٨ وامتاع الاسماع جـ١ ص١٢٣ • ويهـاً : كلمة للاغراء والتحريض •

(٣) الشعر لهند بنت طارق الايادية • النمارق : جـ نمرقـــة الوسادة • الوامق : المحب •

ان تُقبلـــوا نعـــانــق
ونفـــــرش النمــــارق
أو تُدبـــروا نُفـــارِق
فـــراق غـــير وامـــق

وهند الحاقدة الموتورة ، وجدت شفاء غيظها في التمثيل بجثث الشهداء المسلمين ، فكانت وصواحبها تقطع الاذان وتجدع الآنف ، حتى اتخذت من ذلك خلخالا وقلائد ، وأعطت حليها وحشيا غـلام جبير بن مطعم ، وكانت قد استأجرته ـ وهو يحسن استعمال الحربة ـ لقتل حمزة عـم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمرت بحمزة حيث صرعه وحشي ، فبقرت عن كبده فلاكتها فلم تسغها ، ثم علت صخرة مشرفـة فصرخت متشفية بمصاب المسلمين[1] :

نحـن جزينـاكم بيـوم بـدر
والحـرب بعد الحرب ذات سُـعر
ما كان عن عتبـة لي من صبـر
ولا أخي وعمـه وبكـري
شفيت نفسي وقضيت نـذري
شـفيت وحشي غليل صـدري
فشكر وحشي عليَّ عمـري
حتى ترمَّ أعظمي في قبـري

وكانت هند شديدة الفرح بقتلى المسلمين ، والتشفي بهم ، وبخاصة

(١) السيرة ق٢ ص٩١ وينظر مغازي الرســول ص١٧٦ـ١٧٧ وحول تمثيلها بحمزة يرجع الى امتاع الاسماع جـ١ ص١٥٣ .

بحمزة . فقد ذكرت فرحتها تلك ، وتمثيلها بحمزة ، وذهاب الحزن الذي خلفه يوم بدر ، قالت[1] :

شفيت من حمزة نفسي بأحد
حتى بقرت بطنه عن الكبد

أذهب عني ذاك ما كنت أجد
من لذعة الحزن الشديد المعتمد

والحرب تعلوكم بشؤبوب برد
تقدم اقداماً عليكم كالاسد

وكان حسان بن ثابت قد رد على هند ، بعد أن حرضه عمر بن الخطاب ، حيث قال : « لو سمعت ما تقول هند، ورأيت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا ، وتذكر ما صنعت بحمزة ؟ »[2] وكان حسان في حصنه (فارع) لم يشهد الحرب ، فقال من قصيدة يهجو هندا[3] :

أشرت لكاع وكان عادتها
لؤما اذا أشرت مع الكفر

وقد أسلمت هند عند الفتح ، ومع ذلك فقد بقي في قلبها شيء من مصاب بدر ، ففي رواية تقول : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يعظ نساء فيهن هند ، فاذا قال : « ولا تقتلن أولادكن » أجابت هند : « وهل تركت لنا ولدا ، الا قتلته يوم بدر ؟ »[4] .

---

(١) السيرة ق٢ ص٩٢ . اللذعة : ألم النار . المعتمد : القاصد المؤلم . شؤبوب برد : دفعة المطر الباردة وقد شبهت بها الحرب .
(٢) السيرة ق٢ ص٩٢ .
(٣) نفس المصدر ص٩٣ وديوان حسان ص٢٢٩-٢٣١ وفي رواية الديوان خلاف في الحركات . اللكاع : اللئيمة .
(٤) طبقات ابن سعد جـ٨ ص١٧٢ وما بعدها وفي رواية (.. ولا يقتلن أولادهن) .

وامرأة أخرى قالت الشعر في بكاء قتلى قريش ، هي صفيـة بنت مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ، فقد هزتها المصيبة ، ورأت أن قومها يتساقطون في بدر ، وتحز أعناقهم ، ويطرحون في القليب أو يوارون بتراب يثرب ، كما كان من أمر ابن عمها عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو ، الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح صبرا(١) . قالت تبكي القتلى وتتفجع عليهم(٢) :

يا من لعينٍ قذاها عائرُ الرمـد
حدَّ النهار وقرنُ الشمس لم يقدِ
أُخبرت ان سراة الاكرمين معاً
قد أحرزتهم منايـاهم الى أمـدِ
وفرَّ بالقوم أصحابُ الركاب ولم
تعطف غداتئذٍ أمٌ على ولـد
قومي صفيّ ولا تنسى قرابتهم
وان بكيتِ فما تبكين من بُعُدِ
كانوا سُقُوبَ سماءِ البيت فانقصفت
فأصبح السَّمكُ منها غير ذي عَمدِ

وقد روى ابن اسحق لصفية في يوم بدر قطعة أخرى هي(٣) :

ألا يـا مـن لعـين للتبكّـي دمعُهـا فـانٌ

(١) السيرة ق١ ص٧٠٨ .

(٢) السيرة ق٢ ص٤٠ . العائر : وجع العين . حد النهـار : الفصل بين النهار والليل . لم يقد : لم يتمكن ضوؤه . السقوب : عمد الخباء ، والسقوف أيضا .

(٣) السيرة ق٢ ص٤١ . الغرب : الدلو العظيمة . الدالـج : الساقي . الغريف : موضع الاسد وهي الاجمة . غرثان : جائع . ذكران : سيف طبع من مذكر الحديد . مزبد : ذو رغوة . آن : حام .

كغربــي دالــجٍ يســفي
خــلال الغيّــث الــدان

ومــ ليــثٌ غريــف ذو
أظافــير وأســنان

أبــو شــبلين وثّــابٌ
شــديد البطش غرثــان

كحيّــي اذ تولّــى و
وجوهُ القــوم ألــوان

وبالكــف حُســامٌ صا
رمٌ أبيــضُ ذكْــران

وأنتَ الطاعــنُ النجلا
ءِ منهــا مُزبِــدٌ آن

أما قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف ، فكانت قد عتبت على رسول الله في قتل أبيها[١] ، وذلك أن النضر كان ممن يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان اذا جلس الرسول مجلسا فدعا فيه الى الله تعالى ، وتلا فيه القرآن ، وحذر قريشا مما أصاب الامم الخالية ، خلفه النضر في مجلسه اذا قام ، فحدثهم عن رستم واسفنديار وملوك فارس ، ثم يقول : « والله ما محمد بأحسن حديثا مني ، وما حديثه الا أساطير الاولين ، اكتتبها كما اكتتبها »[٢] فأنزل الله فيه « وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض ، انه كان غفورا رحيما »[٣] واحداث النضر

(١) جاء في السيرة ق٢ ص٤٢ ان النضر أخو قتيلة ، وقد صحح السهيلي في الروض الانف جـ٢ ص١١٩ بانه أبوها • وينظر نسب قريش ص ٢٥٥ •

(٢) السيرة ق١ ص٣٥٨ •

(٣) سورة الفرقان آية ٥ـ٦ •

في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاولة احراجه كثيرة[١] • فاذا كان يوم بدر وقع النضر أسيرا بيد المسلمين ، فلما قفل المسلمون من بدر فكانوا في اصفراء قتل النضر بن الحارث ، قتله علي ابن أبي طالب فيما يروي ابن اسحق عن بعض أهل مكة[٢] فقالت قتيلة تبكيه وتناشد رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] :

يا راكباً ان الأثَيْلَ مظنــة
من صبح خامسةٍ وأنت موفــقُ
أبلغ بهـــا ميتاً بأن تحيــةً
ما ان تزالُ بهـــا النجائبُ تخفق
مني اليــك وعبــرةً مســفوحةً
جادت بواكِفها وأخرى تَخنقُ
هل يسمعَنّي النضر ان ناديتُه
أم كيف يسمع ميتٌ لا ينطــقُ
أمحمــدٌ يا خير ضِنءٍ كريمةٍ
في قومها والفحل فحــل مُعــرِقُ

---

(١) السيرة ق١ ص٥٧١ وامتاع الاسماع جـ١ ص٢٣ ذكره فيمن كانوا يؤذون الرسول •

(٢) السيرة ق١ ص٦٤٤ ونسب قريش ص٢٥٥ وامتاع الاسماع جـ١ ص٩٦ •

(٣) السيرة ق٢ ص٤٢ـ٤٣ والاغاني جـ١ ص١٩ ط الدار مع خلاف في ترتيب الابيات • الاثيل : موضع قرب المدينة بين بدر ووادي الصفراء • مظنة : موقع ايقاع الظن • النجائب : الابل الكرام • تخفق : تسرع • الواكف : السائل • الضنء : الاصل والولد • المعرق : الكريم الاصل • تنوشه : تتناوله بالطعن • تشقق : تقطع وتمزق • صبرا : تسرا وقهرا • الرسف : المشي الثقيل • العاني : الاسير الموثق •

ما كانَ ضرَّكَ لـــو مننتَ وربمـــا
من الفتى وهـــو المَغيظُ المُحنَـــق

أو كنتَ قابلَ فديـــةٍ فلينفقَـــنْ
بأعز ما يغـــلو بـــه مـــا يُنفَـــقُ

فالنضرُ أقرب من أسـرت قرابـــةً
وأحقُّهم ان كـــان عِتـــقٌ يُعتـــقُ

ظلت ســـيوفُ بني أبيـــه تنوشُه
للـــه أرحـــامٌ هنـــاك تُشـــقَّقُ

صبـــراً يُقـــاد الى المنيـــة متعبـــاً
رَسْفَ المقيَّدِ وهوَ عانٍ موثَقُ

وقد علق ابن هشام بعدها بقوله : « فيقال والله أعلم : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما بلغه هذا الشعر قال : لو بلغني هذا قبل قتلـــه لمننت عليه »[١] •

بهذا القدر من الالمام بشعر المشركين ، البارزين منهم وغير البارزين، وبشعر النساء المشركات ، نكون قد رسمنا الصورة التقريبية لشعر المشركين في مكة ، ولاجل أن تستكمل الصورة أسبابها ، نعرض لشعر الامصـــار الاخرى ، التي وقفت مثل مكة بوجه الاســـلام والمسلمين ، وتمسكت بموروثاتها في العبادة والاعتقاد ، وأبرز تلك الامصار مدينـــة الطائف • ولاجل ذلك نعقد الفصل الثاني من هذا الباب ، للحديث عن شعر المشركين في الطائف •

---

(١) السيرة الصفحة السابقة •

الفصل الثاني

شِعرُ الطَّائِف

الطائف بلدة صغيرة تقع على بعد سبعين ميلا جنوبي مكة ، في بقعة خصبة عامرة بالبساتين النضرة [1] . وبينها وبين مكة صلات وثيقة ، ولشدة هذه الصلات غلب اسم مكة عليها ، فصارت المدينتان تسميان بالمكتين ، ويسكنها الثقفيون . وقد عرفت الطائف واشتهرت بكثرة الخمر فيها ، وكثرة حاناتها قبل أن تسلم ، فلما أسلمت حُرمت الخمر فيها ، وقد بقى للخمر غلبة على نفوس الثقفيين حتى بعد الاسلام ، فكان عمر رضى الله عنه شديدا عليهم ، فكانوا يهانون فيها ، ويحدون لأجلها ، وقد أضرم عمر ابن الخطاب النار في حاناتها ومعاصرها ، وقد أشار لذلك أبو محجن الثقفي بقوله : [2]

رماها أميرُ المؤمنين بحتفها
فخلانُها يبكون حول المعَاصِرِ

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد سار الى الطائف وحاصرها ورماها بالمنجنيق ، ثم انصرف عنها [3] .

---

(١) معجم البلدان ــ ياقوت (الطائف) .

(٢) ديوان أبي محجن ص١٥ ط آبل مطبعة بريل سنة ١٨٨٧م .

(٣) السيرة ق٢ ص٤٨٢ وما بعدها .

وكان مما خوطب به أهل الطائف ، قول شداد بن عارض الجشمي، حين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف[١] :

لا تنصُروا اللاتَ انَّ اللهَ مُهلكها
وكيفُ ينصرُ من هو ليس ينتصـرُ

ان التي حُرقت بالسدّ فاشتعلت
ولم يُقاتَل لدى أحجارها هَدرُ

ان الرسول متى ينـزل بلادَكُـم
يظعن وليس بها من أهلها بشـرُ

وفي الطائف شعراء انضم بعضهم الى معسكر مكة ، حيث معارضة الدين الاسلامي والمسلمين . وشعراء الطائف كما جاء ذكرهم عند ابن سلام هم[٢] :

١ ـ أبو الصلت بن ابي ربيعة .

٢ ـ أمية بن ابي الصلت .

٣ ـ أبو محجن الثقفي .

٤ ـ غيلان بن سلمة .

٥ ـ كنانة بن عبد ياليل[٣] .

فأما أبو الصلت بن ابي ربيعة ، فلم يدرك الاسلام ، وكان له شعر في وقعة الفيل ، وشعر في مدح سيف بن ذي يزن . ذكر ذلك صاحب

(١) السيرة ق٢ ص٤٨١ـ٤٨٢ . هدر : باطل لا يؤخذ بثأره . السد : موضع . يظعن : يرحل .

(٢) طبقات الشعراء ص٢١٧ .

(٣) لم يترجم ابن اسلام له ولم يذكر شيئا من شعره . انظر هامش طبقات الشعراء ص ٢١٧ .

السيرة [1] وذكر له ابن سلام قطعة في مدح أهل فارس [2] .

وأما غيلان بن سلمة فهو شاعر مقل ، ذكره ابن سلام وقال : « ولغيلان بن سلمة شعر ، وهو شريف »[3] دون ان يذكر شيئا من الشعر . وروى له صاحب الاغاني قطعة في رثاء ابنه ، [4] وليس له شعر يتعلق بالاسلام ، لذلك نتجاوز عن ذكره . ويقتصر تعريفنا بشعراء الطائف الذين لهم أشعار تتعلق بالاحداث الاسلامية ، وأول هؤلاء الشعراء وأشدهم معارضة وأبرزهم أثرا ، هو أمية بن أبي الصلت .

لقد مر بنا ان أمية بن أبي الصلت بن ابى ربيعة الثقفي ، كان من الاحناف على دين ابراهيم ، وكان أمية يخبر أن نبيا قد قرب زمانه وكان يطمح أن يكون ذلك النبي . فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كفر به حسدا له ولما أنشد النبي صلى الله عليه وسلم شعره ، قال : « آمن لسانه وكفر قلبه » [5] وقد أنزل الله سبحانه فيه ـ فيما يقال :ـ « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها » [6] وقد انضم أمية الى شعراء قريش المشركين ، الذين رثوا قتلى بدر ، وحرضوا على قتال المسلمين . واستمر على ذلك حتى مات دون أن يدخل الايمان قلبه .

كان أمية من أبرز شعراء الطائف ، قال ابو عبيدة : « اتفقت العرب

---

(١) السيرة ق ١ ص٦٠ و٦٥ .

(٢) طبقات الشعراء ص ٢١٨ـ٢٢٠ .

(٣) طبقات الشعراء ص٢٢٦ وله أخبار في المحبر لمحمد بن حبيب ص ١٣٥ ، وينظر الازمنة والامكنة جـ٢ ص٢٧٤ .

(٤) الاغاني جـ١٣ ص٢٠٢ ط الدار وأولها :

عيني تجود بدمعها الهتان
سحا وتبكى فارس الفرسان

(٥) الشعر والشعراء ص١٧٦ .

(٦) الاغاني جـ٤ ص١٢٢ وسورة الاعراف ١٧٥ .

على أن أشعر أهل المدن ، أهل يثرب ، ثم عبد القيس ، ثم ثقيف • وان أشعر ثقيف ، أمية بن ابي الصلت » [1] •

وكان أمية قد اهتم بشعر الدين وذكر الآخرة ، حتى ان الاصمعي ليقول : « ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة ، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب ، وذهب عمر بن ابي ربيعة بعامة ذكر الشباب » [2] • ويزعم بروكلمان : ان أكثر ما روى من شعر أمية بن ابي اصلت ، منحول عليه • ما عدا مرثبته لقتلى بدر ، والتي منع النبي صلى الله عليه وسلم انشادها [3] •

كان أمية يناصر المشركين ، ويحرضهم على قتال المسلمين ، ويبكي قتلى قريش • ومن مشهور شعره قصيدته : [4]

ألا بكيتَ على الكرا ... مِ بني الكرام أولي الممادح
كبُكا الحمام على فُرو ... عِ الايك في الغصنِ الجوانح
يبكينَ حرى مستكيـ ... ـناتٍ يرحنَ مع الروائح
أمثالهن الباكيا ... تِ المعولاتِ من النوائح
من يبكهمْ يبكِ على ... حُزنٍ ويصدقُ كلَّ مادح
ماذا ببدرٍ فالعقنـ ... ـقلِ من مرازبة جحاجح

---

(١) الاغاني جـ٤ ص١٢٢ ط الدار •

(٢) الاغاني جـ٤ ص١٢٢ ط الدار •

(٣) تاريخ الادب العربي – كارل بروكمان حـ١ ص١١٣ الترجمة العربية •

(٤) السيرة ق٢ ص٣٠–٣٢ والاغاني جـ٤ ص١٢٢ ط الدار ذكر منها بيتا واحدا فقط •

الايك : جـ أيكة ، الشجر الملتف • الجوانح : الموائل • المعولات : الرافعات الصوت بالبكاء • العقنقل : الكثيب المنعقد من الرمل • المرازبة : جـ مرزبان (فارسي) الرؤساء • الجحاجح : السادة • مداقع البرقين : موضع اندقاع السيل • الحنان : الكثيب من الرمل • الاواشح : موضع شمط : جـ أشمط من خالطه الشيب • البهاليل : جـ بهلول ، السادة • وحاوح : جـ وحواح ، القوى الارادة والنفس • البطريق : رئيس الروم •

فمدافع البرقين فالـ ـحنان من طرف الاواشح
شمط وشبان بها ليل مغاوير وحاوح
ألا ترون لما أرى ولقد أبان لكل لامح
أن قد تغير بطن مكـ ـة فهي موحشة الاباطح
من كل بطريق لبطـ ـريق نقي اللون واضح

ويمضي أمية في المديح وذكر القوم بالشجاعة والكرم ، ثم يحرض على معاودة الكرة ، وشن غارة شعواء بآلاف مؤلفة بين ذي بدن ورامح .

لله در بني علي
أيم منهم وناكح
ان لم يغيروا غارة
شعواء تجحر كل نابح
بالمقربات المبعدا
ت الطامحات مع الطوامح
مرداً على جرد الى
أسد مكالبة كوالح
ويلاق قرن قرنه
مشي المصافح للمصافح
بزهاء ألف ثم ألـ
ـف بين ذي بدن ورامح

الايم : الذي لم يتزوج • تجحر : تلجئه الى جحره • المقربات : الخيل التي تقرب من البيوت لكرمها • المبعدات : التي تبعد في جريها ، وفي مسافة غزوها ، الطامحات : المرفوعة الرأس • الجرد : الخيل العتاق • المكالبة : الذين بهم شبه الكلب ، وهو السعار ، يريد حدتهم في الحرب • الكوالح : العوابس • القرن : الذي يقاوم في قتال أو شدة • البدن : الدرع

وقال ابن هشام بعدها : « تركنا منها بيتين ، نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » .[1] والملاحظ أن القصيدة فيها لين وتكرار ، وقد خلت من ذكر الآخرة وأمر الدين ، كما خلت من ذكر المسلمين ، وسمى المسلمين (فئة)[2] وحسب ، واذا كان ابن هشام قد حذف من القصيدة بيتين تعرض فيهما لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففي راجح الظن أنه نال من أصحاب رسول الله باعتبارهم الشخصي ، لا الديني .

ولأمية شعر في بدر ، في بكاء زمعة ابن الاسود ، وقتلى بني أسد . وقد جاء هذا الشعر بروايتين : الاولى رواية ابن اسحق ، وهي رواية مضطربة وفيها خلاف وسقم ، والثانية ـ التي نثبتها هنا ـ برواية ابن هشام عن خلف الاحمر وغيره ، قال :[3]

عينُ بكى بالمسبلاتِ أبا الحا
رثِ لا تذخرى على زمعَةْ

وعقيلَ بنَ أسودِ أسدَ البأ
سِ ليوم الهياج والدفعَهْ

فعلى مثلِ هلكهم خوتِ الجَو
زاءُ لا خانةٌ ولا خدعَه

---

(١) السيرة ق٢ ص٣٢ ، وشرح السيرة ـ ابو ذر الخشني ج ١ ص ١٩٥ ـ ١٩٩ .

(٢) وذلك في قوله :

خذلتهم فئة وهم
يحمون عورات الفضائح

(٣) نفس المصدر ص٣٣ . المسبلات : الدموع السائلة . الدفعة : يريد بها الحرب . الجوزاء : نجم معروف . خانة : ج خائن . خدعة : ج خادع . القمعة : السنام . القزعة : سحاب متفرق .

وهمُ الاسرةُ الوسيطةُ من كعْـــ
بٍ وفيهم كــذروة القمعَـــــة
أبتَنوا من معاشــرٍ شَــعر الـرأ
سِ وهـــم ألحقوهـــمُ المَنعـــة
فبنو عمّهـــم اذا حضــرَ البــأ
سُ عليهم أكبادُهـــم وجعَـــــه
وهمُ المطعِمونَ اذ قَحِطَ القطْـــ
ــرُ وحالت فــلا ترى قزعـــة

ومن الواضح أن هذا الشعر لا يرقى الى شعر قريش في رثاء قتلاها ، قوة وصدق عاطفة • وهذاأمر طبيعي ، فشعر أمية هنا شعر رجل يناصـــر قريشا ويعينها بلسانه • ثم ان شعر أمية عامة فيه ضعف ولين ، ولم يكــن شعره حجة على الكتاب كما يقول ابن قتيبة [1] عن علماء عصره •

وشاعر ثقيف الثاني في الطائف هو ابو محجن الثقفي :

وأبو محجن ، عبدالله بن حبيب الثقفي ، شـــاعر فارس معدود في أولى البأس والنجدة اشترك مع قومه في محاربة المسلمين ، حين توجـــه المسلمون الى الطائف وحاصروها ، وكان ابو محجن قد أصاب بسهمه ، في ذلك اليوم ، عبدالله بن ابي بكر ، الذي توفي متأثرا بجرحه ذاك ، بعد ثلاث سنوات ، أي في السنة الحادية عشــرة للهجـــرة • [2] وقد أسلم ابو محجن مع من أسلم من قومه ، في السنة التاسعة للهجرة [3] •

لقد اشتهر ابو محجن بشربه الخمر ، والعكوف عليها في الجاهليـة ، واستمر على ذلك في الاسلام ، وقد حده عمر مرارا فلم يكف عنها ، حتي

---

(١) الشعر والشعراء ــ ابن قتيبة ص ١٧٧ •
(٢،٣) دائرة المعارف الاسلامية (ابو محجن) بقلم رودوكناكس ، وتاريخ الادب العربي بروكمان جـ١ ص١٦٧ •

اضطر الى نفيه ، ولكنه هرب ولحق بسعد بن أبي وقاص في القادسية (سنة اربع عشرة للهجرة) ، في قصة طريفة تمثل هروبه وحبس سعد اياه في قصره .[1] وكان قد اشترك ابو محجن في الحرب ، وأبلى فيها البلاء العظيم وقد تاب منذ ذلك الحين توبة نصوحا عن معاطاة الخمر[2] .

وشعر ابي محجن فيه ضربان : ضرب في مدح الخمر ، والدعوة اليها ، والانس بمجالسها ، والاصرار على شربها . وضرب آخر في ذم الخمر ، وبيان مساوئها ، والحسرة على غوايته السابقة واثمه ومجونه . وهذا الضرب يعني أنه قيل بعد التوبة ، وشعر هذه الفترة بارد فاتر العاطفة ، ضعيف النسج ، هو أقرب الى النظم والوعظ منه الى الشعر ذي العواطف الجياشة ، والمشاعر الصادقة .

وقد حكى أبو محجن ما كان من تعلقه بالخمر ، وسيطرتها على نفسه ، ونفوس شاربيها ، وانه يستهين حتى باقامة الحد عليه في سبيلها ،

---

(١) الاغاني جـ٢١ ص١٣٨ ط ساسى ، ونهاية الارب جـ٤ ص٨٨ ، وقد أورد له ابن سلام شعرا في هذا اليوم هو :

كفى حزنا أن تطرد الخيل بالقنا
وأترك مشدودا على وثاقيا

اذا قمت عنانى الحديد وأغلقت
مصاريع من دونى تصم المناديا

وقد كنت ذا مال كثير وأخوة
فقد تركوني واحدا لا أخا ليا

اريني سلاحا لا أبالك انني
أرى الحرب ما تزداد الا تماديا

طبقات الشعراء ص٢٢٥ وكذلك جمهرة أنساب العرب ص٢٥٧ حيث يذكر بلاءه في القادسية .

(٢) طبقات الشعراء ص ٢٢٦ .

وانه اذ يستطيع الصبر على فقد اخوته ، فلن يطيق صبرا على فراق الخمر وهجرهـــا : (١)

ضربت فلم اجزع ولم أكُ جازعـــاً
لحادثِ دهرٍ في الحكـومة جائـرِ
وانّي لذو صبرٍ وقد مات أخوتـــي
ولستُ عن الصبهاءِ يومـا بصابـــر
رماهـــا أميرُ المؤمنـين بحتفهـــا
فخُلانها يبـكون حـول المعاصـــر

وكذلك يستهين بعذاب النار في سبيلها ، فيشـربها صرفا ، زيادة في الاثم ، وايغالا في المعصية : (٢)

ألا سقني يا صـــاحِ خمـــراً فانني
بما أنزلَ الرحمنُ في الخمر عالـمُ
وجُدْ لي بهـا صرفاً لأزدادَ مأثمـاً
ففي شُـربها صـــرفاً تتم المآثِـــم
هي النارُ الا انني نلـتُ لـــــذةً
وقضيتُ أوطـارى وان لام لائـــمُ

ذلك كان في عهد الغواية والضلال ، والاصرار على المعصية . أمـــا وقد تاب ، فيعاهد الله ألا يعود اليها ، ويأمل مغفرة من عند الله ، فهـــو الغفور الرحيم ، يقول : (٣)

أتـوبُ الى الـلـه الرحيـــم فانـــهُ
غفورٌ لذنبِ المرءِ مالم يعـــاود

(١) ديوان أبي محجن ص١٥ .
(٢) ديوان ابي محجن ص ١٥ .
(٣) نفس المصدر ص ١٢ .

ولستُ الى الصهباءِ يوماً بعائدٍ
ولا تابعٍ قولَ السفيه المعاندِ

وكيف وقد أعطيتُ ربي مواثقاً
أعودُ لها والله ذو العرشِ شاهدي

ساتركها مذمومةً لا أذوقها
وان رغمتْ فيها أنوفُ حواسدي

ويقول أبو محجن في هجرها : (١)

رأيتُ الخمرَ صالحةً وفيها
مناقبُ تهلكُ الرجلَ الحليما

فلا واللهِ أشربُها حياتي
ولا أشفى بها أبداً سقيما

ويلاحظ أن البيت الاول متأثر بقوله تعالى : (قُل فيهما اثمٌ كبيرٌ ومنافعُ للناسِ واثمهما أكبرُ من نفعِهما) . (٢)
ويقول في ذمها وباطلها : (٣)

يقول رجالٌ لي اشربِ الخمرَ انها
اذا القومُ نالوها أصابوا المغانِما

فقلتُ لهم جهلا كذبتم ألم تروا
أخاها سفيها بعدما كان حالِما

اذا شرب المرءُ اللبيبُ مدامةً
نفى الدينَ عنه واستحلَّ المحارما

---

(١) نفس المصدر ص ١٥ .
(٢) سورة البقرة آية ٢١٩ .
(٣) ديوان ابي محجن ص ١٥ .

وأضحى وأمسى مستخفا مُهيمـــا

وحسْبك عارا ان ترى المرءَ هائما

ويلاحظ أن أبا محجن ، لم يكن قد شارك بشعره في المعارك التي قامت بين المسلمين والمشــركين • بل كل ما لديــه من شعر له مساس بالاسلام ، هو الشعر المتعلق بالخمر ليس غير •

وثالث شعراء الطائف ، الذين كان لهم ذكر وأثر في الاسلام ، هو كنانة بن عبد ياليل الثقفي ، كان شديدا على المسلمين ، لمع اسمه في غزوة حنين ، حيث جاءت ثقيف ، وعليها كنانة بن عبد يايل لتقاتل المسلمين ، وتنصر هوازن • (١) واذا ما هزمت هوازن ، ثم اسلمت الطائف ، يكون كنانة قد فارق قومه موليا وجهه شطر الشام ، مع علقمة بن علاثة ، وعبد عمرو بن صيفي (٢) •

وقد دون ابن اسحق في السيرة قطعة لكنانة ، يرد فيها على قصيدة كعب بن مالك ، التي يقول في أولها : (٣)

قَضينا من تهامــةَ كــلَّ ريبٍ

وخيبر ثــمَّ أجممنــا السيــوفا

نُخــيرها ولو نطقــتْ لقــالت

قواطعُهن دوســاً أو ثقيفــا

فقال كنانة : (٤)

منْ كــان يبغينا يُريدُ قتالنـــا

فانا بــدارٍ معلَــمٍ لا نريمُهــا

(١) مغازى رسول الله ص ٣٣٤ •
(٢) السيرة ق١ ص٥٨٦ •
(٣) السيرة ق٢ ص٤٧٩ •
(٤) السيرة ق٢ ص٤٨١ • معلم : مشهورة معروفة • لا نريمها : لا نبرح منها الاطواء : جـ طوى ، وهي البئر • عمرو بن عامر بن صعصعة : =

وجدنا بها الآباء من قبـل ما ترى
وكانت لنا أطواؤها وكرومُها

وقد جربتنا قبلُ عمرو بنُ عامـر
فأخبرها ذو رأيها وحليمُها

وقد علمتْ انْ قالت الحق أننا
اذا ما أبتْ صعرُ الخدود نقيمها

نُقومُها حتى يلين شريسُها
ويُعرفَ للحـق المبين ظلومُها

علينا دلاصٌ من تُراث مُحرق
كلون السماءِ زينتها نجومُها

نُرفعُها عنا ببيضٍ صـوارمٍ
اذا جُردت في غمرةٍ لا نشيمُها

هؤلاء الشعراء الثلاثة : أمية بن ابي الصلت ، وأبو محجن الثقفي ، وكنانة بن عبد ياليل ، يمثلون جانبا من شعر المعارضة في الطائف • وشعرهم وان كان قليلا ، وأثره الديني غير واضح ـ الا أنه لا يصح أن يهمـل فهو يمثل جانبا من هذا الشعر المعارض • واذا ما تعرضنا لشعر اليهـود ، فان صورة شعر المعارضة ـ في أغلب الظن ـ ستكون قريبة من الكمال • وهذا ما نحن فاعلوه في الفصل التالي :

= كانوا مجاورين لثقيف حاربوهم ولم ينالوا منهم • صعر الخدود : المائلة تكبرا وعجبا • شريسها : شديدها • دلاص : دروع لينة • محرق : يقول السهيلي : هو عمرو بن عامر وهو اول من حرق العرب بالنار • لا نشيمها : لا نغمدها ، والكلمة من الاضداد شمت السيف اذا سللته او اذا اغمدته •

الفصل الثالث

شعر اليهود

واليهود وان كانوا أصحاب دين وتوحيد ، الا أنهم يلتقون مع قريش في عدائهم للاسلام والمسلمين ، فقد جاهر اليهود منذ وقت مبكر بعدائهم للدين الاسلامي ، ورفعوا راية العدوان ضد المسلمين ، وانضموا الى قريش في حربهم ، يشاركونهم ويحرضونهم ، ويبكون قتلاهم في بدر من أصحاب القليب ، ثم شهروا بعد ذلك سيوفهم ليقاتلوا المسلمين .

سكن اليهود يثرب ، وأقاموا لهم قرى منبثة في خيبر ، وتيماء ، ووادي القرى . وقد نزل اليهود في يثرب منذ زمن قديم ، يروى أبو الفرج : أن موسى عليه السلام ، كان قد بعث جيشا من بني اسرائيل الى العماليق ـ سكان يثرب ـ فانتصر عليهم وأفناهم ، ثم أقام بنو اسرائيل في يثرب بعد وفاة موسى . ثم لما ظهر الروم على بني اسرائيل في الشام ، خرج بنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو بهدل ، هاربين منهم الى اخوانهم بالحجاز . ثم توافدت العشائر اليهودية ، وصارت مهاجرا لهم .(١)

ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، ووضع الكتاب بين المهاجرين والانصار ، وادع اليهود وأمنهم ، فقال عليه السلام : « وانه من تبعنا من يهود ، فان له النصر والاسوة ، غير مظلومين ولا

(١) الاغاني جـ١٩ ص٩٤ ـ ٩٥ ط ساسى .

متناصرين عليهم » .[1] وقد أقرهم على دينهم ، فقال : « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، الا من ظلم واثم ، فانه لا يُوتغ الا نفسه ، وأهل بيته » .[2] وقد أكرم الرسول اليهود ، بأن جعلهم مع المسلمين في مقام واحد ، متناصرين متناصحين ، قال : « وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم » .[3] هذا موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من يهود المدينة ، وادعهم وسالمهم وأكرمهم وضمن لهم دينهم وأموالهم . الا أنهم أبوا الا الغدر والخيانة ونقض العهد ، وبخاصة الاحبار منهم . قال ابن اسحق : « ونصبت عند ذلك أحبار يهود ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، العداوة بغيا وحسدا وضغنا ، لما خص الله تعالى به العرب ، من أخذه رسوله منهم » .[4] وكانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسئلة يريدون بها أن يشقوا عليه ، ويبغون منها المغالطة ، والباس الباطل لباس الحق ، فكان القرآن الكريم لهم بالمرصاد ، يكشف نواياهم ، ويظهر باطلهم ، قال تعالى : « يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم واياي فارهبون وآمنوا بما أنزلتُ مصدقا لما معكم ولا تكونوا أوّل كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا واياي فاتّقون ، ولا تَلبسوا الحقّ بالباطلِ وتكتموا الحقّ وأنتم تعلمون ».[5]

وحين قامت الحرب بين المسلمين ، وبين الكافرين من قريش ، في بدر حيث انتصر المسلمون ، بدأ اليهود يلعبون ألاعيبهم ، فقد ساءهم أن ينتصر المسلمون وهم قلة ، وتنتشر الدعوة ويكثر المؤمنون ، فعمل اليهود على نقض العهد الذي بينهم وبين المسلمين ، وكان بنو قينقاع أول يهود

(١) السيرة ق١ ص٥٠٣ .
(٢) المصدر السابق . ويوتغ : بمعنى يهلك .
(٣) المصدر السابق ص٥٠٤ .
(٤) السيرة ق١ ص ٥١٣ .
(٥) سورة البقرة ٤٠-٤٤ والسيرة ق١ ص٥٣٤ .

خانوا وحاربوا بين بدر وأحد [1] • وقد جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في سوقهم ، ونصحهم وحذرهم : « يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا ، فانكم قد عرفتم أني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم ، وعهد الله اليكم • » [2] فأبى القوم وتمادوا في غيهم ، وحزبوا الاحزاب ، وحرضوا قريشا وغطفان وأحياء من العرب ، لحرب المسلمين واستئصالهم • وعند ذلك لم ير المسلمون مناصا من أن يحسبوا لليهود كل حساب ، فهم العدو القريب • وقد قامت الحرب ، وكان النصر لدين الله ، والهزيمة لاعدائه المنافقين •

أما شعرهم ، فقد قال ابن سلام : « وفي يهود المدينة وأكنافها شعر جيد » • [3] ويهمنا هنا الشعراء الذين أدركوا الاسلام ، وكان لهم موقف منه وأثر •

وأول أولئك الشعراء كعب بن الاشرف •

أبرز شعراء يهود المدينة منزلة ، كان شاعرا فارسا ، وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره ، في الحروب التي كانت بين الاوس والخزرج • وكان كعب شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وللدين الاسلامي ، وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، [4] وينال من اعراض المسلمين ويشبب بنسائهم • وقد بلغ من عدائه للمسلمين أنه حين بلغه ما أصاب قريشا في بدر قال : « أحق هذا ؟ أترون محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان ؟ [5] فهؤلاء أشراف العرب ، وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم ، لبطن

---

(١) السيرة ق٢ ص٤٧ •

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة •

(٣) طبقات الشعراء ص٢٣٥ •

(٤) الاغاني ج١٩ ص١٠٦ ـ ١٠٧ ط ساسى ومعجم الشعراء ـ المرزباني ص ٣٣١ •

(٥) يريد زيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة ، وكان النبي قد أرسلهما ليبشرا بالنصر •

الارض خير من ظهرها »[1] ، ثم قصد كعب بن الاشرف مكة ، فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي ، وصار يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينشد الاشعار ويبكى أصحاب القليب من قريش[2] .

ولما رجع كعب الى المدينة كان يجاهر بعدائه للمسلمين ، فشبب بنسائهم وشهر باعراضهم ، فاستاذن نفر من المسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فاستدرجوه وقتلوه [3] وكان مقتله سببا في رعب اليهود ومن معهم من المشركين . وكان كعب بن مالك قد وصف مصرع كعب بن الاشرف ، قال : [4]

فغودرَ منهمُ كعبٌ صريعاً
فذلتْ بعد مصرعهِ النضيرُ

على الكفين ثمَّ وقد علتْه
بأيدينا مُشهرةٌ ذكُورُ

بأمر محمدٍ اذ دَس ليلا
الى كعبٍ أخا كعب يسيرُ [5]

فماكرهُ فأنزلهُ بمكرٍ
ومحمودٌ أخو ثقةٍ جسورُ

---

(١) السيرة ق٢ ص ٥١ .

(٢) السيرة ق٢ ص٥٢ وطبقات الشعراء ص٢٣٨ .

(٣) السيرة ق٢ ص ٥٥ـ٥٦ والاغاني حـ ١٩ ص ١٠٦ـ١٠٧ ساسى وطبقات الشعراء ص ٢٣٨ وتاريخ الكامل ـ حـ ٢ ص٥٢ـ٥٤ . يقال انه شبب بام الفضل زوج العباس بن عبدالمطلب فقال :

أراحل أنت لم ترحل لمنقبة
وتارك أنت أم الفضل بالحرم

(٤) السيرة ق٢ ص ٥٧ .

(٥) أخو كعب هو ابو نائلة سلكان بن سلامة أحد بني عبد الاشهل أخوه من الرضاعة أنظر السيرة ق٢ ص٥٥ .

أما شعر كعب بن الاشرف الذي ذكر في رثاء أصحاب القليب ، وفي التحريض ضد المسلمين ، فهو قوله : (١)

طحنتْ رحى بدرٍ لمهلك أهلـــه
ولمثـلِ بدرٍ تســتهلُ وتدْمَـــعُ

قُتلتْ سراةُ الناس حولَ حياضِـهم
لا تبعَـــدوا ان الملوكَ تُصـــرعُ

كم قد أُصيبَ به من أبيضَ ماجدٍ
ذي بهجــةٍ يأوي اليـــه الضيـــعُ

طلقِ اليــدين اذا الكواكبُ أخلفتْ
حمالُ أثقالٍ يســودُ ويربَـــــعُ

ويقولُ أقوامٌ أُســرُ بسخطهـــم
انّ ابنَ الاشرفِ ظلّ كعباً يجزعُ

صدقوا فليت الارضَ ســاعة قُتلــوا
ظلت تســوخُ بأهلها وتُصـــدعُ

صار الذي أثرَ الحــديثَ بطعنــة
أو عاش أعمى مُرعشــا لا يسمعُ

نبئتُ أنّ بني المغــيرةِ كُلهــم
خَشعوا لقتل أبي الحكيــم وجدّعوا

---

(١) السيرة ق٢ ص٥٢ • تستهل : تسيل بالدمع • الضيع : ج ضائع وهو الفقير طلق اليدين : كثير المعروف • اخلفت : لم يكن معهـا مطر ، وكانت العرب تنسب الى الكواكب سبب الامطار • يربع يأخـذ الربع وهو حصة الرئيس من الغنيمة التجديع : قطع الانف ، اى ذهـاب عزهم • تبع : ملك من ملوك اليمن • الاروع : الـذى يروعك بحسنـه وجمالـــه •

وابنا ربيعة عنده ومنبه
ما نال مثل المهلكين وتبع
نبئت أن الحارث بن هشامهم
في الناس يبني الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع وانما
يحمى على الحسب الكريم الأروع

وقد كان لهذه القصيدة أثر ، حيث أجابه حسان بقطعة ، وكذلك أجابته ميمونة بنت عبدالله ، امرأة من المسلمين ، ثم ان كعب بن الاشرف يرد على ميمونة بقطعة في ستة أبيات ، والملاحظ أن ابن هشام ينكر نسبة القطع الثلاث لأصحابها ، ونذكر هنا قطعة ميمونة ، ورد كعب بن الاشرف ، باعتبار أن القطعتين تمثلان اتجاهين مختلفين ، اسلامي ومعادي للاسلام ، قالت ميمونة :[١] وهي من بني مريد بطن من بلى :

تحنن هذا العبد كل تحنن
يبكي على قتلى وليس بناصب
بكت عين من يبكى لبدر وأهله
وعلت بمثليها لؤى بن غالب
فليت الذين ضرجوا بدمائهم
يرى ما بهم من كان بين الاخاشب
فيعلم حقا عن يقين ويبصروا
مجرهم فوق اللحى والحواجب

فأجابها كعب فقال :[٢]

---

(١) السيرة ق٢ ص٥٢ . الاخاشب : يريد الاخشبين وهما جبلان بمكة وقد جمعهما هنا مع ما حولهما .

(٢) المصدر السابق ص ٥٤ .

السفية : هنا أراد ميمونة بنت عبدالله قائلة الشعر السابق ، وقد =

ألا فازجروا منكم سفيهاً لتسلموا
عن القول يأتي منه غير مقارب

أتشتمني أن كنت أبكي بعبرة
لقوم أتاني ودهم غير كاذب

فاني لباك ما بقيت وذاكر
مآثر قوم مجدهم بالجباجب

لعمري لقد كانت مريد بمعزل
عن الشر فاحتالت وجوه الثعالب

فحق مريد أن تجد أنوفهم
بشتمهم حيي لؤي بن غالب

وهبت نصيبي من مريد لجعدر
وفاء وبيت الله بين الأخاشب

ومن الطبيعي أن لا يبقى المسلون أثرا لشعر كعب بن الاشرف الذي قاله في هجاء المسلمين ، ولا الشعر الذي شبب فيه بنسائهم ، لذلك فكل ما قيل من هذا الضرب قد عفي عليه وطمس ، اللهم الا الشعر الذي لا يمس بدين أو عرض ، وكان خاليا من الهجاء المقذع .

وثاني شعراء يهود المعادين للاسلام ، هو سماك اليهودي .

ذكر ابن اسحاق في السيرة شعرا لسماك اليهودي ، يجيب فيه على قصيدة لأحد المسلمين ، تسبها ابن اسحاق لعلي بن ابي طالب في اجلاء بني النضير ، وقتل كعب بن الاشرف ، أما ابن هشام ، فذكر أنها لرجل

= ذكر لانه حمل على معنى الشخص وهو يذكر ويؤنث . الجباجب : منازل مكة . احتالت : تغيرت ويروى اختالت من الاختيال وهو الزهو . وجوه الثعالب : نصبها على الذم ، واراد بذلك قبيلة مريد .

من المسلمين غير علي بن ابي طالب ، وقال : « ولم أرَ أحدا منهم [أي أهل العلم بالشعر] يعرفها لعلي » [1] والقصيدة تبدأ بقوله :

عرفتُ ومن يعتدل يَعرِف
وأيقنتُ حقاً ولم أصدِفِ

فأجاب سماك اليهودي يتوعد المسلمين ، ويهددهم بيوم عليهم ، وبغارة فيها ابو سفيان بن حرب ، الذي سيقاتل بحزم وشدة وعنف ، ويثبت في الحرب ثبات الاسود ، قال : [2]

ان تفخروا فهو فخرٌ لكم
بمقتل كعب ابي الأشرفِ

غداةَ غدوتم على حتفه
ولم يأتِ غدرا ولم يُخلفِ

فعلَّ الليالى وصرفَ الدهور
يُديلُ من العادل المنصفِ

بقتل النضيرِ وأحلافها
وعقرِ النخل ولم تُقطفِ

فان لا أمُتْ نأتِكم بالقنا
وكلَّ حُسام معا مرهَفِ

---

(١) السيرة ق٢ ص١٩٧ ، لم اصدف : لم اعرض ٠

(٢) نفس المصدر السابق ص١٩٨ ٠ يديل : من الدولة اى نصيب منه مثل ما اصاب منا ٠ العادل المنصف : اراد النبي عليه السلام ، وقد ذكر المدح واراد الذم ٠ كما يذكر ابو ذر في شرح السيرة وهو من مثل قوله تعالى : « ذق انك أنت العزيز الكريم » ٠ الكمي : الشجاع ٠ القرن : الذي يقاوم في القتال ويصبر ٠ صخر : هو ابو سفيان صخر بن حرب ٠ ترج : جبل بالحجاز تنسب اليه الاسود ٠ الغيل : أجمة الاسد الهاصر : الذي يكسر فريسته ٠ الاجوف : العظيم الجوف ٠

بكــف كمي بــه يحتمــى
متى يلــق قرنا لــه يتلــف

مع القوم صخر وأشـياعــه
اذا غاور القــوم لم يضعــف

كليث بترج حمـى غيلــه
أخي غابــة هاصر أجــوف

وقد قال كعب بن مالك في قصيدة يذكر اجلاء بني النضير ، وقتل كعب بن الاشرف (١) :

لقد خزيت بغدرتهــا الحبــور
كذاك الدهر ذو صــرف يدور

وذلك أنهــم كفــروا بــرب
عزيــز أمره أمــر كبـير

فرد عليه سماك يبكي كعب بن الاشرف وأصحابه ، ويذكر قتلى بني النضير ، وما حل بالقوم من بلاء : (٢)

أرقت وضافني هــم كبــير
بليل غيــره ليــل قصــير

ارى الاحبــار تنكــره جميعــا
وكلهــم لــه علــم خبــير

---

(١) السيرة ق٢ ص١٩٩ والحبور : ج حبر وهو العالم ، والمراد هنا علماء اليهود ٠

(٢) المصدر السابق ص٢٠٠ ٠ ضافني : نزل بي ٠ النجيع : الدم الطري ٠ المدارع : ج مدرعة ، ثوب من صوف ونحوه ٠ العتائر : ج عتيرة ، الذبيحة ٠ لا تليق : لا تبقي ٠ صخر : هو ابو سفيان بن حرب ٠

وكانوا الدارسين لكل علم
به التوارة تنطق والزبور

فتلتم سيد الاحبار كعبا
وقدماً كان يأمن من يُجير

تدلى نحو محمودٍ أخيه
ومحمودٌ سريرته الفجور

فغادره كأنّ دماً نجيعا
يسيل على مدارِعه عبيرُ

فقد وأبيكُم وأبى جميعا
أُصيبتْ اذ أصيب به النضير

فانْ نسلمْ لكم نترك رجالا
بكعبٍ حولهُم طيرٌ تدورُ

كأنهم عتائرُ يوم عيد
تُذبحُ وهي ليس لها نكيرُ

ببيض لا تُليقُ لهن عظما
صوافي الحدّ أكثرُها ذكور

كما لاقيتمُ من بأسِ صخرٍ
بأحدٍ حيثُ ليس لكم نصير

أما جبل بن جوال الثعلبي ، فقد قال يردد قول حيي بن أخطب ، حين قُدم لتقطع عنقه بعد يوم بني قريظة ، وكان حيي قد قال حين نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكنه من يَخذلِ الله يُخذل » ثم أقبل على الناس « أيها الناس ، انه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ، وملحمة كتبها الله على بني اسرائيل » .

ثم جلس فضربت عنقه .[1] فقال جبل بن جوال يردد ذلك المعنى :[2]

لعمركَ مالامَ ابنُ اخطبَ نفسه
ولكنه من يَخذل اللهَ يُخذلِ
لجاهدَ حتى ابلغ النفسَ عذرَها
وقلقل يبغي العز كلَّ مُقلقلِ

وكان حسان بن ثابت قد قال شعرا في بني قريظة ، منه قوله :[3]

تفاقد معشرٌ نصروا قريشا
وليس لهم ببلدتهم نصيرُ
هم أوتوا الكتابَ فضيعوهُ
وهم عُميٌ من التوارةِ بورُ

فأجابه جبل بن جوال ، وبكى النضير وقريظة ، وذكر سعد بن معاذ لائما ومعاتبا ، على ما كان من تحكيم سعد في بني قريظة :[4]

ألا يا سعدُ سعدَ بني مُعاذ
لما لقيتْ قريظةُ والنضيرُ
لعمركَ انَّ سعدَ بني مُعاذ
غداةَ تحملوا لهوَ الصبورُ

---

(١) السيرة ق٢ ص٢٤١ . وفي امتاع الاسماع جـ١ ص٢٤٨ خلاف وزيادة .

(٢) المصدر السابق والصفحة . قلقل : تحرك .

(٣) السيرة ق٢ ص٢٧٢ وديوان حسان ص١٩٤ . بور : ضلال ، هلكى .

(٤) السيرة ق٢ ص٢٧٢-٢٧٣ . الموالى : الحلفاء . حضير وأسيد : قبيلتان . ميطان : جبل من جبال المدينة مقابل الشوران ، به بئر ماء . كما في معجم البلدان . الرث : الخلق . الدثور : الدارس المتغير . الخضارمة : الكرام الاجواد جـ خضرم . البدور : هنا الايام والشهور .

فأما الخزرجي ابو حُبَاب
فقال لقينقاعٍ لا تسيروا

وبدلَتْ الموالى من حُضَير
أُسيداً والدوائرُ قد تدور

واقفرت البُويرةُ من سلام
وسعيةَ وابن اخطب فهى بُورُ

وقد كانوا ببلدتهم ثِقالا
كما ثقلتْ بِسيطانَ الصخورُ

وكل الكاهنَين وكان فيهم
مع اللين الخَضارمةِ الصُقور

وجدنا المجدَ قد ثبتوا عليه
بمجد لا تغيبه البُدور

أقيموا باسراةَ الاوس فيها
كأنكمْ من المخزاة عُورُ

تركتم قِدركم لا شيءَ فيها
وقدرُ القوم حاميةٌ تفور

هذا الشعر الذي قيل من قبل الشعراء اليهود ، وهو على قلته ، يصف جانبا من جوانب شعر المعارضة • وقد تسقط في تضاعيف كتب الادب والتاريخ ، ابيات تقال في مناسبة من المناسبات ، نذكر منها رجز مرحب اليهودي ، وابيات أوس بن دنى القرظى •

فأما مرحب اليهودي ، فقد خرج من الحصن في يوم خيبر ـ وقد

حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما ـ وقد جمع سلاحه ، وهو يرتجز :[1]

قد علمت خيبرُ أني مرحَب
شاكي السلاح بطلٌ مجرَّبٌ

أطعنُ احيانا وحيناً اضرب
اذا الليوث اقبلت تحرَّبٌ
ان حماي للحمى لا يُقربٌ

وهو يقول : من يبارز ؟ فخرج اليه محمد بن مسلمه ، فبارزه ثم قتله .[2]

واما الثاني ، فقد روى ابو عمر الشيباني : أن اوس بن دني القرظي ، كانت له امرأة من بني قريظة ، اسلمت وفارقته ، ثم نازعتها نفسها اليه ، فأتته وجعلت ترغبه في الاسلام ، فقال اوس في ذلك :[3]

دعتني الى الاسلام يومَ لقيتُها
فقلتُ لها لا بلْ تعالى تهودي

نحنُ على توارةِ موسى ودينه
ونعمَ لعمري الدينُ دينُ محمدِ

كلانا يرى أن الرسالةَ دينُه
ومن يُهدَ ابوابَ المراشد يُرشدِ

* * *

(١) السيرة ق٢ ص٣٣٣ وينظر مغازي رسول الله ص٣١٣ وتاريخ الكامل جـ٢ ص٨٣ .

(٢) السيرة ق٢ ص٣٣٤ .

(٣) الاغاني جـ ١٩ ص ٩٧ـ٩٨ ط ساسى .

وبعد فماذا نرى في شعر المعارضة عامة :

لقد كان شعر المشركين في مكة والطائف والقرى اليهودية ، عرضة للضياع ، فلم يبق منه الا القليل ـ والقلة صفة عامة فيه ـ وذلك امر طبيعي ، فانه يمثل شعر المعارضة والخصومة للدين الاسلامي ، الذي كان له النصر على جميع خصومه • والمكيون انفسهم ـ ومنهم الشعراء ـ قد دخلوا الاسلام وارتضوه دينا ، وصار الشعر الذي قالوه في هجاء الاسلام والمسلمين ، يتنافي مع الايمان الجديد ، بل عاد ذلك الشعر سبة عليهم وعارا ، فلابد ان يشيحوا عنه ويغضوا منه ، ويتبرأوا من الكلام الباطل والضلال القديم ، ولا مجال في هذا الظرف للتوفيق بين شعر الامس وواقع اليوم ، وعلى هذا نضياع شعر مكة وفساده وقلته ، امر منطقي •

واذا كانت بقية شعر مكة قد حفظت ، فالفضل في ذلك للعصبية القرشية ضد الاوس والخزرج بخاصة • فقد حفظ الرواة وحملوا ما يمكن حمله ، الى اصحاب السيرة وكتبة الايام والغزوات ، وكان الشعر الذي حفظوه مبرأ من الاساءة للدين الاسلامي ، والنيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واصحابه البارزين ، وقد كان ذلك الشعر مقتصرا على الامور العامة في تهاجي الشعراء ، ومناقضات الحروب ، ورثاء الموتى ، والهجاء القبلي على الصورة الجاهلية الشائعة • ولذلك فليس غريبا ان يكون الشعر خاليا من التعرض للدين الجديد ، ونقده ، والانتقاص منه ، وتفنيد نظمه وشعائره ، وكذلك خاليا من ذكر النبي الجديد ـ عدو المشركين ـ وصحابته البارزين • واذا كانت بعض القصائد قد تطرقت الى ذكر الصحابة في بيت او بيتين ، فان الرواة المتأخرين في عصر التدين ، قد اسقطوا ما كان فيه ذكر للرسول او الصحابة ، او ما كان فيه افحاش واقذاع • وكثيرا ما نجد في السيرة تنبيهات من ابن هشام على حذف تلك الابيات •

هذا شيء ، وشيء آخر ، انك لا تجد لقريش في مكة شعرا يرقى الى شعر الفحول ، والى كون هذا الشعر ضئيل القيمة ، فانه قليل •

ولعل مرد ذلك الى ان شعراء مكة لم يكونوا من الذين برزوا وذاع شعرهم في الجاهلية ، فما كان فيهم شاعر من الفحول كما كان للمدينة حسان في الجاهلية ، وانما نبغ شعرهم في ظل الاسلام ، وابان الصراع بين دينهم القديم والدين الاسلامي الجديد . وقد علل النقاد القدامي السبب في قلة شعر مكة وضعفه ، ان المكيين لم يحاربوا ، ولم تكن بينهم نائرة ، هذا على الرغم من وجود عدد غير قليل من الشعراء في مكة ، وشعرهم في اكثره مقطعات وابيات لا يبلغ القصيد الا في قليل ، وذلك القليل يكاد ان يكون مقصوا على عبدالله بن الزبعرى ، وضرار بن الخطاب ، وهما ابرز من في مكة من الشعراء .

وكان المؤمل ان نجد في مكة ـ وقد وقفت مخاصمة معارضة ـ شعرا فيه البرهان والحجة على صلاح دينهم ، والدفاع عنه ، وتمجيد آلهتهم التي يعبدون او يتقربون اليها ، ثم تفنيد الدين الاسلامي ومجادلة المسلمين، الا ان شيئا من ذلك لم يكن ، بل الذي كان ، ان شعر مكة سار على النهج الجاهلي ، ولولا ما في شعر مكة من ذكر للمعارك ، او رثاء للقتلى ، وتسميتهم باسمائهم ، لصلح ان تنسب اشعارهم الى غزوة من غزوات العرب في الجاهلية .

فمحافظة شعر المشركين على خطه الجاهلى ، شكلا ومضمونا ، يعطينا نتيجتين :

الاولى : ان المشركين لم يقروا بصحة الدين الجديد .

الثانية : انهم لم يكونوا متمسكين بدينهم الوثنى .

بل ابرز ما يتضح من شعرهم ، هو التعصب القبلى ، والعداء الشديد لاهل المدينة ، من الاوس والخزرج ولبطون منها سموها باسمائها ، وقد بلغت العصبية ان يبر القرشيون بقومهم من المسلمين ، ويذكرون رحمهم حتى في ساحات الحرب ، وقد وضح ذلك في تجاوز ضرار بن الخطاب عن قتل عمر بن الخطاب وقد تمكن منه في احد . فالطابع العصبي الجاهلى، هو ابرز ما يميز شعر مكة .

وما دام هذا الشعر ـ في اكثره ـ كان يدور حول المعارك ، في بدر ، واحد ، فليس من الغرابة ان تنحصر موضوعـــاته في الحرب وصفتهـا ، والتهيؤ لها ، والفخر بحسن البلاء فيها ، والصبر على شدتها •

وكان لمصرع العدد الكبير من فرسان قريش يوم بدر ، ان كثــر الشعر في بكاء القتلى ، والحسرة عليهم ، والجزع على مصابهم ، وذكــر قديم اعمالهم ، وجميل سجاياهم ، وبطولتهم • فاذا كان النصر لقريش في احد ، كثر عندهم شعر الفخر والزهو بالنصر ، والتشفي بقتلى المسلمين •

واذا نظرنا في شعر الطائف ، فعلى الرغم من ان شعراءه من البارزين، كأمية وابي محجن ، فان شعرهم لم يكن بارزا في الاحداث الاسلامية ، ولم يكن ليشارك مشاركة بارزة واضحة في الخصومة بين المشركين والمسلمين•

هذا اذا استثنينا جهود امية بن ابي الصلت ، في رثاء قتلى قريش من اصحاب القليب ، والتحريض على قتال المسلمين ، واذا كنا قد عددنا شعر ابي محجن الثقفي في جملة شعر المشركين ، فلأنه يتعلق بالخمرة التـي حرمها الاسلام ، وعاقب على تعاطيها • وعلى كل حال فان صوت الطـائف في الاحداث ، كان خافتا معزولا ، يعوزه الحماس •

وما قيل في شعر النساء المسلمات ، يقال هنا في شعر النساء المشركات فقد كان همّ القرشيات ان يحرضن على القتال ويثأرن لقتلاهن في بــدر ، ويبكين القتلى ، ويذكرن ما كان من بطولتهم وكرمهم ورجولتهم ، ثــم يتشفين بقتلى المسلمين • وشعرهن ـ على قلته ـ لا يخرج عن طرق هــذه الاغراض ، الا في القليل النادر ، ولعل سبب ذلك ، انه لم يكن في قريش ولا غيرها شاعرة معروفة بارزة بالشعر قبل ظهور الاسلام ، وانما كــل ما قيل من الشعر في هذه الاحداث ، لم يكن مبعثه الشاعرية ، بل صــدر عن عواطف هزتها المصيبة ، او حركتها نشوة النصر •

واذا كانت هند بنت عتبة ابرز شواعر قريش ، بل ابرز شواعــر

الفترة ، فلم يكن شعرها ـ مع كل ذلـك ـ غـير مقطعات قليلة في بكاء موتاها ، ونقمتها من حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولا يصح ان يوضع شعرها بمصاف شعر الخنساء ، التي قالت في موضوعها وعاصرتها •

اما شعر اليهود ، الذين تابعوا قريشا في عدائهم للدين الاسـلامي ، فهو صورة من شعر مكة ، فعلى الرغـم من ان اليهود اصحاب كتـاب ، وثقافة دينية ، واتصال مباشر بالمسلمين في المدينة ، فلم يظهر في شعرهـم ذكر للدين ، سواء اكان الدين الاسلامي ، أم الدين اليهودي ، فقد كان المؤمل من شعراء اليهـود ، ان يتعرضوا للدين الاسـلامي ، ويحاجوا المسلمين ، كما حاجّ بعض احبارهم رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، بمسائل دينية ، او بما جاء في دينهم في التوارة •

وقد اتخذ اليهود الشعر وسيلة للكيـد للمسلمين ، فكانوا يحرضون قريشا ومن والاهـم على حرب المسلمـين واستئصالهم ، ثم بكاء قتلى المشركين ، وذكر البلاء الذي اصابهم في يوم قريظة والنضير •

وشعرهم بجملته مقطوعات قليلـة ، ولم يبرز فيهم ـ في الاسلام ـ غير كعب بن الاشرف ، واكثر شعر اليهود واجـوده ، كان ازدهـاره في الجاهليـة •

وشعر المشركين بعامة ، هو شعر فترة قصيرة ، فهو شـعر منقطـع محدود ، فلم يكن امتدادا لشعر الجاهلية ، وكذلك لم يستمر بعد هزيمـة المشركين في مكة والطائف ، وكل ما يقال فيه : انه شعر اظهرته الخصومة التي بدأت منذ البعثـة ، وفي معركة بدر بخاصة ، وانتهت مهمته بفتـح مكة ، والاعتذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم •

البـــاب الثالث

شعر البادية المتأثر بالاسلام

الباب الثالث

شعر البادية المتأثر بالاسلام

(١)

لقد رأينا فيما تقدم من فصول ، أن الشعر المتأثر بالاسلام كانت له بيئتان : الاولى بيئة المدينة ، وفيها لمع شعراء المسلمين ، الذين مثلوا التيار الاسلامي الجديد ، وقد لحق بشعراء المدينة شعراء مسلمون من مكة ، من المهاجرين • وكانت بيئة الشعر الثانية ، هي مكة ، التي مثل شعراؤها التيار المحافظ المعادي للاسلام والمسلمين ، وقد لحق بهؤلاء شعراء من الطائف والقرى اليهودية ، الذين ألفت بينهم الخصومة القائمة بينهم جميعا ، وبين الدين الجديد •

وقد كان ازدهار الشعر في هاتين البيئتين ، مرتبطا ارتباطا كبيرا بالحروب الدائرة بين المدينتين • فاذا ما كتب لمدينة الرسول النصر على مكة وما والاها ، بدأ صوت الشعر بالضعف والانزواء ، فخفت أو كاد •

ولم يكن الشعر الممثل للاسلام أو المتأثر به ، مقتصرا على هاتين المدينتين ، فقد وجد في شعر البادية نماذج وأصداء اسلامية ، ظهرت واضحة عند مجموعة من الشعراء ، الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح وابانه ، كما ظهرت لمحات اسلامية عند آخرين في

عهد الراشدين أثناء الفتوح ، والدقة العلمية تقضي ، بأن نتلمس آثار الاسلام في شعر الشعراء الذين سكنوا البادية ، أو وفدوا على حاضرة المسلمين ، وشعر البادية في الاسلام امتداد للشعر الجاهلي ، أو هو بقية الجاهلية في الاسلام • والظروف العامة التي أحاطت بهذا الشعر من جهة ، وانشغال المسلمين في حرب قريش واليهود من جهة أخرى ، جعلت الشعر – في البادية – في فترة متأخرة ، فأكثر الشعراء المتأثرين بالاسلام ظهروا في الحياة الاسلامية أثناء الفتح وبعده ، خلا بجيرا الذي كان اسلامه في حدود السنة السابعة للهجرة[1] •

ومن شعراء البادية من أسلم وحسن اسلامه ، ومنهم من أسلم ولم يحسن اسلامه ، فكانوا من المرتدين عاودهم الشرك القديم ، فأما أثر الاسلام فقد ظهر واضحا عند بعض ، وتكلم عنهم تفصيلا ، وقد ظهرت لمحات وومضات عند بعضهم الآخر ، ونعرّف بهم ايجازا ، فأما بقية شعراء البادية الذين لم تظهر في شعرهم معان اسلامية ، فلن نتعرض لهم ، ما دمنا ملتزمين بأثر الاسلام في شعر هذه الفترة •

(٢)

ومن شعراء البادية الذين ظهروا في الحياة الاسلامية ، وساهموا في الحروب الاسلامية ، وقالوا الشعر في ذلك :

العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي ، المكنى بأبي الفضل ، أو أبي الهيثم ، فارس شاعر شديد العارضة والبيان ، سيد في قومه[2] ، وهو

---

(١) الاغاني جـ١٥ ص١٤٢ و ١٤٩ ط ساس ، والسيرة ق٢ ص ٥٠١ •

(٢) الاغاني جـ١٤ ص٣٠٢ ط الدار ومعجم الشعراء ص١٠٢ وسمط اللآلى جـ١ ص٣٢-٣٣ •

ابن الخنساء الشاعرة[1] ، ومن الذين حرموا الخمر على أنفسهم في الجاهلية ، وكان ينزل البادية بناحية البصرة ، وروى عنه البصريون[2] .

كان العباس قبل اسلامه قد مدح رجالا من بني النضير ، حين غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وله مناقضات مع خوات بن جبير ، وعبدالله بن رواحة ، وكعب بن مالك لموقفه ذاك من بني النضير[3] .

أما اسلامه فكان قبيل الفتح بأيام ، فلم يكن من ذوي السابقة في الاسلام . وفي قصة اسلامه طرافة لا تخلو من افتعال ، نرويها هنا لا تثبيتا لصحتها ، بل لما فيها من دلالة على شخصية العباس ، وعصبيته ، واعرابيته .

روى الاغاني ، ان العباس بن مرداس قال :[4] « كان لابي صنم اسمه ضمار ، فلما حضره الموت أوصاني به ، وبعبادته ، والقيام عليه ، فعمدت الى ذلك الصنم فجعلته في بيت ، وجعلت آتيه في كل يوم وليلة مرة ، فلما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت صوتا في جوف الليل راعني ، فوثبت الى ضمار ، فاذا الصوت في جوفه يقول :

قل للقبائل من سُلَيْمٍ كلّها
هلكَ الأنيسُ وعاش أهلُ المسجدِ

ان الذي وَرِثَ النبوّةَ والهدى
بعد ابن مريم من قريشٍ مهتدي

أودى الضِمار وكان يُعبَدُ مرةً
قبل الكتاب الى النبي محمدِ

قال : فكتمت الناس ذلك ، فلم أحدث به أحدا ، حتى انقضت غزوة

---

(1) خزانة الادب جـ١ ص٧٣ .
(2) الطبقات الكبير ـ ابن سعد ق١ جـ٧ ص٢١ والاستيعاب جـ٢ ص٥٠١ .
(3) السيرة ق٢ ص٢٠٠ـ٢٠٣ .
(4) الاغاني جـ١٤ ص٣٠٢ـ٣٠٣ والسيرة ق٢ ص٤٢٧ .

الاحزاب » فخرج يوما الى أبله فأخذته سِنَة من النوم ، فيترأى له رجل وقور يخبره بالبشير ، فوثب مذعورا وأيقن ان محمدا رسول الله ، وقد أوصى راعي أبله قال : « من سألك عني ، فحدثه اني لحقت بيثرب ، ولا أحسبني ان شاء الله تعالى ، الاآتيا محمدا وكائناً معــه ، فاني أرجو أن نكون برحمة من الله ونور ، فان كان خيرا لم أسبق اليه ، وان كان شـرا نصرته لخئولته »[1] . ولا تخفى هنا نزعة العباس الاعرابية القبلية التي ظلت تلازمه في كثير من الاحداث وظهرت واضحة في شعره وكأني بواضع هذه القصة على قدر كبير من الذكاء والمعرفة بخلق العباس ، بحيث حاك هذه القصة وفق ما يلائم نزعته وأخلاقه . ومن تمام القصة أن نذكر ، ان زوج العباس حين علمت بمسيره الى يثرب ، قامت الى بيتها فقوضته ، ولحقت بأهلها ، وقالت في تقريعه وتأنيبه على ما فعل[2] :

لَعمري لئن تابعتَ دين محمــد
وفارقتَ اخوان الصفــا والصنائعِ

لبدَّلتَ تلــك النفس ذُلاً بعــزة
غداةَ اختلاف المرهَفات الدســائعِ

سيوفُهم عِزُ الذليــل وخيلُهم
سِهام الاعادي في الامور الفضائــع

وبعد أن أسلم ، قال يذكر ما كان عليه من شرك وضلال ، ويبدو

---

(١) الاغاني جـ١٤ ص٣٠٤ ط الدار .

(٢) الاغاني جـ١٤ ص٣٠٦ ط الدار وهذا الشعر يشبه شـــعر كعب بن زهير الذي كان يخاطب به أخاه بجيرا حين أسلم :

ففارقت أســباب الهدى وتبعتـــه
على ان شيء ويب غيرك دلكا .. الخ

ينظر في ذلك الاغاني جـ١٥ ص١٤٢ والسيرة ق٢ ص٥٠١ . الدسائع: القوية ، وأصلها الجزيلة .

أن قوله هذا ، قاله بعد فترة من اسلامه ، حيث أتيح له أن يتفهم تعاليم الاسلام ، ويطلع على آيات من كتاب الله ، فذلك كله ظاهر في هذا الشعر[1] :

لعمري اني يوم أجعل جاهدا
ضماراً لرب العالمين مشاركا
وتركي رسول الله والاوس حوله
أولئك أنصار له ما اولئكا
كتارك سهل الارض والحَزَنَ يبتغي
ليسلك في غيب الامور المسالكا
فآمنت بالله الذي أنا عبدُه
وخالفتُ من أمسى يُريد المحالكا
ووجهت وجهي نحو مكةَ قاصداً
وتابعتُ بين الاخشبينِ المباركا
نبيٌ أتانا بعد عيسى بناطق
من الحق فيه الفصل منه كذلكا
أميناً على الفرقان أولَ شافع
وآخرَ مبعوث يُجيب الملائكا
تلافى عُرا الاسلام بعد انفصامها
فأحكمها حتى أقام المناسكا
رأيتُكَ ياخيرَ البرية كلها
توسطت في القُربى من المجد مالكا
سبقتَهم بالمجد والجود والعُلا
وبالغاية القُصوى تفوت السنابكا

---

(١) الاغاني ج١٤ ص٣٠٤ـ٣٠٥ ط الدار . الاخشبان : جبلان محيطان بمكة ، هما أبو قبيس والاحمر . مالك : في البيت التاسع ، لعله يريد مالك بن النضر الجد الحادي عشر للرسول .

فأنت المصفى من قريشٍ اذا سمت
غلاصِمها تبغي القرومَ الفوارِكا

وحين لقي العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في المدينة ، كان الرسول عازما المسير الى مكة عام الفتح ، فواعد الرسولُ العباسَ أن يلقاه وقومه عند « قُدَيْد »[1] • فوافاه العباس في ألف من بني سليم[2] ، وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم ، وقال من قصيدة يذكر فيها هذا اللقاء ، ويفخر ببلائه وبلاء قومه في نصرة المسلمين[3] :

سرينا وواعدنا قُدَيْداً محمدا
يؤُمُ بنا أمراً من الله محكما

تمارَوا بنا في الفجر حتى تبينوا
مع الفجر فتيانا وغابا مُقوَّما

على الخيل مشدوداً علينا دروعُنا
ورَجْلا كدُفّاع الأتِيِ عرَمرَما

فان سراة الحي ان كنتَ سائلا
سُلَيْمٌ وفيهم منهم من تسلّما

وجند من الانصار لا يخذلونه
أطاعوا فما يعصونه ما تكلما

---

(١) موضع قرب مكة •

(٢) الاغاني ج١٤ ص٣٠٥ـ٣٠٦ ط الدار • وقيل تسع مائة من قومه على الخيول كما في طبقات ابن سعد ق١ ج٧ ص٢١ •

(٣) السيرة ق٢ ص٤٦٩ـ٤٧٠ ، ورويت في الاغاني بخلاف وتغيير ج١٤ ص٣٠٦ ط الدار • تماروا بنا : شكوا فينا • الغاب : هنا أراد الدفاع : ما يدفعه أمامه • العرمرم : الكثير لشديد • تسلم : هنا من انتسب الى سليم قبيلة الشاعر •

وللعباس شعر في فتح مكة ، يذكر فيه قومه ، ويمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] :

منـــا بمكـــة يوم فتح محمـــد
ألفٌ تسيل به البطـــاح مســـوَّمُ

نصروا الرسولَ وشاهدوا أيامَـــه
وشـــعارهم يوم اللقـــاء مقـــدم

في منزل ثبتتْ بـــه أقدامُهـــم
ضَنْكٍ كأن الهام فيـــه الحنتـــم

جرَّت سنابكها بنجـــدٍ قبلَـــها
حتى استقاد لهـــا الحجازُ الادهم

اللـــه مكّنـــه لـــه وأذلّـــه
حكمُ السيوف لنـــا وجَدٌ مِزحَمُ

عَوْدُ الرياســـة شامِخ عرنينُـــه
متطلع ثُغَـــرَ المـــكارم خِضَّـــرِم

وللعباس شعر كثير في حنين ، ويكاد ينحصر معناه في الفخر ببلاء قومه الذين نصروا الرسول في مكة ، وأبلوا البلاء العظيم في حنين ، وفي قهر هوازن واذلالها • وان كان المغنى الديني في شعره ، يتضح حـــين

---

(١) السيرة ق٢ ص٤٢٦ • البطاح : الاراضى السهلة المتسعة • مسوم : أي مرسل أو هو المعلم بعلامة • شعارهم : علامتهم في الحرب • ضنك : ضيق • الهام : الرؤوس • الحنتم : الحنظل • مزحم : كثير المزاحمة • العود : الرجل المسن • شامخ عرنينه : مرتفع طرف الانف • الخضرم : الجواد الكثير العطاء وقد مر شرحه •

يتطرق لذكر الرسول ، ومديحه بصفات النبوة والهدى ، فقد قال يخاطب الرسول[١] :

يا خاتم النُبآءِ انك مرسل
بالحق كل هدى السبيل هُداكا
ان الاله بنى عليك محبةً
في خَلقه ومحمداً سمّاكا
ثم الذين وَفّوا بما عاهدتَهم
جندٌ بعثتَ عليهم الضحّاكا

الى أن يقول في مدح قومه :

وبنو سُلَيم معنقون أمامه
ضرباً وطعنا في العدو دِراكا
يمشون تحت لوائه وكأنهم
أُسْدُ العرين أردنَ ثم عِراكا
هذي مشاهِدنا التي كانت لنا
معروفة ووليُّنا مولاكا

وأكثر شعر العباس في الاسلام متشابه ، فهو شعر حرب ، فيه فخر وبطولة واعتزاز بقومه الانف الذين نصروا النبي ، وهم فرسان معلمون ، وان النبي قدمهم وكان لهم حسن البلاء ، ولم يخرج شعر العباس الى مدح قوم غير قومه ، اللهم الا ما جاء عرضا ، كما في ذكره الانصار في بيت واحد من قصيدة[٢] :

وجُندٌ من الانصار لا يخذلونه
أطاعوا فما يعصونه ما تكلّما

---

(١) السيرة ق٢ ص٤٦١ . الضحاك : هو الضحاك بن قيس قائد بني سليم يوم الفتح . معنقون : مسرعون . دراكا : سيرا متتابعا .
(٢) السيرة ق٢ ص٤٦٩ .

فالروح القبلية ، والاعتزاز بالقوم ، والفخر بهم ، ذلك أهم ما يميز شعر العباس في الاسلام .

أما الشاعر الثاني من شعراء البادية ، الذين ظهر للاسلام أثر في شعرهم ، فهو : كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني ، صاحب البردة ، من شيوخ الشعر المتقدمين في عصره ، وهو أخو بجير بن زهير الذي سيرد ذكره [1] .

لقد وقف كعب من الاسلام أول أمره ، موقف الخصومة والعداء ، وبخاصة بعد أن أسلم أخوه بجير بن زهير ، فقد جاء في خبر اسلامه ، أن كعبا وأخاه خرجا في غنمهما يوما ، فبلغا ماء لبني أسد يعرف بـ « ابرق العزاف » وقد جرى حديث الدين الجديد بينهما ـ بعد أن ذاع أمر الاسلام وانتشر ـ فقال كعب لاخيه بجير : « الحق الرجل وأنا مقيم هاهنا ، فانظر ما يقول لك »[2] فسار بجير الى النبي ، وسمع منه ، فأعجبه الدين الجديد ، فأسلم ، وذلك قبيل السنة السابعة للهجرة ، فلما علم كعب باسلام أخيه غضب وثار ، وصار يقول الشعر في هجاء المسلمين ، والنيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسل أبياتا الى أخيه بجير يعاتبه فيها ويؤنبه ، قال[3] :

ألا أبلغا عني بُجيرا رسالة

فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

---

(١) الاغاني جـ١٥ ص١٤٠ وما بعدها ويذكر هنا ما كان من ملازمة الحطيئة لكعب ودفعه ليقول شعرا يفضل فيه نفسه ويثني بالحطيئة فقال : « فمن للقوافي شانها من يحوكها .. » .

(٢) الاغاني جـ١٥ ص١٤٩ ، والاصابة جـ٥ ص٣٠٣ .

(٣) الاغاني جـ١٥ ص١٤٢ ط ساسي وجاءت بتغيير وخلاف في اللفظ في السيرة ق٢ ص٥٠١ وكذلك في ديوان كعب بن زهير ص١ ط قراقو وابن الاثير ـ الكامل جـ٢ ص١٠٤ روية : مروية . ويب غيرك : هلكت حدث غيرك . لعالكا : كلمة تقال للعاثر دعاء له بالاقامة من عثرته .

سقاك أبو بكر بكأس روية
فأنهلك المأمون منها وعلكا

ففارقت أسباب الهدى وتبعته
على أي شيء ويب غيرك دلكا

على مذهب لم تلف أماً ولا أباً
عليه ولم تعرف عليه أخاً لكا

فان أنت لم تفعل فلست بآسف
ولا قائل اما عثرت لعاً لكا

ومن الميسور معرفة أثر هذا الشعر ، والشعر الذي قاله في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمسلمين ـ والذي ضاع ، كأكثر الشعر الذي هجي به المسلمون ـ من الايلام ، بحيث ان النبي صلى الله عليه وسلم ، أهدر دمه ، فقال : « من لقي منكم كعبا فليقتله »[1] وكان بجير قد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأمر رسالة كعب ، ثم أرسل الى كعب يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أهدر دمه ، ورغبه في المجيء ليعتذر من رسول الله ويسلم • وقد كتب اليه قوله[2] :

من مبلغ كعباً فهل لك في التي
تلوم عليها باطلا وهي أحزم

الى الله (لا العزى ولا اللات) وحده
فتنجو اذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت
من النار الا طاهر القلب مسلم

---

(١) الاغاني جـ١٥ ص١٤٩ ط ساس وشرح بانت سعاد ـ التبريزي ص٢٥٠ ط كرنكو •

(٢) ديوان كعب بن زهير ص٢ والسيرة ق٢ ص٥٠٢ •

فدين زهير وهـــو لا شيء غـــيره

ودين أبـي سُلمى عليَّ محـــــرم

وقد ظل كعب سادرا في غيه وضلاله ، حتى اذا تدبر أمره ، وتفكر في مصيره ، ورأى أن الفوز قد تحقق للمسلمين ، وأيقن أن النبي لا يهدد عبثا ، عندئذ حاول النجاء • فالتجأ الى مزينة لتجيره ، فأبت عليـه ذلك ، فضاقت به الارض ، وأشفق على نفسه وذكر كتاب آخيه بجير اليه حيث قال : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أهدر دمك ، وانه قتـل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وان من بقي من شعراء قريش ، كابن الزبعري وهبيرة بن أبي وهب ، قـــد هربوا في كل وجه ، ومـــا أحسبك ناجيا ، فان كان لك في نفسك حاجة ، فصر اليه فانه يقبل من آتاه تائبا ، ولا يطالبه بما تقدم الاسلام ، وان أنت لم تفعل ، فانج الى نجائك من الارض »(١) • وعندها أعد كعب قصيدته المشهورة في مدح النبي ، ثم خرج حتى قدم المدينة ، وذلك في سنة تسع للهجرة ، فنزل على رجل من جهينه ـ كانت بينه وبينه معرفة ـ فغدا به الى رسول الله صلى اللـه عليه وسلم حين صلى الصبح ، فصلى مع الرسول ، ثم أشار له الى الرسول ، فقال : « هذا رسول الله فقم اليه »(٢) • قال كعب في رواية ساقها ابـن حجر : « فعرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفة ، فتخطيت حتى جلست اليه ، فأسلمت »(٣) • وقال كعب في رواية السيرة : « يا رسول الله : ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك ، تائبا مسلما ، فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير » • ويكاد الرواة يجمعون على ان الانصار

---

(١) الاغاني جـ٥ ص١٤٢ وشرح قصيدة بانت سعاد ـ عبدالله بن هشام ص٤ ط كويدي وامتاع الاسماع جـ١ ص٤٩٤ •

(٢) السيرة ق٢ ص٥٠٢ـ٥٠٣ • وفي الجمهرة للقرشى ص١٥ ان الذي أرشده للوصول الى الرسول هو علي بن أبي طالب •

(٣) الاصابة ـ ابن حجر جـ٥ ص٣٠٢ •

تجهموا عند معرفة كعب ، وتوائبوا يريدون قتله قائلين : « يا رسول الله ، ائذن لنا فيه » . وقال أحدهم : « يا رسول الله ، دعني وعدو الله أضرب عنقه » . فقال الرسول : « دعه ، فانه قد جاء تائبا نازعا عما كان عليه »[1] . قالوا نغضب كعب على هذا الحي من الانصار ، لما صنع به صاحبهم ، وذلك انه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين الا بخير ، فقد لانت لـه قريش ، وأحبوا اسلامه وايمانه [2] .

وكان كعب قد أنشد الرسول في المسجد قصيدته (بانت سعاد) مدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين ، فقال[3] :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم اثرها لم يجز مكبول

وقد أُعجِبَ رسول الله صلى الله عليه سلم بهذه القصيدة ، وبخاصة عندما وصل الى قوله :

ان الرسول لسيف يستضاء به
مهنّد من سيوف الله مسلول

في عصبة من قريش قال قائلهم
ببطن مكة لما أسلموا زُولوا [4]

زالوا فما زال أنكاس ولا كُشُفٌ
عند اللقاء ولا ميلٌ معازيلُ

---

(١) السيرة ق٢ ص٣٠٥ والاغاني جـ١٥ ص١٥٠ ط ساسى والشعر والشعراء ص٦١ .

(٢) طبقات الشعراء ـ ابن سلام ص٨٣ـ٨٤ .

(٣) ديوان كعب بن زهير ص٣ و ١٤ والاغاني جـ٥ ص١٤٣ ومعجم الشعراء ص٣٢٠ والسيرة ق٢ ص٥٠٣ ، ٥٠٤ ـ ٥١٣ . المتبول : من أسقمه الحب . متيم : ذليل مستعبد .

(٤) يقال أن كعبا كان يشير الى عمر بن الخطاب في هذا البيت انظر الاغاني جـ١٥ ص١٤٤ ط ساسى .

حيث أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخلق ، أن يسمعوا شعر كعب[1] . وقد سُر رسول الله أن يكون الى جانبه شاعر مجيد ، يعد من الشعراء في الطليعة ، وقد كان من اكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقديره لكعب ، أن وهبه بردته الخاصة ، وهذا يعني - فيما يرى بعضهم[2] - اسباغ حماية لا حد لها على الشاعر ، ضد من يعاديه .

واذا كان كعب قد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمهاجرين ، لم ينس أن يلمح لصنيع الانصار في قوله[3] :

يمشون مشي الجِمال الزُهر يعصمهم
ضربٌ اذا عَرَّدَ السودُ التنابيلُ

وقد قال الرسول يحثه ويرغبه في مدح الانصار : « ألا ذكرت الانصار بخير ، فان الانصار لذلك أهل »[4] . وقال المهاجرون : « ما مدحنا من هجا الانصار »[5] . وقد اعتذرت اليه الانصار « فتعطفت عليه وأهدت اليه »[6] فنظم كعب في الانصار قصيدته[7] :

---

(١) الاغاني جـ١٥ ص١٤٣ ونقد النثر لقدامه بن جعفر ص٦٧-٦٨ ط الدار والكامل - ابن الاثير جـ٢ ص١٠٤-١٠٥ .

(٢) فردريك كرنكو حيث يقول : « ان هذا تقليد وجد منذ العهد الجاهلي لحماية الشاعر ضد من يعاديه » مقدمة ديوان كعب بالانكليزية ص ٧ .

(٣) ديوان كعب بن زهير ص١٥ ط قراقوش . عرد : انحرف ، ترك الطريق . التنابيل : الكسالى القصار .

(٤) السيرة ق٢ ص٥١٥ .

(٥) الاغاني جـ١٥ ص١٥٠ ط ساسي

(٦) ديوان كعب ص١٦ .

(٧) ديوان كعب ص١٦ - ٢٥ وأنظر السيرة ق٢ ص٥١٤-٥١٥ . المقنب : الجماعة من الفرسان .

من سَرّه كرمُ الحياةِ فلا يزل
في مِقْنَبٍ من صالحي الانصار

ترِثُ الجبالُ وزانةً أحلامهم
وأكفُّهم خَلَفٌ من الامطار

المكرهينَ السمهريَّ بأذرعٍ
كصواقلِ الهنديِّ غيرِ قِصارِ

والناظرين بأعيُنٍ محمرةٍ
كالجمرِ غيرَ كليلةِ الابصارِ

والذائدينَ الناسَ عن اديانهم
بالمشرفي وبالقَنَا الخطارِ

والباذلينَ نفوسَهم لنبيِّهم
يوم الهِياج وقُبّةِ الجبارِ

والقصيدة مديح على النهج الجاهلي ، وكان خير بيت اسلامي فيها قوله :

يتطهرون كأنه نُسكٌ لهم
بدماءِ من علَقوا من الكُفار

ان هاتين القصيدتين ، اشهر شعر كعب الاسلامي ـ وان كانتا في اكثرهما على النمط الجاهلي ـ الا انه قد سقطت في ديوانه ابيات يتضح فيها اثر الدين ، وحسن اسلامه ، ففي قصيدته التي اولها : (١)

الا بكرتْ عرسي تلومُ وتعذُلُ
وغيرُ الذي قالت أعفُّ واجملُ

(١) ديوان كعب بن زهير ص٢٥ .

يقول : (١)

فاقسمتُ بالرحمـــن لا شيءَ غيُره
يمينَ امـــرىءٍ برٍ ولا اتحلـــلُ

لأستشعِرنْ أعلى دريسي مُســلما
لوجه الـــذي يُحيي الأنامَ ويقتل

هو الحافظُ الوسنانَ بالليـــل ميتـا
على أنه حيٌ من النـــوم مُثقـــلُ

من الاسودِ الساري وان كان ثائِرا
على حَدِّ نابيـه السمامُ المُثمـــلُ

وقد وردت قصيدة في الديوان فيهـــا معـــان والفاظ اسلامية ، قال الراوي : قالها حين اسلم وحسن اسلامه ، وصلح شأنه ، وركب الى قومه يدعوهم الى الدخول فيما دخل فيه ، وكان في قومه بعض الخلاف ، فأسلم ناس كثيرون (٢) .

رحلتُ الى قومي لادعو جُلهـــم
الى امرِ حزمٍ احكمتـــه الجوامعُ

ليونوا بما كانوا عليـــه تعاقـــدوا
بِخيفِ مِنى والمـه راءٍ وســـامعُ

...

سأدعوهُم جُهدي الى البرِّ والتقى
وامرِ العُلى ما شايعتني الاصابـــعُ

فكونوا جميعا ما استطعتم فانَّـــهُ
سَيلبسكم ثوبٌ من الله واســـعُ

---

(١) نفس المصدر ص٣٤ و ٣٥ . استشعر : البس الشعار ، ما يلبس على الجلد . الدريس : الثوب الخلق . المثمل : المجمع .
(٢) الديوان ص٦١ـ٦٢ .

وغير خاف ان البر والتقى ، والباس قومه الثوب الواسع من عند الله ، كل ذلك الفاظ وتعابير اسلامية ، تبعد زعم الاصمعي في نسبة القصيدة الى اوس بن حجر [1] .

وشبيه بشعر كعب بن زهير ، الذي نال اكرام الرسول وتشجيعه ، وكان له اثره في الاسلام ، شعر النابغة الجعدي ، الذي حاز رضا رسول الله واعجابه بحيث دعا له وشجعه ، والنابغة هو قيس بن عبدالله نابغة بني جعدة ، احد المعمرين وقد قال في عمره [2] :

لبستُ أناساً فافنيتُهم
وافنيتُ بعد أناسٍ أناسا
ثلاثةَ أهلينَ أفنيتُهم
وكانَ الالهُ هو المستَاَسَا

وقال في عمره ايضا ، يذكر الاسلام [3] :

قالت أمامةُ كم عمرت زمانةً
وذبحتَ من عتْرٍ على الاوثانِ
وقد شَهدتُ عكاظَ قبل محلِّها
فيها وكنتُ اعدُ مِلفتيانِ
والمنذرَ بنَ محرقٍ في مُلكهِ
وشهدتُ يوم هجائنِ النعمانِ

---

(١) الديوان ـ كعب بن زهير ص٦١ .

(٢) الاغاني جـ٥ ص١ و ٦ ط الدار وكتاب المعمرين ـ السجستاني ص٧٠ـ٧١ وقيل : سأله عمر بن الخطاب « كم لبثت مع كل أهل ؟ » قال : « ستين سنة » خزانة الادب جـ١ ص٥١٢ وينظر معجم الشعراء ص١٩٥ وجمهرة أنساب العرب ص٢٧٢ .

(٣) كتاب المعمرين ـ السجستاني ص٧٣ ط ليدن . المستاس : المتصبر به . ملفتيان : من الفتيان . سيب : عطاء . ملاسلام : من الاسلام .

وعمرتُ حتى جاء احمدُ بالهُدى
وقـــوارعٍ تتلى مـــع الفرقـــانِ

ولبستُ ملاســـلامِ ثوبـــا واســـعا
مـــن سيبٍ لا حرَمٍ ولا منّـــانِ

وكان النابغة ممن فكر في الجاهلية ، وانكر الخمر والسكر ، وما يفعل بالعقل ، وهجر الازلام والاوثان ، وقال في الجاهلية (١)

الحمـــدُ للـــهِ لا شـــريك لـــه
مـــن لم يقلها فنفســـه ظلمـــا

وقد وفد النابغة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واسلم وانشده قصيدته التي تحفل بالمعاني الدينية ، التي اعجبت رسول الله (٢) :

أتيتُ رسولَ الـلـــه اذ جاء بالهُدى
ويتلو كتابا كالمجـــرةِ نـــيّرا

وجاهدتُ حتى ما أحسُّ ومن معـــي
سُـــهيلا اذا ما لاح ثُمتَ غـــوّرا

أقيمُ عـــلى التقوى وارضى بفعلهـــا
وكنتُ من النار المخُوفَـــةِ أوجَرا

ويمضي في القصيدة ، والرسول يستمع ، فاذا وصل الى قوله :

بلغنا السماءَ مجـــدنا وجـــدودنـــا
وانا لنبتغي فـــوق ذلـــك مظهـــرا

---

(١) هذا البيت أول قصيدة في كتاب الشعر والشعراء ص٩٨-٩٩ فيها ضروب من التوحيد والاقرار بالبعث والجزاء وفي نسبة القصيدة اليه شك ، ينظر الاغاني ج٥ ص١٠ وأكثر الرواة على انها للنابغة كما في خزانة الادب ج١ ص٥١٣ .

(٢) الاغاني ج٥ ص٨-٩ وخزانة الادب ج١ ص٥١٢-٥١٣ .

قال النبي : (فاين المظهر يا ابا ليلى ؟) قال : (الجنة) فقال النبي : (قل ان شاء الله) قال (ان شاء الله) • ثم قال :

ولا خيرَ في حلمٍ اذا لم تكن لـه
بوادرُ تحمي صفوَه ان يُكـدَّرا

ولا خيرَ في جهلٍ اذا لم يكن لـه
حليـمٌ اذا ما اوردَ الامرَ اصدرا

ثم اثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بقوله : (أجَدتَ لا يُفضِضُ اللهُ فاكَ) [1]

لقد شهد النابغة عهد رسول الله ، وعهد الخلافة الراشدة ، وجانبا من عهد الامويين ، وكان له في كل تلك العهود اثر ، دخل على عثمان بن عفان يوما ، وقد اشتاق الى قومه والى ابله والى البادية ، فقال : (استودعك الله يا امير المؤمنين) قال : (واين تريد يا ابا ليلى ؟) قال : (الحق بابلي فاشرب من البانها ، فاني منكر لنفسى) فقال عثمان : (أتعرُّبا بعد الهجرة يا ابا ليلى ؟ أما علمت أن ذلك مكروه ؟) قال : (ما علمته وما كنت لاخرج حتى اعلمك) [2] •

وهذا الحوار بين النابغة وبين عثمان بن عفان ، يظهر نزعة النابغة البدوية الاعرابية ، واعرابية النابغة ـ رغم حسن اسلامه وصدق ايمانه ـ دعته الى الخروج على ابي موسى الاشعرى ـ عامل عثمان على البصرة ـ تعصبا لقومه • فكان ان ضربه ابو موسى اسواطاً ، فقال النابغة يهجوه

---

(١) زعم البغدادي ـ الخزانة جـ١ ص٥١٣ : ان هذه القصيدة طويلة تقع في نحو مائتي بيت أنشدها كلها بين يدي رسول الله ومطلعها :
خليـلي غضـا سـاعة وتهجـرا
ولوما على ما أحـدث الدهر او ذرا
وورد القسم الاسلامي منها في معجم الشعراء ـ المرزباني ص١٩٥ •
(٢) الاغاني جـ٥ ص١٠ ط الدار وطبقات الشعراء ص١٠٦ـ١٠٧

ويستغيث بقبر رسول الله ، ويذكر معاني اسلامية [١] :

رأيتُ البكـر بكر بني ثمـود
وانت أراكِ بكرَ الاشعرينا

فانْ يكن ابنُ عفانٍ أمينا
فلم يبعثْ بك البرَّ الامينا

فيا قبرَ النبيِّ وصاحبيه
ألا يا غوثنَا لو تسمعونا

ألا صلى الهكُم عليكم
ولا صلى على الامراءِ فينا

ولما قامت الفتنة بين علي ومعاوية ، وكانت الحرب في صفين ، انحاز النابغة الى علي ، فمدحه وهجا خصومه ، فساق به يوما فقال [٢] :

قد علمَ المصرانِ والعراقُ
أنَّ علياً فحلُها العتاقُ

ابيضُ جحجاحٍ له بُراق
وأمه غالى بها الصِداق

أكرم من شُد به نطاقُ
انَّ الألى جاروكَ لا افاقوا

لهم سِياقٌ ولكم سياقُ
قد علمت ذلكُم الرفاقُ

---

(١) الاغاني جـ٥ ص٣٠ ط الدار .

(٢) الاغاني جـ٥ ص٣٠ـ٣١ . براق : دابة الرسول في الاسراء . ويروى رواق : صفاء وفضل . ليس لها عراق : مضلة لا نهاية لها ولا غاية .

سُقتم الى نَهجِ الهُدى وساقوا

الى التي ليس لها عِراقُ

في ملةٍ عادتُها النفاق

ولما ولى معاوية بن ابي سفيان امر المسلمين ، لم ينس للنابغة خصومته ، فأمر مروان ان يأخذ اهل النابغة وماله ، ففعل ، ثم ردها معاوية عليه ، بعد ان هدد النابغة واوعد بني امية باشعار قالهن : (١)

وقد عرف الناس وولاة الامور مكانة النابغة ، وحسن اسلامه ، ودعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له (لا يفضض الله فاك) ، فاكرموه وقدموه ، فقد قدم النابغة ــ في سنة جدباء ــ على عبدالله بن الزبير ، فدخل المسجد الحرام فانشده : (٢)

حكيتَ لنا الصديق لما وليتَنا

وعثمانَ والفاروقَ فارتاح مُعدمُ

أتاك ابو ليلى يجوبُ به الدُجى

دُجى الليل جوابُ الفلاةِ عثمثمُ

لتجبرَ منه جانبا زعزعتْ به

صروفُ اللَيالى والزمانُ المُصممُ

فقال له ابن الزبير : (هوِّن عليك يا ابا ليلى ، فان الشعر اهون وسائلك عندنا ... ولكن لك في مال الله حقان ، حق برؤيتك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحق بشركتك اهل الاسلام في فيئهم) . ثم اعطاه واكرمه .

---

(١) المصدر السابق ص٣١ــ٣٢ وأول الابيات قوله :

من راكب يأتي ابن هند بحاجتي

على النأي والانباء تنمى وتجلب

(٢) الاغاني جـ٥ ص٢٨ــ٢٩ ط الدار . العثمثم : الجمل الطويل الشديد .

كانت وفاة النابغة بأصفهان ، وهو ابن عشرين ومائة سنة ، على ما يذكر ابن قتيبة .[1] ونلاحظ انه كان يزعم انه عاش ثلاثة اهلين ، كل اهل بستين سنة[2] ، ولكن قول ابن قتيبة اقرب لطبيعة الحياة[3] .

واذا فرغنا من التعرف على شعر النابغة الجعدي ، الذي ظهر فيه للاسلام اثر ، فننتقل الى التعرف على شاعر بدوي آخر ، ومعمر من المعمرين ، هو لبيد بن ربيعة العامري .

ولبيد بن ربيعة العامري من الشعراء الفحول اصحاب المعلقات ، ومن المعمرين ، قضى دهرا طويلا في الجاهلية ، وزمنا في الاسلام ، وقد عرف عنه الجود والسماحة والشجاعة والاقدام ، اما سنة اسلام لبيد ، فالمشهور انه اسلم في حدود السنة التاسعة ، حيث قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد قومه بني جعفر بن كلاب ، فاسلم وحسن اسلامه[4] ، ثم عاد وقد امتلأت نفسه بهدى الاسلام ، فزهد وتنسك ، ثم هاجر الى الكوفة ايام عمر بن الخطاب ، فاقام فيها منقطعا الى البر والخير والتقى ، وقد جمع القرآن الكريم ، وانصرف اليه فعد من القراء[5] .

---

(١) الشعر والشعراء ص ٩٦ .

(٢) ينظر هامش٢ ص٢٢٧ والاهل هنا الجيل والجيل يقدر بما بين الثلاثين والاربعين سنة .

(٣) يزعم النابغة انه نادم المنذر بن ماء السماء ابا النعمان صاحب النابغة الذبياني وذلك اذ يقول (الشعر والشعراء ص٩٦) :

تداماى عنـــد المنـذر بن محـــرق

ارى اليوم منهم ظاهر الحـزن مقفرا

ويقول ابن قتيبة انه ادرك الاخطل وتنازعا الشعر . والاخطل توفي في حدود سنة ٩٢ هـ ٧١٠م ، فيكون بين حكم المنذر (حوالى ٥٨٢م) ووفاة الاخطل العمر الذي ذكره ابن قتيبة .

(٤) الاغاني جـ ١٤ ص٩٠ ط ساسي والاستيعاب جـ ١ ص ٣٣٥ والخزانة جـ١ ص٣٣٧ . وانظر تفصيل حياة لبيد في كتاب (لبيد بن ربيعة العامري) للمؤلف .

(٥) الاغاني جـ ١٤ ص ٩٠ والجمهرة ص ٣١ .

اما ما يخص شعر لبيد في الاسلام ، فالشائع ان لبيدا هجر الشعر ، وانصرف عنه الى القرآن ، والذين يرون هـذا الرأى - من قدامى ومحدثين - يتكئون على رواية في الاغانى تقول : « كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، الى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة ، ان استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الاسلام ، فأرسل الى الاغلب الراجز العجلى ، فقال له انشدنى ، فقال :

أرجـزا تُريـدُ أم قصيـدا
لقـد طلبتَ هيّنـا موجـودا

ثم ارسل الى لبيد فقال : أنشدني ، فقال : ان شئت ما عفى عنـه ، يعني الجاهلية ، فقال لا ، أنشدني ما قلت في الاسلام فانطلق فكتب سورة البقرة [1] في صحيفة ثم اتى بها وقال : ابدلنى الله هذه في الاسلام مكان الشعر ، فكتب بذلك المغيرة الى عمر ، فنقص من عطاء الاغلب خمسمائـة ، وجعلها في عطاء لبيد فكان عطاؤه الفين وخمسمائـة ، فكتب الاغـلب : يا امير المؤمنين : اتنقص عطائي ان اطعتك ، فرد عليه خمسمائة ، واقـر عطاء لبيد على الفين وخمسمائة » [2] .

ويبدو ان لبيدا عرف السر في سؤال عمر ، في الاطمئنان الى ايمان الشعراء ، وتمسكهم بعرى الدين ، فاجاب لبيد باسلوب فيه كثير من التأدب والذكاء والفطنة .

والرواة على ان لبيدا قد هجر الشعر ، منذ ان ادخل الله الاسلام في

(١) لعل لبيدا قد كتب حزبا من سورة البقرة أو آيات منها فالسورة طويلة (اياتها ٢٨٦) ولا تتيسر كتابتها في ذلك الوقت بسهولة وقد يطلق الكل فيراد به الجزء مثـل قولهم برفع خمسمائة مصحف يوم صفيـن وترجيحنا انهم رفعوا صحائف كتبت فيها آيات من القرآن الكريم .

(٢) الاغاني جـ ١٤ ص٩٧ ط حجرية وجـ ١٤ ص٩١ ط ساسى وجـ ١٥ ص ٣٦٩-٣٧٠ ط الدار .

قلبه ، ويقولون انه لم يقل الا بيتا واحـــدا ، اختلفوا فيه ونسبوه لغيره ، فمنهم من يقول انه قال : [١]

الحمدُ للـــه اذ لم يأتني أجـلى
حتى لبستُ من الاســلام ســربالا

وقالوا : ان هذا البيت ليس لمبيد ، بل هو لقردة بن نفاثه الســلولى، وقردة هذا ينسب اليه بيت لبيد المشهور :

الا كلُ شيءٍ ما خلا اللـــهَ باطـــل
وكلُ نعيمٍ لا محالـــةَ زائـــلُ

مع ان هذا البيت ورد في خبر عثمان بن مظعون ، حين اعترض على لبيد وهو ينشد قريشا ، وقال عثمان بان نعيم الجنة لا يزول ، معترضـــا على معنى عجز البيت ، وكان من ذلك ان اخضرت عين عثمان ، بلطمـــة من احد المشركين في خبر مشهور[٢] • ثم ان البيت جـــاء ضمن قصيدة طويلة في ديوان لبيد ، ومطلع القصيدة [٣] :

ألا تسألانِ المرءَ ماذا يُحـــاولُ
أنحبٌ فيقضي ام ضلال وباطـــلُ

والرواة انفسهم يذكرون في سند ابي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :
الا كل شيء ما خلا اللـــه باطل •• » [٤]

ويقولون : بل ان البيت الذي قاله لبيد في الاسلام هو : [٥]

---

(١) الاغاني جـ١٤ ص٩٤ والشـــعر والشـــعراء ص٨٨ ويروى (اكتسيت) ايضا •

(٢) ينظر في ذلك الاغاني جـ١٤ ص٩٦ ط ساسى والسيرة ق ١ ص ٣٧٠ انظر ص٥٩ـ٦٠ في هذا الكتاب •

(٣) ديوان لبيد ص٢٧ ط ليدن سنة ١٨٩١ •

(٤) الاستيعاب جـ ١ ص ٢٣٥ •

(٥) الشعر والشعراء ص ٨٨ •

ما عاتبَ المـرءَ الكـريمَ كنفسِـه
والمرءُ يُصلحـه الجليسُ الصـالح

وان دعوى هجر الشعر مرفوضة ، لا تقوم امام تركة لبيد من الشعر الذي قاله في عمره حين بلغ سبعا وسبعين ، او قاله في التسعين ، او قاله في المائة ، وكذلك الوصية المؤثرة التى تركها عند وفاته لابنتيه ولابن اخيه ، في كيفية اداء حقه حين يوارى التراب [١] .

وفي ديوان لبيد قصائد ومقطعات ، في ثناياها ابيات تعكس المعـنى القرآني الذي تأثر به ، ولا يمكن ان يكون ذلك الشعر غير اسلامي ، مادام بعيدا عن الشك والتزوير . فقد جاء في الديوان هذه الابيات من قصيدة طويلة : [٢]

ان تقـوى ربِّنـا خيـرُ نفَـلْ
وبإذن اللهِ ريثي وعجَـلْ

أحمـدُ اللـهَ فلا نـدَّ لـه
بيديـه الخيـرُ ما شـاء فعـل

من هداهُ سُبلَ الخيـرِ اهتـدى
ناعمَ البال ومن شـاء أضـل

وترى اثر القرآن في هذه الابيات واضحا ، فلو لم يكن لبيد قد قرأ قوله تعالى : « ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهو السميعُ البصير » [٣] وقوله : « وما تشاؤُونَ الا أنْ يشاءَ اللهُ ان اللهَ كان عليما حكيما » [٤] او قوله : « من يهدِ اللهُ فهو المهتدي ومن يُضللْ فاولئكَ هم الخاسرون» [٥]

(١) ديوان لبيد ص ١ وص ٤٥-٤٦
(٢) الديوان ص ١١ .
(٣) سورة الشورى آية ١١ .
(٤) سورة الانسان آية ٣٠ .
(٥) سورة الاعراف آية ١٧٨ .

لما استطاع طرق هذه المعاني مصادفة ، فمن الراجح انه قال قصيدته بعد ان قرأ وتأثر بايات الله البينات •

وقد جاء في ديوانه قصيدة مطلعها [١] :

كبيشةُ حلتْ بعد عهدك عاقلا
وكَانت له خبلاً على النأى خابلا

فيها هذا البيت :

رأيت التقى والحمدَ خيرَ تجارةٍ
رباحا اذا ما المرءُ أصبحَ ثاقِلا

فالتقى والحمد ألفاظ اسلامية ، والبيت يعيد في الاذهان قول الله تعالى : « يا أيُها الذينَ آمنوا هل أدلكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذابٍ أليم » [٢] •

وكذلك قوله بعده :

وهل هوَ الا ما ابتني في حياته
اذا قذفوا فوقَ الضريحِ الجَنَادلا

وهذا من قوله تعالى : « وأنْ ليسَ للانسانِ الا ما سعى » [٣] ، أما القصيدة التي فيها البيت الذي امتدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففيها كثير من المعاني الاسلامية ، وذلك فيما ترى : [٤]

---

(١) الديوان ص ١٧ •
(٢) سورة الصف آية ١٠ •
(٣) سورة النجم آية ٣٩ •
(٤) ديوان لبيد ص٢٧ ط ليدن • الحبائل : ج حبالة وهي الشرك ، أمك هابل : يقال هبلته أمه أي ثكلته • وائل : وألت النفس نجت• نزعك : تكفك • العواذل : هنا حوادث الدهر وزواجره • واسل : طالب ، من الوسيلة ، والواسل : هو الراغب الى الله بمعنى ذي وسيلة • دويهية : تصغير داهية والتصغير هنا للتعظيم والبيت من الشواهد النحوية •

ألا تسألانِ المرءَ ماذا يُحاولُ
أنحبٌ فيقضى أم ضلالٌ وباطلُ

حبائلُه مبثوثةٌ بسبيله
ويفنى اذا ما أخطأته الحبائلُ

اذا المرءُ أسرى ليلةً ظنَّ أنَّه
قضى عملا والمرءُ ما عاشَ عاملُ

فقولا له ُ انْ كان يقسمُ أمرَه
ألما يعظكَ الدهرُ أمكَ هابلُ

فتعلمَ أنْ لا أنتَ مدركُ ما مضى
ولا أنتَ مما تحذرُ النفسُ وائلُ

فانْ أنتَ لم تصدقكَ نفسُكَ فانتسبْ
لعلكَ تهديكَ القرونُ الاوائلُ

فان لم تجدْ من دونِ عدنانَ باقيا
ودونَ معدَ فلتزعكَ العواذلِ

أرى الناسَ لا يدرون ما قدرُ أمرهم
بلى كل ذي لبِّ الى الله واسل

ألا كلُ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ
وكلُ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

وكلُ امرئٍ يوما سيُعلمُ سعيُه
اذا كشفتْ عند الالهِ المحاصِلُ

وفي هذا البيت الاخير ، يتضح أثر الآية الكريمة : « وحُصلَ ما في الصُدُور » (١) .

---

(١) سورة العاديات آية ١٠ .

وكذلك يمكن أن يلاحظ الأثر القرآني في قوله :[1]

فوا عجبا كيف يعصى الاله
أم كيف يجحده جاحد
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه واحد
ولله في كل تحريكة
وتسكينة أبدا شاهد

وفي هذا يستطيع المرء ـ الحافظ لكتاب الله ـ أن يتلو في معنى كل شطر آية أو آيات من القرآن الكريم ، ويستدل من ذلك على أن الشاعر تلاها ، وفهمها ، ثم قال شعرا في معناها .

أما بعد أن تبينا ملامح الاسلام في شعر لبيد ، فيجمل ان نختم هذا الجزء بذكر الشعر الاسلامي لشاعر آخر من شعراء البادية ، كان له جهده في الحياة الاسلامية ، ذلك هو بجير بن زهير بن أبي سلمى المزني[2] ، اخو كعب بن زهير ، وقد مر ذكر بجير وخبر اسلامه وقصته في ذلك مع أخيه كعب .

لم يكن بجير من الشعراء الفحول ، ولكنه شاعر يقول الابيات حين تدعو المناسبة ذلك ، وحين يجيش صدره بعواطف وأحاسيس ينظمها شعرا ، يذيعه بين الناس .

كان اسلام بجير في وقت مبكر ، نسبة الى اسلام أصحابه من شعراء البادية ، فقد أسلم قبيل السنة السابعة للهجرة ، وكان كعب قد كتب لأخيه بجير يقرعه ويؤنبه على اسلامه بقطعة مر ذكرها ، وأولها :[3]

---

(١) ديوان لبيد ص ٥٢ .
(٢) جمهرة أنساب العرب ص ١٩١ .
(٣) الاغاني ج ١٥ ص ١٤٢ والسيرة ق٢ ص ٥٠١ وديوان كعب ص ١ .

ألا أبلغا عني بجيرا رسالـــةً

فهل لك فيما قلتَ ويحكَ هل لكـا

فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، فأنشده اياها ، ثم كتب بجير الى أخيه كعب يفند رأيه ، ويدعوه الى الاسلام، ويكره له التمسك بأوثان الجاهلية ، ودين آبائه الوثني : (١)

من مبلغٌ كعبــاً فهـــل لك في التي

تلومُ عليهـــا باطلاً وهي أحـــزم

الى اللهـلا العزَّىولا اللاتِ ـوحدهُ

فتنجو اذا كان النجـاءُ وتسـلـم

لدى يومِ لا ينجو وليس بمفلـت

من النارِ الاّ طاهـرُ القلبِ مسـلمُ

فدينُ زهيرٍ وهو لا شيءَ غــيرُه

ودينُ أبي سلـمى على محـــرَّمُ

ولبجير شعر في الفتوح الاسلامية التي شهدها ، ففي فتح مكة روى له ابن اسحق قطعة يفتخر فيها بقومه ، وحسن بلائهم ، وكثرة عددهم ، وثباتهم على الاسلام ، وطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم :(٢)

نفى أهلَ الحبلقِ كـــلَّ فــجٍ

مزينةُ غـدوةً وبنـــو خُفـــاف

---

(١) ديوان كعب ص٢ والسيرة ق٢ ص ٥٠٢ في البيت الاول انتقال من الطويل الى الكامل ولو قال : (فمن مبلغ ...) لاستقام البيت وهذا من العيوب التي اجازها العروضيون .

(٢) السيرة ق٢ ص ٤٢٥ـ٤٢٦ .

أهل الحبلق : اصحاب الغنم ، والحبلق الغنم الصغار ، واسم لارض تسكنها قبائل من مزينة وقيس (انظر السهيلي ـ الروض الانف) . بنـو خفاف: بطن من سليم . النبي الخير : أي ذو الخير ، أو الخير بالتشديد ثم =

ضربناهُم بمكةَ يومَ فتحِ

النبي الخيرِ بالبيض الخفاف

صبحناهم بسبعٍ من سليم

وألفٍ من بني عُثمان وافِ

نَطا أكتافهم ضرباً وطعناً

ورشقا بالمريشةِ اللطاف

ترى بين الصفوف لها حَفيفا

كما انصاع الفُواق من الرصاف

فرُحنا والجيادُ تجولُ فيهم

بأرماحٍ مقومةِ الثقاف

فأبنا غانمين بما اشتهينا

وآبوا نادمين على الخلاف

وأعطينا رسولَ الله مناً

مواثقنا على حُسن التصافي

وقد سمعوا مقالتنا فهمُّوا

غداةَ الروع منّا بانصراف

وفي حنين قال بجير يذكر الهول الذي أصاب الناس ، لولا أن رحم

= خففت • بسبع من سليم : أي بسبع مئة فارس • بنو عثمان : هم مزينة نطا أكتافهم : اصلها نطأ فخفف الهمزة • الرشق : الرمي السريع • المريشة : السهام ذوات الريش • الحفيف : الصوت • انصاع : انشق • الفواق : اراد الفوق ، وهو طرف السهم الذي يلي الوتر • الرصاف : جـ رصفة ، وهي عصبة تلوى على فوق السهم •

الله فنصر المسلمين ، وأذل الاعداء المشركين : [١]

لولا الالـــهُ وعبـــده وليتُمُ
حين استخف الرعبُ كلَّ جبـانِ
بالجزع يومَ حبا لنـا أقرانُنــا
وسوابــحٌ يكبُــون للاذقــانِ
من بين ِساعٍ ثوبُـه في كفِّــه
ومقطـــرٍ بسنابــك ولبَــانِ
والله أكرمنـا وأظهـرَ دينَنـا
وأعزنـا بِعبـادة ِ الرَّحمن
والله أهلكَهـم وفرق جمعهُـم
وأذلهم بعبـادة الشيطـانِ

ويقول ابن هشام بعدها : (ويروى فيها بعض الرواة) : [٢]

اذ قـام عمُ نبيكـم ووليُـه
يدعون يا لكتيبـــةِ الايمانِ
أينَ الـذين همو أجابوا ربَّهـم
يوم العريض وبيعـة الرضوانِ

ولبجير شعر في يوم الطائف ، يصف فيه الحصار ، ويذكر هوازن ، وما أعدوا لها من قوة ٠ ولم يكن في ذلك الشعر اثر للقرآن ، ولا روح من تعاليم الاسلام [٣] ٠

---

(١) السيرة ق٢ ص٤٥٩ـ٤٦٠ ٠ الجزع : منعطف الوادى ٠ حبا : اعترض ٠ السوابح : الخيول كانها تسبح في جريها ٠ يكبون : يسقطن ٠ مقطر : مرمى على قطره اي جنبه ٠ السنابك : جـ سنبك ، طرف مقــدم الحافر ٠ اللبان : الصدر ٠

(٢) السيرة ق٢ ص ٤٦٠ ٠ العريض : واد بالمدينة ٠

(٣) ينظر هذا الشعر في ابن هشام ق٢ ص ٤٨٧ ــ ٤٨٨ ٠ وورد قسم منه في الاستيعاب جـ ١ ص ٦٩ ٠

وبعد : فهؤلاء الشعراء الاعراب ، الذين أسلموا وكان للاسلام في شعرهم أثر ، يختلف كثرة وقلة حسب انغماسهم في الحياة الجديدة ، والاحداث الدائرة في فترة دخولهم الاسلام ، وهؤلاء الشعراء ، وان لم يكونوا طرفا في الخصومة بين مكة والمدينة ، فان من أدركها منهم - كالعباس بن مرداس ، وبجير بن زهير - قد ساهم فيها ، وقال شعرا يمكن أن يوضع في كفة شعر المدينة ، ولو قيض لهؤلاء الشعراء أن يسلموا في وقت مبكر ، أو يتصلوا بالمسلمين في حاضرتهم ، لكان الشعر الاسلامي أغزر وأشد خصوبة مما هو عليه ، ولاسيما وان أكثر هؤلاء الشعراء من الفحول البارزين في الجاهلية •

٣

واذا تركنا شعراء البادية الذين وضح أثر الاسلام في شعرهم ، نتناول شعراء آخرين من شعراء البادية ، كان اتصالهم بالحياة الاسلامية متأخرا أو ضعيفا ، وقد سقطت في شعرهم أبيات فيها للاسلام أثر • ولم يكن في هؤلاء الشعراء من الفحول البارزين غير الحطيئة ، والاعشى ، الذي تروى له قصيدة في مدح النبي يراودها الشك من كل جانب •

فأما الحطيئة : فيظهر في حياة المسلمين - أول ما يظهر - مع المرتدين فلم يكن في الوفود التي أسلمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في السنة التاسعة ، ويرى ابن قتيبة (١) : أنه لم يسلم الا بعد وفاة الرسول ، أما ابن حجر (٢) فيزعم أنه أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم • ولم يرد في شعره ولا في أخباره ما يؤيد ذلك الزعم •

---

(١) الشعر والشعراء ص١١٠-١١١ وسمط اللآلى جـ١ ص٨٠ ، ويبدو أنه نقل نص ابن قتيبة •

(٢) ورد هذا في خزانة الادب للبغدادي حـ١ ص٤٠٩ ولعله استنتج ذلك من أبيات الحطيئة (اطعنا رسول الله •••) •

وكل الرواة على ان الحطيئة رقيق الاسلام ، فاسد الدين . وقد قال شعرا مشهورا ذائعا في الردة ، يحرض فيه على قتال المسلمين ، والهزؤ من سلطان أبي بكر ، وفيه هجاء مقذع للقبائل المتمسكة باسلامها : (١)

ألا كلُّ أرماحٍ قصار أذلة
فداءٌ لأرماحٍ ركزنَ على الغمرِ

فان الذي أعطيتمُ أو منعتمُ
لكالتمر او أحلى لخلفِ بني فهرِ

فباست بني عبسٍ وأفناء طيءٍ
وباست بني دودان حاشا بني نصرِ

فدى لبني ذبيانَ أمي وخالتي
عشيةَ يُحدى بالرماحِ أبو بكرِ

أبوا غير ضرب يحطم الهام وسطه
وطعنٍ كافواه المرقعةِ الحمرِ

فقوموا ولا تُعطوا اللئامَ مقادةً
وقوموا وان كان القيامُ على الجمرِ

أطعنا رسولَ الله اذ كان صادقا
فيا عجبا ما بالُ دينِ أبي بكرِ

أيورثنا بكراً اذا مات بعده
فتلك وبيتِ الله قاصمةُ الظهرِ

ولما دحرت فلول المرتدين وقع الحطيئة أسيرا ، سنة احدى عشرة

(١) ديوان الحطيئة ص٣٢٩-٣٣٠ والبيتان الاخيران في روايتهما خلاف ينظر الشعر والشعراء ص١١٠ . وقد نسبت بعض هذه الابيات لاخيه الخيطل بن أوس (تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٤٧٧ ط الاستقامة) .

الهجرة . ويذكر الطبري[1] أنه أقلع عن الكفر وحسن اسلامه ، حيث اشترك في معركة القادسية (١٤ هـ) ، وأخذ على نفسه تحريض المسلمين على الاستبسال ضد الفرس . بيد أن الاحداث لا تقر حسن اسلامه ، فقد بقي مضطربا ضعيف الايمان [2] .

وكان الهجاء عند الحطيئة أبرز خصاله ، فهو بضاعته المزجاة ومورد رزقه . وعلى الرغم من شدة عمر وحزمه ، وأخذ الشعراء الهجائين بالعقوبة ، فان الحطيئة كان يهجو الناس كلما أتيح له ذلك . وقد يظهر في شعره هذا أثر الاسلام ، حين يعتذر أو يعاتب ، فقد قال يعاتب ويقرع الزبرقان بن بدر [3] :

ألا أبلغ بني عوف بن كعب
نهل قومٌ على خلقٍ سواءُ

وفيها يقول :

ولما أن مدحتُ القومَ قلتم
هجوتَ ولا يحلُّ لك الهجاءُ

ألم أكُ مسلما فيكونُ بيني
وبينكم المودةُ والاخاءُ

فلم أشتمْ لكم حسبا ولكن
حدوتُ بحيث يُستمع الحداءُ

واذا وردت المعاني الاسلامية في شعر الحطيئة ، فليس معنى ذلك أن

---

(١) تاريخ الطبري جـ ٢ ص١٨٧٨ و جـ١ ص ٢٣٩٣ .

(٢) من ذلك تماديه في نهش أعراض الناس وسخريته واستخفافه بامر الدين في حادثة سكر الوليد بن عقبة (ينظر مروج الذهب جـ٢ص٣٤٤) ووصيته الساخرة لو صحت ، تنظر في الاغاني جـ٢ ص ١٩٥ ـ ١٩٧ ط الدار .

(٣) ديوان الحطيئة ص ٩٨ .

الحطيئة كان ذا حظ من الدين والورع ، بل انه اذا خاطب الخليفة أو مدحه ، فيخاطبه بما يرضيه ، ويمدحه بما يسره ، وبمعان يؤمن بها الناس ، فهو يستعطف عمر بن الخطاب حين حبسه ، لما هجا الزبرقان بن بدر : (١)

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخٍ
حمرِ الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ

غيبتَ كاسبهم في قعر مظلمةٍ
فاغفر عليك سلامُ اللهِ يا عمرُ

أنت الأمين الذي من بعد صاحبه
ألقت اليك مقاليدَ النُهى البشرُ

لم يُؤثروكَ بها اذ قدموك لها
لكن لأنفُسهم كانت بها الأثرُ

ومن المعاني الجليلة التي طرقها الحطيئة قوله : (٢)

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مالٍ
ولكن التقيَّ هو السعيدُ

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخراً
وعند الله للأتقى مزيدُ

وما لابد أن يأتي قريبٌ
ولكن الذي يمضي بعيدُ

والحطيئة في البيت الثاني ينظر الى الآية الكريمة : « وما تفعلوا من

---

(١) ديوان الحطيئة ص٢٠٨ . النهي جـ نهية : غاية كل شيء . الاثر : جـ اثرة ، الخيرة وتفضيل النفس .

(٢) الديوان ص ٣٩٣ والاغاني جـ٢ ص ١٧٥ ط الدار

خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب » [1] .

ويحسن هنا أن نعرض لقصيدة الاعشى في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أثار طه حسين [2] شكوكه حولها ، ويروى [3] أن الاعشى كان قد عزم المسير الى يثرب ليسلم وأعد قصيدته في مدح الرسول، فلما علمت قريش بذلك تصدت له لترده عن غايته ، وذكرت له أن محمدا يحرم الخمر والزنا والقمار ، نصرفته قريش عن الاسلام ، وتوفي الاعشى بعد ذلك ولم يدخل الاسلام قلبه . وليس غريبا أن يكون الاعشى قد حاول التقرب الى النبي حين ذاع أمره . فاذا رجح في قصيدته الوضع ، فان ذلك الوضع كان في وقت مبكر جدا ، لأن ابن هشام [4] كان قد ذكرها مع خبر قريش في صد الاعشى عن الاسلام . واذا ذكرنا هنا القسم الاسلامي منها ، فاننا نريد أن نتبين أثر الدين في شعر الشعراء المطيفين بالمدينة أو مكة من الاعراب ، وسواء أصحت القصيدة للاعشى ، أم لم تصح ، فانها تمثل طبيعة ذلك التفكير ، ونجد في التمثل بها فائدة : [5]

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا
وعادك ما عاد السليم المسهدا
وما ذاك من عشق النساء وانما
تناسيت قبل اليوم خلة مهددا

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٧ .

(٢) في الادب الجاهلي ص ٢٥٨ وكذلك أشار بروكلمان ـ تاريخ الادب العربي ج ١ ص ١٤٨ الترجمة العربية .

(٣) السيرة ق١ ص٣٨٦ـ٣٨٨ . وينظر تخريج السهيلي لهذه الرواية في الروض الانف ج١ ص ٢٣٦ .

(٤) السيرة ق١ ص ٣٨٦ .

(٥) ديوان الاعشى ص ١٠١ـ١٠٣ وينظر السيرة ق١ ص ٣٨٦ـ٣٨٨ وفي السيرة خلاف عما في الديوان وعن السيرة نقل ابن سيد الناس ـ عيون الاثر ج ١ ص ١٣٨ .

ويستمر في القصيدة حتى يتخلص من الناقة بقوله :

فآليتُ لا أرثي لها من كلالـــةٍ
ولا من حفىً حتى تزورَ محمـــدا

متى ما تناخي عنـــد باب ابن هاشم
تريحى وتلقى من فواضلــه نـــدا

نبيٌ يرى مالا تـــرون وذكـــرُه
أغارَ لعمري في البــلادِ وانجـــدا

لـــه صدقـــاتٌ ما تُغبُ ونائـــلٌ
وليس عطاءُ اليومِ مانعـــهُ غـــدا

أجدك لم تسمعْ وصـــاةَ محمـــدٍ
نبيٍّ الاله حـــين أوصى وأشـــهدا

اذا انت لم ترحل بزادٍ مـــن التقى
ولا قيتَ بعد الموت من قـــد تزودا

ندمت على ألا تكـــون كمثلـــه
وأنك لم تُرَصد لما كان أرصـــدا

فإيـــاك والميتـــاتِ لا تأكلنهـــا
ولا تأخذنْ سهماً حديدا لتفصـــدا

وذا النصبَ المنصـــوبَ لاتنسـكنهُ
ولا تعبدِ الاوثانَ واللـــهَ فاعبـــدا

وصلٍّ على حينِ العشياتِ والضحى
ولا تحمدِ الشيطانَ والله فاحمـــدا

ولا السائلَ المحـــرومَ لا تتركنَّـــه
لعاقبـــة ولا الاســـيرَ المقيـــدا

ولا تسخرنْ من بائس ذي ضـــراوةٍ
ولا تحسبنَّ المرءَ يـــوما مُخلـــدا

ولا تقربنَّ جـارةً انَّ سرهـا
عليك حرامٌ فانكحنْ أو تأبـدا

وفي هذا الشعر تظهر الوصايا التي يأمر بها الاسلام ، في العبادة والآداب الاسلامية ، ويلاحظ أن في الابيات كثيرا من الاوامر والنواهي التي جاءت في القرآن ، في تحريم أكل الميتة ، وقتل النفس ، ونبذ عبادة الاوثان ، والتمسك بالفرائض . والابيات تتدرج من وعظ لآخر ، ومن أمر لأمر ، أو نهي لنهي ، مما يدل على أن العقلية التي وضعت هذه الابيات عقلية دينية واعظة ، بعيدة عن الجو الشعري ، مما يؤكد شكوك طه حسين والمتقدمين قبله كالسهيلي الذي كان قد نوه لذلك بقوله : (فان صح خبر الاعشى) [1] في نسبتها .

وهناك شعراء عرفت لهم أشعار في عصر الراشدين ، ابان الفتوح . وقد ظهرت في شعرهم معان دينية ، واقباس من تعاليم الاسلام ، تتسم بالبساطة والقلة ، من ذلك ما تجده في شعر جزء بن ضرار الشاعر البدوي، حيث يرثي بأبيات الخليفة عمر بن الخطاب ، حين امتدت اليه يد أبي لؤلؤة غدرا : [2] .

جزي اللهُ خيرا من امـام وباركتْ
يدُ الله في ذاك الاديم الممـزقِ
فمن يسعَ أو يركبْ جناحيْ نعامةٍ
ليـدرك ما حاولتَ بالامس يُسبقِ

---

(١) الروض الانف جـ١ ص ٢٣٦ .

(٢) الاغاني جـ٩ ص١٥٩ ط الدار وطبقات الشعراء ص ١١١ وقد وردت في الحماسة لابي تمام جـ ١ ص ٤٥٣ـ٤٥٤ منسوبة للشماخ . البوائق : ج بائقة ، الدواهي العظام . السبنتي : النمر خبيث الطبع ، جـريء .

قضيت امـــورا ثم غادرتَ بعدهـــا
بوائقَ في اكمامهـــا لـم تفتـــقِ

وما كنتُ أخشى ان تكـون وفاتُـــه
بكفي سبنتى ازرقِ العين مطـــرقِ

فأثر الدين في هذا الشعر ضئيل ، لم يتعمق نفس جزء ، وان كانت المناسبة دينية هزت عواطف المسلمين .

ومن هذا الشعر الذي يظهر فيه اثر الدين خافتا ضعيفا ، شعر قيس ابن المكشوح المرادي ، في يوم القادسية ، حيث أهوى بسيفه على عنـــق رستم قائد الفرس فأرداه قتيلا . قال (١)

جلبتُ الخيلَ مـن صنعاءَ تـــردي
بكـــل مدججٍ كالليثِ ســـامِ

الى وادي القـــرى فديـــار كـــلبٍ
الى اليرمـــوكِ فالبلـــد الشـــآمِ

وجئن القادســـيةَ بعـــدَ شـــهرٍ
مسومـــةٍ دوابرهـــا دوامـــي

فناهضنا هنـــالكَ جمـــعَ كســـرى
وأبنـــاءَ المرازبـــةِ الكـــرامِ

فلمـــا أن رايتُ الخيـــلَ جالتْ
قصـــدتُ لموقف الملـــكِ الهُمـــامِ

فأضربُ رأســـهُ فهـــوى صريعـــا
بسيفٍ لا أفـــلَّ ولا كهـــامِ

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ص٢٦١ وقد ادرك قيس عهد علي وشارك معه في صفين وقتل فيها ، ينظر سمط اللآلي ص٦٤ـ٦٥ .

وقد أبلى الالـــهُ هنـــاك خـــيرا

وفعلُ الخيرِ عنـــد اللـــه نـــامِ

ومع ان الشاعر كان يجاهد في سبيل الله ضد الاعداء المشركين ، فلم يوفق في ابراز الجانب الديني من الجهاد الا في البيت الاخير وبشكل عام، وقد شغل عن المعاني الدينية ، بوصف المعركة ، والتهيؤ لها ، والفخـــر بشجاعته وبسالته . وهكذا شعر الفتوح في اكثره ، لا يظهر فيه اثـــر الاسلام الا ضعيفا فاترا .

ولعل عبدة بن الطبيب كان اكثر توفيقا في ابراز المعاني الاسلامية ، في وصاته لاولاده بتقوى الله وبر الوالدين ، والحــذر من المنافق النمام ، الذي يبث الضغائن والاحقاد ، وقد بدأ القصيدة بقوله (١) :

أبنيَّ انى قـــد كبـرتُ ورابنـــي

بصري وفيَّ لمصـــلحٍ مُستمتـــعُ

يذكر ما خلف لهم من حسب ، ومآثر محمودة ، الى ان يوصيهـــم بقولـــه :

ونصيحةٌ في الصدر داخلـــةٌ لكـــم

ما دمت أبصرُ في الرجـــال واسمعُ

أوصيكمُ بتقى الالـــهِ فانـــه

يُعطى الرغائبَ من يشاءُ ويمنـــعُ

وببر والدكـــم وطاعـــة أمـــره

انَّ الابرَّ من البنـــينَ الاطـــوعُ

---

(١) المفضليات ـ المفضل الضبى ص ٦١ـ٦٢ وديوان المفضليات ـ شرح الانباري ص ٢٩٤ـ٣٠٢ . الرغائب ـ جـ رغيبة : الشيء الواسع الكثير النفيس . المشعشع : الشفاف المرقق المسهل .

ان الكبير اذا عصاه أهله
ضاقت يداه بأمره ما يصنع

ودعوا الضغينة لا تكن من شأنكم
ان الضغائن للقرابة توضع

وأعصوا الذي يُزجي النمائم بينكم
متنصحاً ذاك السمام المُنقع

يُزجي عقاربه ليبعث بينكم
حرباً كما بعث العروق الاخدع

حران لا يشفى غليل فؤاده
عسل بماء في الاناء مُشعشع

ومن الممكن هنا تبين العلاقة بين المعاني التي طرقها الشاعر ، في التقوى ، وبر الوالدين ، وصفات المنافق ، وبين الايات الكريمة التي تأثر بها الشاعر . (١)

وكذلك وردت معان وألفاظ قرانية في ابيات للحصين بن الحمام ، وهي من قصيدة مطلعها : (٢)

وقافية غير أنسية
قرضت من الشعر أمثالها

---

(١) وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر الايات الكريمة (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) (الطلاق ٤) (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) (الطلاق ٥) وقوله (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) (الاسراء ٢٣) (وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا) (مريم ١٤) وقوله (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله) (الاحزاب ٤٨) .

(٢) الاغاني جـ ١٤ ص١٤ـ١٥ ط الدار . وينظر ترجمته في ديوان المفضليات ص ١٠١ . وسمط اللآلى جـ١ ص ٢٢٦ .

يذكر فيها صبره في الحروب ، وحسن بلائه ، ونجدته المستغيث ، ثم يقول :

فلم يبق من ذاك الا التقى
ونفسٌ تعالج آجالها

أمورٌ من الله فوق السما
ءِ مقادير تنزل أنزالها

أعوذ بربي من المخزيا
تِ يوم ترى النفس اعمالها

وخفّ الموازين بالكافرين
وزلزلت الارض زلزالها

ونادى منادٍ بأهل القبو
رِ فهبوا لتبرز أثقالها

وسعرتِ النار فيها العذا
بُ وكان السلاسل اغلالها

ومن غير المألوف أن تتفق هذه المعاني ، في البعث والحساب والجزاء والجحيم ، لاعرابى مالم يكن قد قرأ أو استمع الى تلاوة لسورة الزلزلة ، وسورة القارعة ، وسورة الغاشية أو غيرهن .

وشبيه بما مر ، أبيات لضرار بن الازور ، قالها حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ترك خلفه عادات الجاهلية وأوزارها [١] .

خلعتُ القداحَ وعزفَ القيا
نِ والخمرَ أشربُها والثمالا

وكر المحبر في غمرةٍ
وجُهدي على المشركين القتالا

(١) الاستيعاب جـ٢ ص ٧٤٧ .

وقالـت جميلـةُ بددتنـــا

وطرحتَ أهلـك شتى شـــمالا

فيا ربَّ لا أغبنـنْ صفقـــتي

فقد بعتُ أهلي ومــالى بـــدالا

ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لـه : « ما غُبنتْ صفقتُكَ يا ضرار » ولا نعدم أن نجد معاني الاسلام وآدابه ، حتى عند شاعر معروف بفجوره وتشهيره بحرائر العرب ، ذاك هو سحيم عبد بني الحسحاس الذي قتله شعره حيث قال : (١)

فلقد تحدرَ من جبينِ فتاتِكم

عرقٌ على ظهـرِ الفـراش وطيبُ

حتى هذا سقط له بيت شعر أعجب عمر بن الخطاب ، بحيث قـال له : « لو قلت شعرك كله مثل هذا لاعطيتك عليه » وذلك البيت هو : (٢)

عُميرةَ ودعْ ان تجهزتَ غـاديا

كفى الشيبُ والاسلامُ للمرءِ ناهيـا

(١) ديوان سحيم ص٦٠ ط الدار وطبقات الشعراء ص١٥٦ـ١٥٧.

(٢) ديوان سحيم ص١٦ . والاغاني ج٢٠ ص٢ـ٣ ط ساسى . ويقال ان عمر قال (لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك) وينظر الكامل ـ المبرد ج ١ ص ٣٧٢ .

٤

وبعد : فماذا نرى في شعر البادية المتأثر بالاسلام ؟

أكثر الشعراء الفحول هم شعراء البادية ، الذين لم يكن لهم نصيب في الخصومة بين المسلمين والمشركين ، الا في فترة متأخرة ، فترة الفتح وما بعده ، وعند بجير بن زهير ، والعباس بن مرداس خاصة • ومن هؤلاء الشعراء المتأثرين بالاسلام ، مجموعة من الفحول البارزين ، فلبيد من أصحاب المعلقات ، والحطيئة وارث نهج زهير في التحكيك والتنقيح ، وكعب كان يتعقب أثر أبيه ، ومتمم بن نويرة من مشاهير شعراء المراثي ، وغيرهم من النابهين • وشعراء البادية كثيرون كثرة ملحوظة ، والكثير منهم لم تكن له بالاسلام صلة في الفترة الاولى ، ومن اتصل منهم بحياة المسلمين يختلف حظهم من التأثر بالدين ، فمنهم من مس الايمان قلبه ، فكان مسلما صحيح الاسلام ، وظهر أثر الاسلام في شعره واضحا ، ومنهم من كانت صلته بالدين قليلة ضعيفة ، وكذلك كان أثر الدين في شعرهم قليلا ضعيفا ، يظهر في أبيات ضمن القصيدة ، ويكون المعنى الديني لديهم بسيطا ساذجا • وما دام الاسلام لم يتمكن من قلوب هؤلاء ، كان طبيعيا أن تكتسح حركة الردة كثيرا من هؤلاء الشعراء ، ومن أبرزهم الحطيئة • واذا تساءلنا عن الشعر الذي قيل في الردة ، ما هو وأين هو ؟ الظاهر أن الرواة لم يحرصوا على حفظ الكثير منه ، فأشهر قصيدة حفظت هي قصيدة الحطيئة ، التي يذكر فيها أبا بكر الصديق ، ومع ذلك فهي تنسب لأخيه الخيطل بن أوس ايضا ، ونجد في كتب التاريخ والادب ابياتا متفرقة قالها المرتدون أثناء حروب خالد بن الوليد التأديبية للمرتدين • ولعل السبب في قلة هذا الشعر ، أن حركة الردة قمعت بسرعة ، بحيث لم يتهيأ لهم التعبير عن عواطفهم وأمانيهم القبلية الجاهلية •

وشعر البادية في هذه الفترة شعر جاهلي ، فيه ما في الشعر الجاهلي من خصائص وصفات • واذا كان شعر القريتين في كثرته مقطعات تقل

فيه القصائد ، فان الشعر هنا تكثر فيه القصائد الطوال ، فهو شعر خصب جزل كثير • وفي القصائد الطوال تتعاقب أكثر فنون الشعر ، وهذا هو نهج المطولات ، فالوحدة الموضوعية هنا لا تكون الا في المقطوعات •

ويمتاز شعر البادية المتأثر بالاسلام ، بأنه شغل بطرق فنون غير التى طرقها شعر مكة والمدينة ، فشعر المدينتين كانت النقائض محوره ، أما شعر البادية فقد أزدهر في جو مختلف عن جو الخصومات السياسية بين المسلمين والمشركين ، لانه كان متأخرا عن تلك الفترة ، ولانه استمر معزولا عن الحياة الاسلامية ، ولذلك كله فقد كان شعرهم هو شعر الوفود، ومدح الخلفاء ، ورثائهم • ثم ان هذا الشعر ذاع واستمر بعد زمن الرسول الكريم ، فأنتقل الى بيئات أخرى غير بيئة الحجاز ، فقد ازدهر في الامصار الاسلامية وأثناء الفتوح ، ولو أن طابع الاسلام في شعر الفتوح لم يكن واضحا كل الوضوح • فعلى الرغم من أنه قيل في مناسبة دينية هي الجهاد في سبيل الله ، فان الشعر كان يتغنى ببطولات فردية ، أو جماعية قبلية ، لا بطولات دينية تمثل جماعة المسلمين • ويمثل هذه النزعة أوضح تمثيل العباس بن مرداس ، فشعره الذي قاله في انتصار المسلمين ، أكثره فخر بقومه بني سليم ، فهو يعزو أنتصار الاسلام بفضل قوة قومه الالف الذين نصروا الاسلام والرسول ، وان اندحار القبائل المعادية لا يفسرها بروح ديني ، فتكون اندحارا للشرك والضلال ، بل يعدها هزيمة لهوازن مما لقيته من بلاء قومه الالف الذين نصروا محمدا • وقد ظهرت ــ في القليل ــ النزعة الجماعية المسلمة عند عروة بن زيد الخيل ، الذي كان مع المثنى بن حارثة ــ زمن عمر ــ في فتح الحيرة ، يصف نصر المسلمين ، وأقدام المثنى ، وهزيمة جند الفرس ، وقتل قائدهم مهران : [1]

(١) الاخبار الطوال الدينوري ص١١٥ ط الارشاد القومي وص ١١١ ط حنفي •

هاجتْ لعروةَ دارُ الحي أحزانـــا
وأستبدلتْ بعدَ عبدِ القيس همـدانا

وقد أرانا بها والشملُ مجتمـــــعٌ
اذ بالنخيلـــةِ قتلى جنـدِ مهرانـــا

ايامَ ســار المثنى بالجنـــودِ لهـم
فقتلُ القوم من رجــلٍ وركبانـــا

سما لاجنادِ مهـــرانٍ وشيعتـــــه
حتى ابادهُم مثــنى ووحـدانَـــــا

وكذلك تظهر في القادسية عند بشر بن أبي ربيعة ، حيث يفخر أن يقوده سعد بن أبي وقاص(١) :

وحلَّت بــاب القادسيةِ ناقتـي
وسعدُ بن وقـــاصٍ عليَّ أمـيرُ

عشـيةَ ودَّ القـومُ لو أن بعضَهـم
يُعـارُ جَناحي طائرٍ فيطـير

اذا بــرزت منهم الينـــا كتيبـــةٌ
أتينـــا باخـرى كالجبـــال تمـورُ

وهذه النزعة الاسلامية لا تمثل عموم الشعر ، بل الطابع العصبي الجاهلي ، هو السائد المتميز في هذا الشعر .

أما المعاني الدينية التي وردت في شعر البادية ، فأظهر ميزاتها البساطة والوضوح والايجاز ، فشعر البادية عامة لا يميل الى التعليل ، والتأويل ، والشرح ، والتعقيد ، والشاعر البدوي ــ سواء المتأثر بالاسلام تأثرا واضحا ،

---

(١) الاخبار الطوال ص١٢٤ ط الارشاد القومي و١١٩ ط حنفي .

أم الذي كان أثر الاسلام فيه ضعيفا ـ لا يطيل الوقوف عند المعاني الدينية ، ولا يعالجها الا بأبيات قليلة ، تأتي ضمن القصيدة وتتناول في الوقت ذاته المعاني البسيطة الظاهرة في غير عمق أو تأمل • وهذا أمر عام ، ولا نعدم أن نجد في الشعر شذوذا ، كما جاء شعر الحصين بن الحمام في وصف البعث والحساب ومصير أهل النار •

وشعر البادية بعد ذلك ، يمثل في أكثره عواطف القبيلة ، ويتغنى بأمجادها ، ويعدد أحسابها ، وقد كان وصفا أمينا للبيئة التي ترعرع فيها وازدهر •

الباب الرابع

شعر المخضرمين ومبلغ تصويره

للاحداث الاسلامية

الباب الرابع

شعر المخضرمين ومبلغ تصويره للأحداث الإسلامية

من العرض العام للشعر في بيئاته الثلاث : مكة ، والمدينة ، والبادية ، نجد أن الشعر في هذه الفترة يتجه الى المدن : مكة والمدينة ، ويكاد ينحسر عن البادية ، وشعراء البادية أنفسهم يميلون الى أحد المعسكرين المتخاصمين: المسلمين والمشركين •

ونحاول هنا أن نبين كيف اتخذ الشعر سبيله منذ أول الدعوة ، حتى انتهى الى الفتوح الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، وكيف ظهر فيه أثر الدين •

الفصل الاول

الشعر زمن الرسول

أول ما يلاحظ في هذا العصر ، أن المناقضات الحادة التي كانت قائمة بين الاوس والخزرج في المدينة ، اتجهت في الاسلام وجهة جديدة • فالاحقاد القبلية بين أهل المدينة قد عفى عليها الاسلام ، فتحولت الى

مناقضات بين قريش في مكة ، والانصار في المدينة ، وقد نشط في ذلك حسان بن ثابت وكعب بن مالك ، وكلاهما خزرجي من المدينة • وبرز عبدالله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب ، وكلاهما قرشي من مكة •

وللتحدي الجديد الذي شهدته مكة من شعراء المدينة ، الذين رفعوا راية الاسلام من جهة ، وللتهديد الذي واجهها من قوة الدين الجديد ، الذي جاء ليقوض كل معتقداتها ومقدساتها ، من جهة أخرى ، فقد برزت الشاعرية القرشية في هذه الظروف ، بعد أن كانت ضعيفة هزيلة في الجاهلية • نصحيح أنه كان لقريش شعراء معروفون قبل الاسلام ـ كأبي سفيان وابن الزبعرى ـ الا أن شعرهم ما كان ليطاول شعر المدينة • وكان ابن سلام قد رد قلة الشعر القرشي ، وضعفه في الجاهلية الى أنه : « لم يكن بينهم نائرة ولم يحاربوا »[1] وقد وجدت في الاسلام النائرة ، وكثرت الحروب ، وشحذت الهمم والعزائم ، فبرز الشعراء القرشيون • وقد كان نشاطهم محددا بفترة ما قبل الفتح ، ويمكن أن نحدد بداية نشاطهم ـ المتعلق بالاسلام ـ ببيتين لضرار بن الخطاب فيما يروي ابن اسحق[2] ، قالهما في سعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو الانصاريين ، في أمر العقبة الثانية • والبيتان هما :

تداركت سعدا عنوة فأخذته
وكان شفاء لو تداركت منذرا

ولو نلته طلت هناك جراحه
وكان حريا أن يهان ويهدرا

وكان أن أجابه حسان بقوله من أبيات[3] :

---

(١) طبقات الشعراء ص٢١٧ •

(٢) السيرة ق١ ص٤٥٠ وعيون الاثر جـ١ ص١٦٦ •

(٣) السيرة ق١ ص٤٥١ وديوان حسان بن ثابت ص١٩٢ روى البيت (لست الى عمرو •••) • البرقاء : موضع في البادية ومنه قول=

لستَ الى سعدٍ ولا المرءِ منذرٍ
اذا ما مطايا القوم أصبحن ضُمَّرا

فلولا أبو وهبٍ لمرت قصائدٌ
على شرف البرقاء يهوين حُسَّرا

أتفخرُ بالكتان لما لَبِستَهُ
وقد تلبسُ الانباط ريطا مقصَّرا

ويستمر نشاط الشعر القرشي خلال المعارك الاسلامية ، في بدر وأحد والخندق حتى الفتح ، حيث يسلم شعراء مكة ويقولون الشعر في مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعتذار اليه ، ويلوذ الشعراء بعدها بالصمت فلا يجدون متنفسا الا في بعض الاحايين ، ونكاد لا نسمع صوت الشعر القرشي بعد ذلك .

واذا ما اتضحت الشخصية الاسلامية قوية ذات شدة وخطر في المدينة ، يكون المسلمون قد بدأوا مرحلة جديدة في النضال متخذين القوة سبيلا ، فيتطور الصراع من المناوشات الكلامية ، الى الحرب الدامية ، التي تخطف الصرعى من كلا الجانبين . ولم يكن ذلك الصراع الدامي ليقتصر على القرشيين من جانب ، والمسلمين من جانب آخر ، بل شمل القرى اليهودية ، وتأثر به الاعراب في البادية ، والثقفيون في الطائف ، فانحاز بعض من هؤلاء الى معسكر المسلمين في المدينة ، وانحاز آخرون الى معسكر المشركين في مكة . وقد استمرت هذه الحال خلال السنوات التسع التي سبقت النصر في الفتح ، ودخول الناس في دين الله ، وكسر شوكة اليهود من قريظة والنضير .

وقد كانت الاحداث الكبرى التي مكنت للدعوة ونشر الدين ، أهم

= الراجز : (يترك بالبرقاء شيخا قد ثلب) . الانباط : قوم من العجم . الريط : ج ريطة ، الملاحف البيض .

عامل لازدهار الشعر في عصر النبوة ، فالفترة الواقعة بين الهجرة الى حنين والطائف ، كانت فترة ازدهار الشعر وفورته ، لان الخصومة كانت قائمة على جدتها وشدتها • وابان هذه الاحداث ظهر الطابع الديني في شعر الشعراء المسلمين ، ولذلك فعلى الدارس أن يتتبع أثر الدين في الشعر الذي قيل في الاحداث الكبرى بخاصة ، مقارنا ذلك الاثر بما جاء في كتاب الله العزيز من تصوير للمعارك والغزوات ومن توجيه للمسلمين •

١ ـ معركة بدر الكبرى :

كانت بدر معركة النصر الاولى للمسلمين ، فقد عز فيها الاسلام ، واشتد فيها عضد المسلمين ، وبرزوا بوجه قريش واليهود قوة لها خطرها ، وذاقت قريش فيها الذل والهزيمة • وقد رجعت صاغرة بعد أن تركت فرسانها مصرعين على الروابي وبين الشعاب • ونشط الشعر في هذه الفترة ، فوصف المعركة أصدق وصف ، تغنى المسلمون بالنصر ، وهجوا شعراء قريش ، وعيروهم الهزيمة والقتل والكفر ، وشعر المعارك عادة يتخذ النقيضة وسيلة وأداة ، ففيها الرد المفحم ، وتفنيدالمزاعم ، ودحض المفتريات • وكان الاثر الاسلامي واضحا في تلك النقائض ، ونحاول هنا أن نتلمس الاثر الديني في المشهور من شعر بدر ، والذي ترجح صحته •

قال حسان بن ثابت الانصاري ، من قصيدة يذكر فيها أصحاب القليب ، بدأها بقوله[١] :

عرفتَ ديارَ زينبَ بالكثيبِ
كخط الوحيِ في الورقِ القشيبِ

---

(١) السيرة ق١ ص٦٤٠ وديوان حسان ص١٤ـ١٧ • وقد مر هذا الشعر والفائدة تقضي اثباته هنا • الوحي : القلم • القشيب : الجديد •

جاء فيها ذكر لما قدر الله للمشركين من عاقبة :

وخبّرْ بالذي لا عيبَ فيه
بصدقٍ غير اخبار الكذوب

بما صنعَ المليكُ غداةَ بدرٍ
لنا في المشركينَ من النصيبِ

ثم يحكي مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحاب القليب[1] :

يناديهم رسولُ الله لما
قذفناهم كباكبَ في القليبِ

ألم تجدوا كلامي كان حقا
وأمرُ اللهِ يأخذُ بالقلوب

فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا
صدقتَ وكنتَ ذا رأيٍ مصيبِ

أما كعب بن مالك فيظهر في شعره المغنى الاسلامي أوضح وأبرز من معنى حسان ، يقول مجيبا ضرار بن الخطاب[2] :

عجبتُ لامر اللهِ واللهُ قادرُ
على ما أرادَ ليس لله قاهرُ

قضى يوم بدرٍ ان نلاقي معشرا
بغوا وسبيلُ البغي بالناس جائرُ

فهو يقرر ان أمر الله ــ لا بد ــ نافذ ، وان الذين حق عليهم العذاب هم معشر بغوا وظلموا ، ويقول :

---

(١) مر ذلك في ترجمة حسان ، وينظر في السيرة ق١ ص٦٣٩ ٠
(٢) السيرة ق٢ ص١٤ــ١٥ ٠

فلما لقيناهم وكل مجاهد
لاصحابه مستبسل النفس صابرُ

شهدنا بأن الله لا ربَّ غيره
وأن رسولَ الله بالحق ظاهرُ

فالجهاد والتوحيد وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه بالحق ، كلها معان اسلامية عرف كعب كيف يستفيد منها . وبعد أن يفخر كعب بما أصاب المشركين من تنكيل واذلال يذكر ان المسلمين قتلوا من قريش من قتلوا لكفرهم بالله واشراكهم به ، فهم وقود النار ، والنار جزاء الكافرين . وقد وجد الكافرون ما وعدهم الله ، وليس لامر قدره الله من دافع ، قال :

فكُبَّ أبو جهلٍ صريعاً لوجهه
وعُتْبَةَ قد غادرنه وهو عاثرُ

وشيبة والتيمي غادرن في الوغى
وما منهمُ الا بذي العرش كافر

فأمسَوا وقودَ النار في مستقرها
وكل كفورٍ في جهنم صائرُ

تلظّى عليهم وهي قد شبّ حميها
بزُبر الحديد والحجارةِ ساجرُ(١)

وكان رسول الله قد قال أقبلوا
فولوا وقالوا : انما أنت ساحر

لأمر أراد الله أن يهلكوا به
وليس لأمرٍ حمّه الله زاجرُ

---

(١) أنظر في هذا أثر الآية الكريمة : (قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) سورة التحريم آية ٦ . زبر الحديد : قطعه . ساجر : موقد .

وقد قيل في بدر شعر كثير ، ومن ذلك الشعر الممثل للنفس الاسلامي ، مقطوعة تنسب لحسان بن ثابت ، ويقول ابن هشام : انها لعبدالله بن الحارث السهمي[1] . ومهما كان الامر فان القطعة تمثل الروح الديني ، وتبين أثر القرآن في الشاعر ، حيث يستعمل ألفاظا قرآنية ، من الاستعصام بحبل الله ، والتقوى ، والحق ، والنصر غير المحدود ، وغير ذلك ، قال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] :

مستشعري حلق الماذي يقدمهم
جَلْدُ النحيزة ماض غير رعديدِ

أعني رسول الـه الحق فضله
على البرية بالتقوى وبالجود

وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم
وماءُ بدر ـ زعمتم ـ غير مورود

ثم وردنا ولم نسمع لقولكم
حتى شَرِبنا رِواءً غير تصريد

مستعصمين بحبلٍ غير منجذم
مستحكم من حبال الله ممدود[3]

فينا الرسول وفينا الحق نتبعه
حتى الممات ونصر غير محدود

---

(١) السيرة ق٢ ص٢٠ ، ولم يكن عبدالله فيمن حضر بدرا ، بل كان في الحبشة .

(٢) السيرة ق٢ ص٢٠ وديوان حسان ص٨٠ . الشعار : ما ولي الجسم من الثياب . الماذي : الدروع اللينة البيض . النحيزة : الطبيعة . الرواء : التملوء من الشراب . التصريد : الشرب القليل . منجذم : منقطع .

(٣) لعل حسانا كان ينظر الى قوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) آل عمران ١٠٣ .

وافٍ وماضٍ شهاب يُستضاء بـه
بـدرٌ أنار عـلى كل الاماجيـدِ

ويذكر حسان من قطعة[1] فضل الله عـلى المؤمنين ، وتسديد خطاهم ، ونصرهم على المشركين ، وان كان المسلمون قلة والمشركون أعداؤهم كثرة كاثرة ، فكأنه كان ينظر الى قوله تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئةً كثيرةً باذنِ الله »[2] وذلك في قوله :

فما نخشى بحـول اللـه قومـاً
وان كثروا وأجمعت الزحـوف

اذا مـا ألبـوا جمعـاً علينـا
كفـانا حدهـم رب رؤوفُ

الى أن يقول مشيرا الى سيوفهم :

لقيناهـم بهـا لمـا سمونا
ونحن عصابـة وهم ألـوف

ويتناول كعب بن مالك عدوان قريش على المؤمنين ، فيخرج بتعليل وجيه ، هو أن الكافرين انما يعادون المسلمين ويؤلبون الناس ضدهم لانهم عبدوا الله دون سواه ، وأنهم يرجون الجنة التي بشر النبي بها المؤمنين[3]:

ألا هـل أتى غسان في نأي دارهـا
وأخبرُ شيء بالامور عليمهـا

بأن قـد رمتنـا عـن قسي عدواة
معـد معاً جهالهـا وحليمهـا

(١) لم ترد هذه القطعة في ديوان حسان ط البرقوقي . ينظر السيرة ق٢ ص٢٢ـ٢٣ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٤٩ .
(٣) السيرة ق٢ ص٢٥ .

لأنا عبـدنا اللـه لم نرج غـيره
رجـاء الجنـان اذ أتانا زعيمهـا
نبي" لـه في قومـه ارث عـزةٍ
وأعراق صدق هذبتهـا أرومهـا

ومهما كان الشعر الذي قيل يوم بدر موفقا في تصوير المعركة ، فانه لم يبلغ به التوفيق أن يفيد الافادة الكاملة من سورة الانفال ، فالمعـاني التي تناولها الشعر كانت عامة ، ولم يتوصل الشعراء الى ادراك وفهم المعاني البعيدة الرائعة التي صورتها سورة الانفال [١] ، والتي نزلت اثر بدر • لقد ردد الشعر بعض ما جاء في السورة الا أنه ترديد ليس بذي خطـر كبير • قال تعالى في ذكر مسيرة الناس مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وفيهم من خرج طمعا او كرها [٢] : « كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحـق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطـل ولـو كره المجرمون » • ويذكر سبحانه دعاء رسوله أن ينصر المؤمنين وهم قلة على المشركين وهم كثرة : « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » • ويبشر الله تعالى المؤمنين بالنصر وبتأييد ملائكته ويرشدهم في قتال الاعداء : «اذ يوحي ربُّك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الـذين آمنوا سألقي في قلوب الـذين كفـروا الرعـب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا اللـه

---

(١) كان عبدالله بن عباس يسمها سورة بدر • جاء عن سعيد بن جبير قوله : (قلت لابن عباس سورة الانفال ، قال : تلك سورة بدر) • الاتقان جـ١ ص٥٤ • ط مصر ١٩٣٥م •

(٢) سورة الانفال ٥ـ٦٥ •

ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب » • وقال تعالى في قتال الكافرين ، وواجب المؤمنين : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير ، وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير » وجاء في السورة تصوير للمعركة ، وذكر لمواقع المسلمين ومواقع الكافرين ، وما آل اليه أمر الناس : « اذ أنتم بالعدوة الدنيا » من الوادي « وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم » أي عير أبي سفيان التي جاءت قريش لتمنعها عنكم فالتقيتم بغير ميعاد : « ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيٍّ عن بينة وان الله لسميع عليم » • وقد أرشد الله المؤمنين وعلمهم ما ينبغي لهم أن يعملوا به في حربهم : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » وحذرهم سبحانه أن يكونوا مثل أبي جهل وأصحابه من قريش ، الذين زين لهم الشيطان أعمالهم : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم » • وقد خاطب الله سبحانه رسوله الكريم ، وعلمه كيف يتهيأ للقاء العدو : « فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ••• وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » وقال تعالى في حث المؤمنين على القتال : « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » •

فأين الشعر من هذه الآيات البينات ، وأين الشعر من تصوير المعركة واظهار المعنى الديني بشكل واف وفهم صحيح ؟

٢ ـ معركة أحـــد :

بعد عام من وقعة بدر الكبرى ، جاءت قريش بجموعها وأحابيشها ونسائها لتثأر لذلها وقتلاها ـ أصحاب القليب ـ في بدر . ودارت المعركة وكان ما كان من نصر وهزيمة ، فهو يوم للمشركين على المسلمين ، وهو يوم محنة وبلاء ، استشهد فيه عدد كبير من المسلمين ، وفيهم حمزة بن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر الشعر كل ذلك : بكى القتلى ، وحكى الاحداث ، فافتخر هبيرة بن أبي وهب بقصيدة أولها[١] :

ما بالُ همٍّ عميـــدٍ بـاتَ يَطرُقُني
بالود من هندٍ اذ تعــدو عواديهـــا

جاء فيها :

سُقنا كِنانةَ من أطرافِ ذي يَمَنٍ
عُرضَ البلادِ على ما كان يُزجيهـا

قالت كنانــةُ : أنى تذهبونَ بنـــا
قلنـــا النُخَيْلُ فأموها ومن فيهـــا

فأجابه حسان مناقضا[٢] :

سُقتم كنانةَ جهـــلا مــن سفاهَتِكم
الى الرسولِ فجنــدُ الله مُخزيهـا

أوردتموها حِياضَ الموت ضاحيــةً
فالنارُ موعدُهـــا والقتلُ لاقيهـــا

---

(١) السيرة ق٢ ص١٢٩ـ١٣٠ . العميد : المؤلـم الموجـع . العوادي : الشواغل . النخيل : مدينة الرسول ، وهي اسم لعين مـاء قرب المدينة .

(٢) السيرة ق٢ ص١٣٢ وديوان حسان ص٤٢٤ .

جمّعتموها أحابيشاً بلا حَسَبٍ
أئِمَّـةَ الكُفر غرتـكم طواغيهـا

الا اعتبرتم بخيـلِ اللــه اذ قتلتْ
أهلَ اقليبِ ومن ألقيْنَـه فيهـا

كم من أسـير فككناه بـلا ثمـنٍ
وجزِّ ناصيـةٍ كنا مواليهـا

والمعنى الديني عند حسان يظهر في استعماله الصيغ الدينيـة التي تعلمها من القرآن الكريم ، ف (جند الله) و (أئمة الكفر) هي من صيغ القرآن وألفاظه ، ففي البيت الاول يستفيد من قوله تعالى : « ولله جنودُ السماوات والارض »[1] وفي البيت الثالث ترديد لقوله تعالى : « فَقاتِلوا أئِمَّةَ الكُفْرِ انهُم لا أَيْمانَ لهم لَعلَّهم يَنْتَهون »[2] .

ويقول كعب بن مالك مطولته ، التي يستغرق أكثرها ذكر الحرب ، وحسن البلاء ، والصبر ، وقد وردت أبيات فيها معان دينية تنم عن ادراك وفهم لطبيعة الدين الحنيف ، ومطلع القصيدة هو[3] :

ألا هل أتى غسـان عنـا ودونَهم
من الارضِ خرقٌ سَيرُه مُتنعنِعُ

الى أن يقول فيها :

---

(١) الفتح آية ٤ ، ٧ .

(٢) سورة التوبة آية ١٢ . ولو أنه من التجاوز أن نرجع كـل توافق في المعنى بين الشعر الذي قيل والآيات القرآنية ، فقد يكون هنالك توافق غير مقصود لم يلحظه الشاعر وبخاصة اذا علمنا أن هناك شبها بايات من سور كان نزولها متأخرا عن زمن قول الشعر وبالرغم من امكان معرفة تاريخ نزول السور فانه من الصعب تحديد نزول الآيات .

(٣) السيرة ق٢ ص١٣٣ـ١٣٤ .

وفينا رسولُ اللهِ نتبعُ أمرَه
اذا قال فينا القولَ لا تتطلعُ

تدلَّى عليه الروح من عند ربِّه
يُنزَّلُ من جو السماء ويُرفعُ

نُشاوِره فيما نُريدُ وقَصْرُنا
اذا ما اشتهى أنّا نُطيعُ ونسمعُ

وقال رسولُ اللهِ لما بَدوْا لنا
ذَرُوا عنكم هولَ المنياتِ واطمعوا

وكونوا كمن يشري الحياة تقرُّباً
الى مَلِكٍ يُحيا لديه ويُرجعُ

ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا
على الله ان الامر للهِ أجمعُ

يحدد كعب في هذه الابيات ويوضح آداب المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم يسارعون الى طاعته ، ويبيعون أنفسهم لله رخيصة ، غير مبالين بهول المنيات ، طامعين برضوان الله وجناته ، وان الامر لله جميعا . فأما اذا دارت رحى الحرب ، واشتد أوارها ، وقدر الله أمرا فلا راد لقضاء الله وأمره :

فلما تلاقينا ودارت بنا الرحى
وليس لأمرٍ حمَّهُ اللهُ مدفعُ(١)

والملاحظ أن كعباً لا يدفع غلبة المشركين كما دفعها حسان بذكر

---

(١) لقد تكرر هذا المعنى عند كعب فقد قال في بدر : (السيرة ق٢ ص١٥)
لامر أراد الله أن يهلكوا به
وليس لامر حمه الله زاجر

انتصار بدر ، بل يقر بها ، ثم يوجهها توجيه الرجل المؤمن ، الذي يرى أن ما عند الله خير وأبقى[1] :

ورُحنا وأخرانا بِطاءٌ كأننا
أُسودٌ على لحم ببيشةَ ظُلَّعُ
فَنِلنا ونالَ القومُ منا وربما
فعلْنا ولكن ما لدى اللهِ أوسعُ

ودارت رَحانا واستدارت رحاهُم
وقد جعلوا كلٌ من الشر يشبعُ
ونحن أناس لا نرى القتلَ سُبَّةً
على كل من يحمي الذِمارَ ويمنعُ

ويجادل كعب المشركين جدال من كان على بينة من أمره ، وقد استمسك برأي راجح وعقيدة ثابتة ، فهو يقول : انكم مهما فعلتم بنا من عدوان وتقتيل ، فان ديننا هو الحق الذي اليه ندعو وعنه نذود ، وان قتلنا في الله غاية نتمناها ونسعى اليها ، وان كنتم قد سفهتم رأينا فان السفيه الضال من خالف الاسلام ، وخرج عليه ، قال[2] :

أبلغْ قريشاً وخيرُ القولِ أصدقُه
والصدقُ عند ذوي الألبابِ مقبولُ
أنْ قد قتلنا بقتلانا سراتَكُمُ
أهلَ اللواءِ ففيما يكثرُ القيلُ
ويومَ بدرٍ لقيناكم لنا مَدَدٌ
فيه مع النصر ميكالٌ وجبريلُ

(١) السيرة ق٢ ص١٣٥ . بيشة : موضع تنسب اليه الاسود . الذمار : ما يحميه الرجل .
(٢) السيرة ق٢ ص١٤٧ .

ان تقتلونا فدينُ الحق فِطرتُنا
والقتلُ في الحق عند اللهِ تفضيلُ

وان تروا أمرنا في رأيكُم سَفَهاً
فرأي من خالفُ الاسلامَ تضليلُ

وقد رثى كعب قتلى أحد من المسلمين ، وفيهم حمزة عم الرسول ، فيذكر في قصيدة حزينة ، بلاء الشهداء الذين دعاهم ربهم الى جناته ورضوانه ، يقول (١) :

وقتلاهمُ في جنان النعيم
كِرامُ المداخل والمخرجِ

بما صبروا تحتَ ظلِ اللواء
لواءِ الرسولِ بذي الأضْوجِ

غداةَ أجابت بأسيافِها
جميعاً بنو الأوسِ والخزرجِ

وأشياعُ أحمدَ اذ شايعوا
على الحق ذي النور والمنهجِ

فما برِحوا يضربون الكُماةِ
ويمضُون في القَسْطَلِ المُرهَجِ

كذلك حتى دعاهم مليك
الى جنةٍ دوحةِ المولجِ

(١) السيرة ق٢ ص١٣٨-١٣٩ . الاضوج : بضم الواو ج. ضوج وهو جانب الوادي ، وبفتح الواو : اسم مكان . القسطل : الغبار . المرهج : الذي علا في الجو .

فكلهُمُ ماتَ حُرَّ البلاء
على ملةِ الله لم يَحْرَجِ

ثم يذكر حمزة ، وصبره في الحربَ ، وعظيم بلائه ، ويصف كيف تصدى له العبد فرماه بحربته القاتلة . ويخاطب كعب المشركين بأن أولئك الشهداء في جنات ربهم منعمين ، لا كقتلاكم الذين يرتكسون في الدرك الاسفل من جهنم :

أولئِكَ لا من ثوى منكمُ
من النارِ في الدركِ المُرتَجِ

ويرثي حسان حمزة بقصيدة يستغرقها فخره بقومه ، خلا ثلاثة أبيات فيها ذكرِ حمزة ، ويشير الى طعامِ أهل النار ، فيستفيد من قوله تعالى : « ليس لهم طعامٌ الا من ضَريعٍ لايُسمنُ ولا يُغني من جوعٍ » (١) قال (٢) :

فلا تذكروا قتلى وحمزةُ فيهمُ
قتيلٌ ثوى للهِ وهو مُطيعُ

فان جِنانَ الخُلدِ منزِلةٌ له
وأمرُ الذي يقضي الأمورَ سريعُ

وقتلاكمُ في النارِ أفضلُ رزقِهم
حَميمٌ معاً في جوفِها وضَريعُ

أما عبدالله بن رواحة ، فله قصيدة سهلة سلسة ، قريبة المعنى ، ظاهرة التأثر بالدين ، الا أنه تأثر ساذج ، لم يبلغ من البراعة في صوغ المعاني الدينية ما بلغه كعب بن مالك في هذه الفترة ، قال عبدالله بن

---

(١) سورة الغاشية آية ٦ ، ٧

(٢) السيرة ق٢ ص١٤٣ وديوان حسان ص٢٥٩ . الضريع : نبات أخضر يرميه البحر .

رواحــــة[1] :

بكت عيني وحُـق لهـا بُـكاها
وما يُغني البكاءُ ولا العويلُ

على أسـدِ الالـه غداةَ قالـوا
أحمزةُ ذاكمُ الرجل القتيلُ

أُصيبَ المسلمون بـه جميعاً
هناك وقـد أصيب بـه الرسولُ

أبا يعلى لـك الأركانُ هُدَّتْ
وأنتَ الماجـدُ البر الوَصُـولُ

عليك سـلامُ ربِـك في جنانٍ
مخالِطُها نعيـمٌ لا يـزولُ

أما شعر قريش ، فكان فخرا ببطولة ، وزهوا بانتصار ، وشماتة بقتلى المسلمين ، وادراكا بثأر ، وهو على صورته الجاهلية التي لم يمسسها أثر من دين أو عزة بعبادة .

بهذه الحال صورت أحداث أحد ، وظهر المعنى الاسلامي لمسات خفيفة وترديدا لمعان وتراكيب قرآنية عند حسان بن ثابت ، ثم ضرب من الفهم لطبيعة الدين عند كعب بن مالك ، ظهرت في براعته بتوجيه النصر وتفسيره ، فقد فاز المسلمون بالشهادة ، وأكرموا بالنعيم الذي لا يزول ، ولم تكن المحنة التي واجهها المؤمنون ، لتفل من العزم ، وتقعد بالهمم .

ولكن مع كل ذلك التوفيق الذي حالف كعبا وحسانا في تناول المعاني الاسلامية ، لم يستطع الشعراء أن يفيدوا الافادة التامة من آيات الله الستين من سوره آل عمران ، في وصف أحداث أحد ، ومصـاب المسلمين ،

---

(١) السيرة ق٢ ص١٦٢ وتروى لكعب بن مالك أيضا على ما ذكر ابن هشام . وأبو يعلى : كنية حمزة بن عبدالمطلب .

وتكبيت القرآن للذين شاقوا الله ورسوله . قال تعالى[1] : « واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » قيل : وهاتان الطائفتان من المسلمين هما بنو سلمة بن جشم من الخزرج ، وبنو حارثة بن النبيت من الاوس ، وهما الجناحان[2] . « والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » وقد حث سبحانه المؤمنين على طاعة الرسول ، وعاتبهم على خلافهم ومعصيتهم في ذلك اليوم : « وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » وقد ذكر سبحانه المصيبة التي نزلت بالمؤمنين ، والبلاء الذي أصابهم ، فقال تعالى تعزية وتسلية لهم ، وتذكيرا بما حباهم يوم بدر : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ، ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ

---

(١) آل عمران آية ١٢١ـ١٨٠ .

(٢) السيرة ق٢ ص١٠٦ وتفسير البيضاوي ص٧٧ ط٢ مصر سنة ١٩٢٥م .

منكم شُهَداءَ والله لا يُحبُّ الظالمين وليُمحِّصَ الله الذين آمنوا ويَمحقَ الكافرين ، أمْ حَسِبتم أنْ تَدْخُلوا الجنَّةَ ولما يَعلمِ الله الذينَ جاهَدوا منكم ويعلَم الصابرين ».وقال تعالى يعظ الذين تخاذلوا حين ظنوا أن الرسول قد مات ، وما موت الرسول الا بأمر الله ، يتوفاه كما توفى الرسل من قبل : « وما محمدٌ الا رسولٌ قد خلت من قبلِهِ الرُسُلُ أفإنْ ماتَ أو قُتِلَ انقلبْتُمْ على أعقابِكم ومن ينقلبْ على عَقبيهِ فلن يَضُرَّ الله شيئا وسَيجزي اللهُ الشاكرينَ ، وما كانَ لنفسٍ أن تَموتَ الا باذنِ اللهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً » وقد أكرم الله سبحانه الشهداء بالحياة والرزق ورضوانه ، وقد رغَّب المؤمنين بالجهاد ونيل الشهادة والأجر ، فقال تعالى : « ولا تَحسَبَنَّ الذين قُتِلوا في سبيلِ اللهِ أمواتاً بَلْ أحياءٌ عند ربِّهم يُرْزقونَ فَرِحينَ بما آتاهُم اللهُ من فَضلهِ ويَستبشِرونَ بالذين لم يَلحَقُوا بهم من خَلفِهم ألاَّ خوْفٌ عليهم ولا هم يَحزنون يَسْتَبْشِرونَ بنعمةٍ من اللهِ وفضلٍ وانَّ اللهَ لا يُضيعُ أجرَ المؤمنين ».

فالآيات القرآنية ـ في هذا اليوم ـ قد تناولت كل ظروف المعركة وملابساتها ، دقائقها وتفصيلاتها ، فقد بينت هذه الآيات أسباب الهزيمة ، وعينت في الوقت ذاته طريق النصر ، وعاتبت المسلمين ، وعنفتهم حينا ثم التمست لهم العذر في حين آخر ، كشف أمر المؤمنين فجعلتهم على بينة ، وفضحت المنافقين ، وأشارت الى مكائدهم وألاعيبهم . وصفت القتال وبينت هول المعركة وفزع الناس ، ثم مسحت على قلوب المؤمنين بالطمأنينة

والامن ، وبينت أجر الشهداء ومقامهم في النعيم الخالد ، وتعمهم بفضل الله ورضوانه ٠

أما الشعر ، فلم يتطرق لامر مما تطرقت اليه الآيات القرآنية ، فقد كان يحوم في أفق ضيق وحيز محدود ، وذلك هو مجال نشاطه وقدرته ، وقد تمثل في الفخر والهجاء والمناقضة والرثاء ٠ ونحن لا نريد من الشعر أن يبلغ المبلغ الذي بلغته الآيات القرآنية من التصوير الشامل والصياغة الرائعة ، ففي ذلك تعجيز وارهاق للشعر والشعراء ، ولكننا كنا نطمح أن يفيد الشعر من نهج الآيات في تناول أمر الناس ، ومعالجة المحنة ٠

٣ ـ الخندق وقريظة :

ان حصار الخندق كان سببا في اجلاء قريظة والقضاء على الشر المجاور ، وذلك أن نفرا من اليهود من بني النضير ومن بني وائل ، كانوا قد حزبوا الاحزاب وسعوا في تحريض قريش وغطفان على حرب الرسول والقضاء على المسلمين ، وقد زينوا لقريش قوتهم ومؤازرتهم ، وان دينهم خير من دين محمد[١] ٠

وقد نقضت قريظة عهدها مع الرسول وخرجت عليه ٠ وكان نصيب الاحزاب من ذلك الفشل والخذلان ، وكان نصيب قريظة القتل والاذلال[٢]

(١) السيرة ق٢ ص٢١٤ وقد قيل أن نفرا من يهود الذين حزبوا الاحزاب على المؤمنين قالوا لقريش : انا سنكون معكم على محمد حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، انكم أهل الكتاب الاول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم « أي الاوثان » وأنتم أولى بالحق منه ٠ وقد جاء في هؤلاء قوله تعالى : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا » النساء ٥١ـ٥٢ ٠

(٢) انظر تفصيل ذلك في السيرة ق٢ ص٢٣٣ـ٢٥٤ ٠

وقد قيل في الخندق وقريظة شعر كثير ، وتراد الشعراء من الطائفتين ، فقال ضرار بن الخطاب يذكر قومه وبلاءهم ، ويصف يوم الخندق[1] :

ومشفقةٍ تظنُّ بنا الظنونا
وقد قُدْنا عرندسةً طحونا

يقول يصف الحصار ويهجو المسلمين :

كأنهمُ اذا صالوا وصلْنَا
بباب الخندقين مُصافحونا

أناسٌ لا نرى فيهم رشيداً
وقد قالوا ألسْنَا راشدينا

فأحجرناهمُ شهراً كريتاً
وكنا فوقهم كالقاهرينا

نُراوِحُهم ونغدو كلَّ يومٍ
عليهم في السلاح مُدجَّجينا

• • •

فلولا خندقٌ كانوا لديه
لَدمَّرنا عليهم أجمعينا

ولكن حالَ دونهمُ وكانوا
به من خوفنا مُتعوِّذينا

فأجابه كعب بن مالك يفند زعمه ويرد دعواه[2] :

وسائلةٍ تُسائلُ ما لقينَا
ولو شَهدتْ رأتنا صابرينا

(١) المصدر السابق ص٢٥٥ • العرندسة : الكتيبة القوية الشديدة • شهرا كريتا : كاملا •
(٢) المصدر السابق ص٢٥٦ •

صَبَرْنا لا نرى لِلّه عَدْلاً
على ما نابَنا مُتوكّلينا

وكان لنا النبيُّ وزيرَ صدقٍ
به نعلو البريةَ أجمعينا

نُقاتِلُ معشراً ظلموا وعقّوا
وكانوا بالعَداوةِ مُرْصِدينا

ثم يذكر نصرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ايمانهم وتوكلهم على الله وتوحيده ، ويبدو أثر سورة الاحزاب في هذه القصيدة واضحا جليا قال :

لِننصر أحمدا واللهَ حتى
نكونَ عبادَ صدقٍ مخلصينا

ويعلمَ أهلُ مكةَ حين ساروا
وأحزابٌ أتَوْا مُتَحزّبينا

بأنّ اللهَ ليس له شريكٌ
وأنّ اللهَ مولى المؤمنينا

ويقول حسان بن ثابت قصيدته التي مطلعها[1] :

هل رسمُ دارسةِ المقام يبابِ
مُتَكلّمٌ لِمُحاوِرٍ بِجوابِ

ان الذين جاءوا لقتال رسول الله ، وانتهاب الغنائم ، قد رد الله كيدهم وأرسل عليهم جنودا لم يروها ، وريحا عاصفة فرقت جمعهم ، والصورة مقتبسة من سورة الاحزاب ، أما البيت الاخير فيها فكأنه منقول

(١) ديوان حسان ص١١ـ١٣ والسيرة ق٢ ص٢٥٩ .

نقلا من قوله تعالى : « وكَفى اللهُ المؤمنينَ القتالَ »[1] :

حتى اذا وَرَدوا المدينةَ وارتجَوْا
قتــلَ النبيِّ ومغنمَ الأســلابِ

وغَدوا علينا قادرينَ بأيدهــم
رُدُّوا بغيظِهمُ علــى الأعقابِ

بهبُوبِ مُعصِفةٍ تُفرِّقُ جمعَهــم
وجُنودِ ربِّكَ سيِّدِ الأربابِ

وكفى الالهُ المؤمنينَ قتالَهــم
وأثابَهم في الأجرِ خيرَ ثوابِ

وقد مر في الفصول السابقة شعر قيل في الخندق ، يظهر فيه أثـر القرآن الكريم ، فلكعب شعر ضمنه المعاني القرآنية ، والكلمات الدينيـة ، من مثل : التقوى ، والرحمن ، والكفر والضلال ، وربط الخيل في سبيل الله ، وذكر الله بأنه سميع شهيد ، عليم خبير ، وأمره فوق كل ما يقدر الناس . نجد كل ذلك في شعره يوم الخندق في قصيدته التي مطلعها[2] :

أبقى لنا حدثُ الحـروبِ بقيـةً
من خيرِ نِحلـــةَ ربِّنا الوهّابِ

وفي قطعته التي أولها [3] :

لقــد علم الاحزابُ حيــن تألَّبوا
علينـــا وراموا دينَنـــا ما نوادِعُ

ولحسان بن ثابت مقطوعات في بني قريظة ، يقرعهم ويعيرهم عـلى

---

(١) سورة الاحزاب آيه ٢٥ .
(٢) السيرة ق٢ ص٢٥٩-٢٦١ . النحلة : العطاء .
(٣) السيرة ق٢ ص٢٦٣ .

ما أصابهم من ذل وقتل ، وانهم قوم ضلوا وبغوا ، وكفـــروا بالقرآن ، وجحدوا النبوة ، ونصروا المشركين ، قال[1] :

تفاقــدَ معشرٌ نصــروا قريشــاً
وليس لهــم ببلدتِهم نصــيرُ

هــمُ أوتــوا الـكتابَ فضيّعوهُ
فهــم عُمْيٌ من التوارةِ بــورُ

كفرتــم بالقُرآنِ وقـــد أتيتــم
بتصديقِ الذي قــال النذيــرُ

وهـــانَ على ســراةِ بني لــؤيٍ
حريــقٌ بالبويــرةِ مستطيرُ

هذا ــ وعلى هـــذا المنوال ــ ما تعرض له الشعر ، من معنى ديني وتصوير لاحداث الخندق وقريظة • وأما ما جاء من آيات اللـــه ، فان سورة الاحزاب قد تناولت هذه الاحداث ، فصورتها أحسن تصوير ، قال تعالى يذكر المؤمنين بالفضل والنعمة ودفع البلاء[2] : « يا أيُها الذين آمنوا اذكُروا نعمةَ اللهِ عليكم اذْ جاءتكم جنودٌ فأرســلنا عليهــم ريحــاً وجُنوداً لم ترَوْها وكانَ اللهُ بما تعملونَ بصيرا اذ جاءوكم من فوقِكم ومن أسفلَ منكم واذ زاغَتِ الأبصارُ وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ وتظنونَ باللهِ الظُنُونا » فالذين جاءوهم من فوقهم : بنو قريظة ، والذين من أسفل

(١) الديوان ص١٩٤ والسيرة ق٢ ص٢٧٢ • البويرة : موضع بني قريظة •

(٢) الاحزاب آية ٩ـ٢٧ والسيرة ق٢ ص٢٤٥ـ٢٥٠ •

منهم : قريش وغطفان(١) وقد ذكر الله سبحانه ما أصاب المؤمنين من الخوف ، وما دبر المنافقون من كيد : « هُنالكَ ابتُلي المؤمنون وزُلزلُوا زِلزالا شديدا ، واذ يقولُ المنافقونَ والذين في قلوبِهم مرضٌ ما وعدَنا اللهُ ورسولُه الا غُرورا ، واذْ قالت طائفةٌ منهم يا أهلَ يثربَ لا مُقامَ لكم فارجِعوا ويستأذِنُ فريقٌ منهم النبيَّ يقولون انَّ بُيوتَنا عَوْرَةٌ وما هي بعورةٍ ان يُريدونَ الاَ فِراراً » . وقد فضح سبحانه المنافقين ، وكشف أعمالهم ، قال : « قد يعلمُ اللهُ المُعوِّقينَ منكم والقائِلينَ لاخوانِهم هَلُمَّ الينا ولا يأتونَ البأسَ الا قليلا ، أشِحَّةً عليكم فاذا جاء الخوفُ رأيتَهُم ينظرونَ اليك تدورُ أعينُهم كالذي يُغْشَى عليه من الموتِ فاذا ذهبَ الخوفُ سلقوكُمْ بألسنةٍ حِدادٍ أشِحَّةً على الخيرِ أولئكَ لم يؤمنوا فأحبَطَ اللهُ أعمالهم وكان ذلك على اللهِ يسيرا » . ثم أقبل سبحانه على المؤمنين يثبت قلوبهم ويذكر صبرهم : « لقد كانَ لكُم في رسولِ اللهِ أُسوةٌ حسَنَةٌ لمن كانَ يَرجُو اللهَ واليومَ الآخِرَ وذكرَ اللهَ كثيرا ولمَّا رأى المؤمنون الأحزابَ قالوا هذا ما وعدَنا اللهُ ورسولُه وصَدَقَ اللهُ ورسولُهُ وما زادَهم الا ايماناً وتسليماً ، من المؤمنينَ رجالٌ صدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عليهِ فمنهُمْ من قضَى نَحْبَهُ ومنهمْ من ينتَظِرُ وما بَدَّلوا تبديلا ليجزيَ اللهُ الصادقينَ بصدقِهم ويُعذِّبَ المنافقين ان

---

(١) السيرة ق٢ ص٢٤٥ .

شاءَ أو يتوبَ عليهم ان اللهَ كان غفورا رحيماً ، ورَدَّ اللهُ الذين كفروا بغَيْظِهِم لم ينَالوا خَيْرا وكَفى اللهُ المؤمنينَ القتالَ وكانَ اللهُ قوياً عزيزا » • وذكر سبحانه قريظة وما أصابهم من الذل والقتل جزاء وفاقا لخيانتهم : « وأنزلَ الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذفَ في قلوبِهِم الرُعْبَ فريقاً تقتُلونَ وتأسِرُونَ فريقاً وأورثكم أرضَهُم وديارَهم وأموالَهُمْ وأرضاً لم تطأوُهَا وكانَ اللهُ على كلِ شيءٍ قديرا » •

لقد تناولت الآيات الكريمة كل صغيرة وكبيرة من أمر الاحزاب ، والمنافقين ، والمؤمنين ، أما الشعر فلم يتناول الا مجابهة الخصوم ، وذكر بسالة المؤمنين واخلاصهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم • أما ما كان من أمر المنافقين ونكوصهم وزيغ قلوبهم ، وما كان من حال الناس ومبلغ الخوف منهم ، فلم يتعرض الشعر لشيء من ذلك •

٤ ــ الفتح :

لقد كان المسوغ لفتح مكة ومسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها فاتحا منتصرا ، نقض قريش وبني بكر العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بما استحلوا من خزاعة ، فقد كانت في عقد الرسول وعهده ، فخرج عمرو بن سالم الخزاعي ، فورد المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشده مستنجدا ومستعينا ، وذاكرا اسلامهم وثباتهم على الدين ، وعدوان القوم عليهم[١] :

(١) السيرة ق٢ ص٣٩٤ـ٣٩٥ وتفصيل الخبر في امتاع الاسماع ج١ ص٣٥٧ وما بعدها ، والكامل ــ ابن الاثير ج٢ ص٩١ • الاتلد : القديم العريق • النصر الاعتد : الحاضر السريع ومنه العتيد : الحاضر • الولد (بالضم) بمعنى الولد (بالفتح) • الوتير : اسم ماء لخزاعة بأسفل مكة • الهجد : النيام هنا ، وتعني المستيقظين أيضا والكلمة من الاضداد •

يا رب اني ناشدٌ محمدا
حِلْفَ أبينا وأبيهِ الاتلدا

قد كنتم وُلْدًا وكنا والدا
ثُمَّتَ أسلمنا فلم ننزعْ يدا

فانصرْ هداكَ اللهُ نصرا اعتدا
وادعُ عبادَ اللهِ يأتوا مددا

الى أن يقول ذاكرا تمسكهم بالاسلام :

هم بيّتونا بالوتيرِ هُجَّدا
وقتلونا رُكَّعاً وسُجَّدا

وقد كان الفتح ... وقيل في ذلك شعر ، وأهم وأجود ذلك الشعر همزية حسان بن ثابت[1] :

عَفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجِواءُ
الى عَذْراءَ منزلُها خَلاءُ

وهي قصيدة من خير قصائد حسان التي قالها في الاسلام ، وقد بدأها بذكر مواضع جاهلية شامية ، وفيها أبيات في ذكر الخمر ، وهذا ما يلفت النظر ويثير التساؤل ، فما بال حسان يعود لذكريات الجاهلية ، وما باله يتغنى ويحن الى الخمرة التي حرمها الاسلام ؟ وكل ذلك في يوم انتصار الاسلام ، في يوم له جلاله الديني ، يبدو[2] أن المطلع ووصف الخمرة

(١) السيرة ق٢ ص٤٢١-٤٢٤ ، وديوان حسان ص١-١٠ . عذراء : قرية قرب الشام . وذات الاصابع والجواء : مواضع مر ذكرها .

(٢) لقد رجح هذا الفرض السهيلي « الروض الانف جـ٢ ص٢٨١» من القدماء والاستاذ خلف‌الله من المحدثين « دراسات في الادب الاسلامي ص ٥٧ » .

كان مما قاله حسان في الجاهلية ، ثم نظم في الفتح قصيدته التي تبـــدأ بقولـــه :

عَدِمنا خيلَنا ان لــم ترَوْهَــا

تُثيرُ النقعَ موعِدُها كَــداءُ

ثم رأى الرواة اتفاق القصيدتين في البحر والقافية ، فظنوهما واحدة مرويت بالشكل الذي أثبت في ديوانه ، ومما يرجح هذا الفرض ما روي : أن حسانا مر بفتية يشربون الخمر في الاسلام فنهاهم فقالوا : « والله لقد أردنا تركها فيزينها لنا قولك :

وشربُنها فتركُنــا ملوكاً

وأُسـدا ما يُنَهْنِهُنَــا اللقــاءُ »

فقال : « والله لقد قلتها في الجاهلية ، وما شربتها منذ أسلمت » .

ويعقب السهيلي على هذا بقوله : « وكذلك قيل : ان بعض هـــذه القصيدة قالها في الجاهلية ، وقال آخرها في الاسلام »[1] .

وقد وفق حسان كل التوفيق في تصوير قوة المسلمين وعزتهم ، ونصر الله لهم ، وتأييد روح القدس ، ثم اذا ذكر قومه أبرز فيهم المحامـــد الاسلامية ، فهم جنود الله ، الذين لهم في كل يوم جهاد بالسيف أو جهاد باللسان ، وفي كليهما يظهرون على أعداء الله ، قال :

يُنازعنَ الأعنّةَ مُصغِيــاتٍ
على أكتافهــا الأســلُ الظِمــاءُ

تَظَلّ جيــادُنا متمطــراتٍ
يُلَطمهن بالخُمُرِ النســاءُ

(١) الروض الانف جـ٢ ص٢٨١ .

فاما تُعرِضوا عنا اعتَمرنا
وكان الفتحُ وانكشف الغطاءُ

والا فاصبروا لجلاد يومٍ
يُعينُ الله فيه من يشاءُ

وجبريل رسول الله فينا
وروح القدس ليس له كِفاءُ

وقال الله قد أرسلت عبداً
يقول الحق ان نفعَ البلاءُ

شهدت به فقوموا صدقوه
فقلتم لا نقوم ولا نشاءُ

وقال الله قد سيَّرتُ جنداً
هم الأنصار عرضتُها اللقاءُ

لنا في كل يوم من معَدّ
سباب أو قتال أو هجاءُ

نُحكمُ بالقوافي من هجانا
ونضرِبُ حين تختلط الدماءُ

ثم يتناول أبا سفيان بالهجاء ، لانه ـ أبا سفيان ـ تطاول وهجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن كُفءً له ، فدفعه بحجة بالغة ، فاذا أراد حسان أن يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تخير له الوصف الصادق ، الذي يناسب جلال النبوة ، فسماه « مباركا ، برا ، حنيفا ، أمين الله ، شيمته الوفاء » قال :

ألا أبلغ أبا سفيان عني
مغلغلةً فقد برح الخفاءُ

بأن سيوفنا تركتكَ عبداً
وعبدُ الدار سادتُها الاماءُ

هجوتَ محمداً وأجبتُ عنه
وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولستَ له بكُفءٍ
فشرُّكما لخيركما الفِداءُ

هجوتَ مباركاً براً حنيفاً
أمين الله شيمته الوفاءُ

أمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحُه وينصُره سواءُ ؟

فان أبي ووالدَه وعِرضي
لِعرضِ محمدٍ منكم وِقاءُ

ويختتم القصيدة بالفخر بنفسه ، فيذكر عزته ومنعته وقوة بيانه :

لساني صارمٌ لا عيبَ فيه
وبحري لا تكدره الدِلاءُ

والملاحظ أن الشعر الذي قيل في الفتح قليل ، وان أثر الدين ـ اذا استثنينا هذه القصيدة ـ فيه قليل ضئيل ، ولعل سبب ذلك أن التحدي الذي كانوا يجدونه من شعراء قريش ، قد انتفى في هذه المناسبة ،هذا من ناحية ، أما الناحية الاخرى ، فانشغال المسلمين بحروب متتابعة : الفتح ثم حنين ، ثم الطائف ثم ذات السلاسل ، وكلها في عام واحد . أما حسان المتفرغ الذي لم يشهد الحرب ، فقد أتيح له أن يقول ويطيل ، ويجود في القول .

٥ ـ حنين والطائف :

أما في حنين ، فأكثر ما قيل من الشعر للعباس بن مرداس الذي أسلم قبيل فتح مكة بقليل ، وأكثر شعره فخر بنصر بني سليم (قومه) لرسول الله حين واعده في قديد[١] • وعلى الرغم من حداثة اسلام العباس، فان أثر الاسلام في شعره واضح متميز ، ويمتزج في شعره المعنى الجاهلي بالمعنى الاسلامي ، فحين يمتدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبين أن دعوته هي الحق من عند الله ، وانه المنتصر الظاهر على المشركين ، لا ينسى أن يقرن نصر الرسول بمعونة قومه ونصرتهم ، قال[٢] :

يا خاتم النُبَئاء انك مرسل
بالحق كل هدى السبيل هُداكا

ان الالهَ بنى عليك محبةً
في خلقه ومحمداً سمَّاكا

ثم الذين وفوا بما عاهدتَهم
جُندٌ بعثتَ عليهم الضَّحاكا

وقال من قصيدة يذكر فيها الهدى والضلال ، والايمان بقدر الله وقضائه[٣] :

ويوم حنين حين سارت هوازن
الينا وضاقت بالنفوس الأضالعُ

---

(١) الاغاني جـ١٤ ص٣٥ـ٣٦ ط الدار ، والطبقات الكبير ـ ابن سعد ق١ جـ٧ ص٢١ • وقديد : موضع قرب مكة •

(٢) السيرة ق٢ ص٤٦١ • الضحاك : بن سفيان الكلابي قائد بني سليم في يوم الفتح •

(٣) السيرة ق٢ ص٤٦٤ • خذروف السحابة : طرفها ، أي سرعة تحرك هذا اللواء واضطرابه • معتص : ضارب ، يقال : اعتصوا بالسيوف اذا ضاربوا بها • كانع : دان ، كنع الموت ، أي دنا • حمه الله : قدره •

صبرنا مع الضَّحاكِ لا يستفزنا

قراع الأعادي منهم والوقائعُ

أمامَ رسولُ الله يخفق فوقَنا

لواءٌ كخذروف السحابة لامع

عشيةَ ضحاكُ بنُ سفيانَ معتصٍ

بسيفِ رسولِ الله والموتُ كانعُ

نذود أخانا عن أخينا ولو نرى

مَصالا لكُنا الأقربين نتابعُ(1)

ولكن دينَ الله دينُ محمد

رَضينا به فيه الهدى والشرائع

أقامَ به بعدَ الضَلالةِ أمرنا

وليس لأمر حمَّةُ اللهُ دافعُ

وأكثر شعر حنين على هذا النمط ، قصائد في الفخر وذكر الحرب والصبر وحسن البلاء ، ثم فيها بيت أو بيتان في ذكر الدين أو مدح الرسول .

وأما في غزوة الطائف فلكعب بن مالك ـ الذي سكت خلال الفتح وحنين ـ قصيدة قالها حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف يريد فتحها ، والقصيدة من قصائد كعب الاسلامية المهمة ، فقد كانت سببا

(1) يريد ب « نذود أخانا عن أخينا » أنه من بني سليم ، وسليم من قيس كما أن هوازن من قيس ، كلاهما ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس . ومعنى البيت : اننا نقاتل اخوتنا هوازن ونذودهم عن اخوتنا من سليم ولو نرى في حكم الدين مصالا وتطاولا على الناس لكنا مع الاقربين هوازن .

في دفع دوس الى الاسلام ، وذلك فرقا من قوله[1] :

قضينـــا من تهـــامة كـــل ريـــب
وخيبرَ ثـــم أجممنـــا السيوفا

نُخيِّرهـــا ولو نطقت لقالـــت
قواطعهـــن : دوســـاً أو ثقيفـــا

وقد جود كعب في هذه القصيدة ، فبين زحف المسلمين يقودهم نبي الله الجريء الصلب الرشيد ، ويصفه بخصاله وسجاياه ، ويذكر طاعـــة المسلمين والتفافهم حوله ، ثم ينصرف الى المشركين مهددا ومقرعا تارة ، وداعيا الى الاسلام تارة أخرى :

وأنَّـــا قـــد أتيناهـــم بزحفٍ
يُحيط بسور حصنهم صفوفـــا

رئيسهم النبي وكـــان صُلبـــا
نقي القلـــب مصطبـــراً عزوفا

رشيدُ الأمر ذو حـــكمٍ وعلمٍ
وحلمٍ لـــم يكن نَزِقـــاً خفيفـــا

نُطيـــعُ نَبيَّنا ونطيـــعُ ربَّـــاً
هو الرحمن كـــان بنـــا رؤوفـــا

ويستقبل المشركين نيعرض عليهم :

فان تُلقوا الينـــا السَّـــلمَ نقبـــلْ
ونجعلـــكم لنـــا عَضُداً وريفـــا

(١) السيرة ق٢ ص٤٧٩-٤٨٠ .

وان تأبوا نجاهدكم ونصبر
ولا يكُ أمرُنا رَعِشا ضعيفا

نُجالِدُ ما بقينا أو تُنيبوا
الى الاسلام اذعانا مضيفا

نجاهد لا نبالي من لقينا
أأهلكنا التِلادَ أم الطريفا

ويبين كعب وجهة المسلمين في القتال ، انها في سبيل الله ، كي يستقيم أمر الدين ، ويُقضى على معالم الشرك والوثنية :

لأمرِ اللهِ والاسلامِ حتى
يقومَ الدينُ معتدلا حنيفا

وتنسى اللاتُ والعزى ووَدٌ
ونسلبها القلائد والشنوفا

فأمسَوْا قد أقروا واطمأنوا
ومن لا يمتنع يقبل خُسوفا

وفي هذا اليوم قال شداد بن عارض الجشمي ، أبياتا فيها دعوة الى الايمان ونبذ الشرك والوثنية ، قال[1] :

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها
وكيف ينصر من هو ليس ينتصر
ان التي حُرِّقتْ بالسُدِّ فاشتعلت
ولم يقاتل لدى أحجارها هدر
ان الرسول متى ينزل بلادكم
يظعن وليس بها من أهلها بشر

(١) السيرة ق٢ ص٤٨١–٤٨٢ .

٦ ـ شعر الوفود :

بعد أن أنعم الله على المسلمين بالنصر في الفتح ، والقضاء على المشركين في حنين والطائف ، بدأت أعراب الجزيرة تفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، معلنة اسلامها وولاءها ، وذلك في السنة التاسعة للهجرة • وقد قيل خلال ذلك شعر ، وان لم يكن بكثير ، الا أن في بعض منه اشارات ولمحات دينية ، ومديحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاعتذار اليه •

ونستطيع أن ندرج هنا شعر كعب بن زهير الذي قاله عند اسلامه ، في مديح رسول الله وطلب العفو منه والصفح عنه ، وقد اشتهرت في هذا قصيدته اللامية والتي عرفت بالبردة[١] :

بانت سعاد فقلبي اليوم مَتْبُولُ
مُتَيَّمٌ اثْرَها لم يُفْدَ مكبولُ

وكذلك الشعر الذي قاله في مديح الانصار[٢] :

من سرَّهُ كرمُ الحياة فلا يزلْ
في مِقْنَبٍ من صالحي الأنصار

وقد مر بنا كل ذلك[٣] •

وقد وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود القبائل ، فمنها من أسلم وحسن اسلامه ، ومنها من جادل ونافق ، ومنها من ارتد ، وقد كان أهم تلك الوفود وفد تميم ، وكان فيهم من أشرافهم عطارد بن حاجب ابن زراره ، والاقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وعمرو بن الاهتم ،

---

(١) ديوان كعب بن زهير ص٣ـ١٤ ، والسيرة ق٢ ص٥٠٣ـ٥١٣
(٢) ديوان كعب ص١٦ـ٢٥ والسيرة ق٢ ص٥١٤ ، وينظر الكامل ـ ابن الاثير ج٢ ص١٠٤ـ١٠٥ •
(٣) مر ذلك في ترجمة كعب بن زهير

والحبحاب بن يزيد ، وقد طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن لخطيبهم وشاعرهم في القول ، فأذن الرسول ، فتكلم خطيبهم عطارد ابن حاجب ، فحمد الله وافتخر بقومه ، فأمر رسول الله ثابت بن قيس ابن الشماس من الخزرج أن يجيبه ، فأجابه بكلام عذب فيه ايمان وورع. ثم أنشد شاعرهم الزبرقان بن بدر مفتخرا[1] :

نحن الكرامُ فلا حيٌ يعادلنا
منا الملوكُ وفينا تنصبُ البيعُ

وكم قسرنا من الأحياءِ كلهمُ
عند النهابِ وفضلُ العزّ يتبعُ

... الخ

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شاعره حسان بن ثابت أن يجيب شاعر القوم ، فأجابه بقصيدته المشهورة[2] :

ان الذوائبَ من فهرٍ واخوتهم
قد بينوا سنةً للناس تتبعُ

يرضى بها كلُ من كانت سريرتُه
تقوى الالهِ وبالامرِ الذي شرعوا

قومٌ اذا حاربوا ضروا عدوهمُ
أو حاولوا النفعَ في أشياعِهم نفعوا

(١) السيرة ق٢ ص ٥٦٣ ، وامتاع الاسماع ـ المقريزي جـ١ ص ٤٣٤ـ٤٣٨ . ابن الاثير ـ الكامل جـ٢ ص ١١٠ـ١١١ . والبيع : مواضع الصلوات والعبادات واحدها بيعة (بكسر الباء) .

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص ٢٤٨ـ٢٥١ . والسيرة ق٢ ص ص ٥٦٤ـ٤٦٥ الذوائب : السادة ، واصله من ذوائب المرأة وهي غدائرها التي تعلو الرأس . صنع : يجيد القول ويحسنه . شمعوا : هزلوا . واصل الشمع : اللهو والطرب ، وجارية شموع كثيرة الطرب .

سجيةٌ تلك منهم غيرُ مُحدثـــةٍ
ان الخلائقَ فاعلمْ شـرهـا البِدعُ

حتى يقول بعد فخر بالاحساب والمكرمات :

أكرمْ بقومٍ رسولُ اللـهِ شيعتُهم
اذا تفـرقتِ الاهـواءُ والشـيعُ

أهدى لهـم مدحِي قلبٌ يؤازرُه
فيما يُحبُ لسانٌ حائكٌ صنَـعُ

فانّهم أفضـلُ الاحيـاءِ كلهـمُ
أن جدّ بالناسِ جدُّ القولِ أو شمعُوا

وقال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم ، أن الزبرقان بن بدر لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في وفد بني تميم قام فقال : (١)

أتيناكَ كيما يعـلمَ الناسُ فضلَنَـا
اذا احتفلوا عنـد احتضارِ المواسِم

بأنّا فروعُ الناسِ في كلّ موطـنٍ
وأنْ ليس في أرضِ الحِجاز كدارمِ

وأنا نـذودُ المعلمـين اذا انتخَوا
ونضـربُ رأسَ الاصيـدِ المتفاقِمِ

---

(١) السيرة ق٢ ص ٥٦٥-٥٦٦ • المواسم : مواضع اجتماع الناس في اوقات معينة من السنة ، كاجتماعهم في الحج وفي عكاظ • دارم : من بني تميم • المعلمون : الذين يعلمون انفسهم في الحرب بعلامة يعرفون بها• انتخوا : من النخوة وهي الاعجاب والتكبر • الاصيد : المتكبر ، الذي لايلوى عنقه يمينا ولا شمالا • المتفاقم : المتعاظم والمشتد • المرباع : أخذ الربع من الغنيمة وهي للرئيس •

وأنَّ لنا المرباعَ في كـــلِّ غـــارةٍ
نُغيرُ بنجدٍ او بأرضِ الاعاجـــمِ

فنهض حسان فأجابه بنقيضة : (١)

هل المجدُ الا السؤدد العودُ والندى
وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظـــائمِ
نَصـــرنا وآوينـا النبيَّ محمـــداً
على أنفِ راضٍ من معدٍ وراغـــمِ

الى أن يدعوهم الى الاسلام وترك الشرك والوثنية فيقول :

فان كنتمُ جئتمْ لحقـنِ دمائِكـــم
وأموالِكم أنْ تقْسموا في المقاسِـمِ
فلا تَجعلوا للـــهِ نِدا وأســـلموا
ولا تلبسُوا زيّاً كـزيِ الاعاجـمِ

وتقاطرت الوفود الى المدينة لتدخل في دين الله ، ولم تكن الوفــود كلها لتقول الشعر ، بيد أن في خبر بعضها شعراً ، فمنه ما فيه روح ديني أو ذكر لرسول الله ، ومنه ما يكون شعرا جاهليا لم يمسسه أثر الدين ، ويعنينا هنا الضرب الاول من ذلك الشعر ، فمنه بيتان لفروة بن مســيك المرادي ، الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفــارقا لملــوك كندة ، قال : (٢)

---

(١) الديوان ص ٣٨٣-٣٨٤ • والسيرة ق٢ ص ٥٦٦ • السؤدد العود : المجد الذى يتكرر مع الزمان •

(٢) الســيرة ق٢ ص ٥٨٢ • عرق النسا : عـــرق مستبطن في الفخـــذ •

لما رأيتُ ملوكَ كنـدةَ أعرضتْ

كالرجلِ خانَ الرجلَ عِرقُ نسائِها

قربتُ راحلتـي أؤمُّ محمـداً

أرجو فواضلهُ وحسنَ ثنائِهـا[1]

ومن الطبيعي أن لا ينتظر من شعراء الوفود الفهم الواضح لطبيعـة الدين ، بل الصفة الغالبة هي العصبية الجاهليـة ، كما تظهر هـذه الروح الجاهلية العصبية في رجز وفد همدان[2] :

همدانُ خيـرٌ سُوقةً وأقيـالْ

ليس لهـا في العالمـينَ أمثـالْ

مَحلهـا الهضبُ ومنهـا الابطـالْ

لهـا اطـاباتٌ بهـا وآكـالْ

وحين أسلم وفد همدان ، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتابا ، قال مالك بن نمط في مديح رسول الله :[3]

ذكرتُ رسولَ اللهِ في فحمةِ الدجى

ونحنُ بأعلى رحرحانَ وصلـددِ

الى أن يقول وفيه يظهر صدق ايمانه وحسن اسلامه :

---

(١) في رواية ابن اسحق (أرجو فواضلها وحسن ثرائها) والتصحيح من ابن هشام برواية أبي عبيدة .

(٢) السيرة ق٢ ص٥٩٧ . السوقة : دون الملـوك من الناس . الاقيال : ج قيل ، دون الملك الاكبر . الاطابات : الاموال الطيبة . الآكال : ما يأخذه الملك وظيفة في رعيته .

(٣) السيرة ق٢ ص ٥٩٨-٥٩٩ . رحرحان وصلدد : موضعان . الراقصات : الابل والرقص والرقصان : ضرب من السير فيه خفة وحركة . صوادر : رواجع . القردد : ما ارتفع من الارض .

حلفتُ بربِ الراقصاتِ الى منىً
صوادرَ بالركبانِ من هضب قرددِ

بأنَّ رسولَ اللهِ فينا مصدقٌ
رسولٌ أتى من عندِ ذي العرش مهتدي

فما حملتْ من ناقةٍ فوقَ رحلِها
أشدَّ على أعدائهِ من محمدِ

وأعطى اذا ما طالبُ العرفِ جاءهُ
وأمضى بحدِّ المشرفي المهندِ

ومما يضاف لهذا الشعر ابيات قالها فروة بن عمرو الجذامي ، وكان عاملا للروم على من يليهم من العرب بارض الشام ، وقد بعث فروة رسولا باسلامه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له بغلة بيضاء . فلما بلغ الروم اسلامه طلبوه فحبسوه عندهم ، فلما أجمعت الروم على صلبه على ماء لهم بفلسطين يقال له (عفراء) ، قال فروة يذكر صلبه ، ويصف الآلة التي صلب عليها : (١)

ألا هل أتى سلمى بأنَّ حليلها
على ماءِ عفرا فوقَ احدى الرواحلِ

على ناقةٍ لم يضربِ الفحلُ أمَّها
مشذبةٌ أطرافُها بالمناجلِ

وقد قال عند قتله يذكر ثباته على الاسلام في رواية الزهري بن شهاب : (٢)

بلغْ سراةَ المسلمينَ بأنني
سلمٌ لربي أعظمي ومقامي

(١) السيرة ق٢ ص ٥٩٢ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .

ثم ضربوا عنقه ، يرحمه الله .

ونختتم هذا القسم بشعر وفد هوازن ، الذين جاءوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمنن عليهم بسباياهم ، وكان الوفد أربعة عشر رجلا ، رأسهم أبو صرد زهير بن صرد الجشمي السهمي ، وقد أخبروا رسول الله باسلامهم واسلام من وراءهم من قومهم ، فقال أبو صرد بعد أن كلم الرسول واستعطفه : (١)

امنُنْ علينا رسولَ اللهِ في كرمٍ
فانَّكَ المرءُ نرجوهُ وندخرُ

امنن على نسوةٍ قد كنتَ ترضعُها
اذْ فوك يملأهُ من مخضِها الدررُ

امنُنْ على نسوةٍ اعتاقَها قدرٌ
ممزقٌ شملها في دهرها غيرُ

ابقتْ لنا الدهرَ هتافاً على حزنٍ
على قلوبِهم الغماءُ والغمَرُ

الاتِ اذ كنتَ طفلا كنتَ ترضعُها
واذْ يزينُك ما تأتى وما تذرُ

الاّ تداركها نعماءُ تنشرها
يا أرجحَ الناسِ حلماً حين يُختبرُ

وألبسْ العفوَ منْ قد كنتَ ترضعُه
من امّهاتكَ ان تعفو مشتهرُ

يا خيرَ من مرحتْ كمتُ الجيادِ به
عند الهياجِ اذا ما استوقدَ الشررُ

---

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٤٢٧-٤٢٨ ، وتاريخ الكامل جـ٢ ص ١٠٣ .

انّا نُوملُ عفوا منك تُلبسُه
هذى البريةَ اذ تعفو وتنتصرُ

فاعفُ عفا اللهُ عما أنت واهبُه
يومَ القيامةِ اذ يُهدى لك الظفرُ

انا لنشكرُ آلاءً وان قدُمتْ
وعندنا بعدَ هذا اليومِ مُدخَرُ

٧ ـ الشعر في بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم :

رأينا أن الشعر كان حافلا زاهيا زمن الرسول ، لان الاحداث الكبرى كانت تضرم نار الحماس في الصدور ، فتجيش بضروب العواطف، ويكون الشعر وسيلة التعبير الصادق عن تلك العواطف ، ويستمر الشعر زاهيا ما دام الخصام شديدا بين المسلمين والمشركين ، فاذا كان الفتح ودخلت قريش في دين الله طائعة أو كارهة ، سكت الشعر القرشي ، وفتر حماس الشعراء المسلمين ، فلم يعد أمامهم من يهاجيهم من أعداء الامس ، فنجد لذلك أن أكثر ما قيل بعد الفتح في حنين والطائف لشعراء جدد ، أهمهم العباس بن مرداس ، ولم يكن لحسان أو كعب بن مالك نصيب وافر من ذلك الشعر (١) .

فاذا كانت سنة تسع ، توافدت الوفود ، وقال بعضها الشعر ، وشعرها جاهلي شكلا ومضمونا ، وليس فيه من أثر الدين الا مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا ما اختار محمد جوار ربه ، وفقد المسلمون نبيهم بكى الشعر محمدا ، فدعا الشعراء قوافيهم لتعينهم على هول المصاب ، فعيت وجاءت مراثيهم فيه ـ الا القليل منها ـ ضئيلة الحظ من الجودة ، فقد

---

(١) أكثر شعر حنين في السيرة للعباس بن مرداس ، فله احدى عشرة قصيدة ولم يقل كعب ولا حسان خلا بيتين في هجاء كلدة ، السيرة ق٢ ص ٤٤٤ .

أفحم المصاب الشعراء وأعجزهم وأقعدهم عن اجادة الرثاء والتأبين • وقال حسان يبكي رسول الله ويصفه بصفاته ، ويذكر حاله وفقره بعده ، ثم يصف نساء النبي وبؤسهن وحزنهن [1] :

تالله ما حملتْ أُنثى ولا وضعتْ
مثلَ الرسولِ نبيِّ الامةِ الهادي

ولا برَا اللهُ خلقاً من بريتِه
أوفى بذمةِ جارٍ أو بميعادِ

منَ الذي كان فينا يُستضاءُ به
مباركَ الامرِ ذا عدلٍ وارشادِ

مُصدقاً للنبيينَ الأُلى سلفُوا
وأبذلَ الناسِ للمعروفِ للجادي

يا أفضلَ الناسِ اني كنتُ في نَهرٍ
أصبحتُ منه كمثلِ المفردِ الصادي

أمسى نساؤكَ عطلنَ البُيوتَ فما
يضربنَ فوقَ قفا سترٍ بأوتادِ

مثلَ الرواهبِ يلبسنَ المسوحَ وقد
أيقنَّ بالبؤسِ بعدَ النعمةِ البادي

وقال حسان في بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذاكرا مواطن الرسول : مسجده ، ومصلاه ، ومنبره ، وبيته مهبط الوحي ، وهي قصيدة

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ص ٩٩ـ١٠٠ وبعض الابيات في طبقات ابن سعد جـ٢ ص٩١ برا ـ أصله برأ المهموز أي خلق والبرية : الخلق • والذمة : العهد • الجادى : طلب الجدوى وهي العطية • الصادى ـ الشديد العطش • المسوح : الاكسية من الشعر ، دليل البؤس والمذلة •

اسلامية بمعانيها وجوها وما ضمنه فيها من معان قرآنية : (١)

بطيبة رسم للرسول ومعهد
منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

ولا تنمحي الآيات من دار حرمة
بها منبر الهادي الذي كان يصعد

وواضح ايات وباقي معالم
وربع له فيه مصلى ومسجد

بها حجرات كان ينزل وسطها
من الله نور يستضاء ويوقد

ويمضي في القصيدة حتى يأخذ معنى الآية الكريمة : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (٢) .

عزيز عليه أن يحيدوا عن الهدى
حريص على أن يستقيموا ويهتدوا

عطوف عليهم لا يثني جناحه
الى كنف يحنو عليهم ويمهد

نبيناهم في ذلك النور اذ غدا
الى نورهم سهم من الموت مقصد

---

(١) الديوان ص٨٩ ، ٩٣ . طيبة : مدينة الرسول . المعهد : المنزل . تهمد : تبلى والهمود : البلى . الآيات : العلامات والمعالم . الكنف : الجانب . يمهد : يوطيء . مقصد : مصيب من اقصد السهم اذا اصاب الرمية . المرسلات : الملائكة .

(٢) سورة التوبة آية ١٢٨ .

فأصبحَ محموداً الى اللـه راجعاً
يُبكيه جفنُ المُرسلاتِ ويَحمـدُ

وأمستْ بلادُ الحرمِ وحشا بقاعُها
لِغيبةِ ما كانت من الوحي تعهـدُ

وقد رثى حسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصائد آخر ، حظها من الجودة لا يرقى الى شعر حسان الذي قاله قبل الاسلام ، أو قبل وفاة الرسول الكريم .

وكذلك فعل كعب بن مالك (١) :

يا عـينِ فابـكى بدمـعٍ ذرى
لخـيرِ البريـةِ والمُصطفـى

وبكي الرسـولَ وحُقَّ البكـا
ءُ عليهِ لدى الحربِ عندَ اللقـا

على خـيرِ مـن حملتْ ناقـةٌ
وأتقـى البريـةِ عنـد التُقى

الى أن يقول :

وكان بشـيراً لنـا منْـذراً
ونُوراً لنـا ضُوؤهُ قـد أضـا

فأنقذنَـا اللـهُ في نـورِه
ونجَّى برحمتـهِ مـن لظَـا

وفي البيتين الاخيرين يظهر المعنى الديني لدى كعب . وقد بكـاه عبدالله بن أنيس أيضا ، الا أن اللوعة والحسرة لديه لا ترتفع الى مقام

---

(١) الطبقات الكبير ـ ابن سعد ق٢ حـ٢ ص ٩٢ـ٩٣ .

رسول الله ، ولم يتطرق إلى جلال الرسول الديني ، قال : [1]

تطاول ليلي واعترتني القـــوارعُ
وخطبٌ جليلٌ للبليـــةِ جامـــعُ

غداةَ نعـى الناعى الينـا مُحمـــدا
وتلك التي تستكُ منهـا المسامـعُ

فلو ردَّ ميتا قتـــلُ نفسٍ قتلتُهـــا
ولكنه لا يدفـــعُ الموتَ دافِـــعُ

وأكثر ما رُثي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على هذا النمط الذي يكون أثر الدين فيه غير واضح • فقد روى أن أبا سفيان بن الحارث ابن عبدالمطلب ، قد بكى الرسول ، [2] كما بكاه أبو بكر الصديق ، وصفية بنت عبدالمطلب ، وكذلك أم أيمن ، وعاتكة بنت زيد بن عمرو وغيرهن [3]• وكل ذلك الشعر لا يخرج عن أسلوب الرثاء الجاهلى في الحسرة وذكـر الفجيعة والجزع الشديد •

* * *

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطرب أمر المســلمين ، وقامت مشكلة الخلافة ، من يخلف رسول الله ويتولى أمور المسلمــين ؟ أما الانصار فقد أرادوها ، فهم الذين آووا المهاجرين ، ونصـروا النبي ، وعز بهم الاسلام • ودافعهم المهاجرون أو القرشيون على انهم قوم الرسول وأهله ، وتمناها الامويون ، فحاولوا أن يدفعوا اليها بني هاشم • وكـانت

---

(١) الطبقات الكبير ق٢ ص ٩٠

(٢) السيرة النبوية والآثار المحمدية ـ الزينى دحـــلان بهامش انسان العيون حـ٣ ص ٣٩٥ •

(٣) الطبقات الكبير ق٢ حـ٢ ص ٨٩ـ٩٨ •

أحداث ومحاورات ومشادات في السقيفة ، أسفرت عن مبايعة أبي بكر خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قيل في ذلك شعر فيه للاسلام أثر قوى حينا ، وضعيف في حين آخر ، فمن ذلك قول أبى عبرة القرشي يخاطب الانصار معرضا بسعد بن عبادة الخزرجى ، معتزا ببيعة أبى بكر وخلافة قريش [1] :

شُكراً لمن هـو بالثنـاءِ حقيـقُ
ذهبَ اللجاجُ وبُويـعَ الصديقُ

من بعدِ ما زلتْ بسـعدٍ نعلُـه
ورَجا رجاءً دونـه العَيُّوقُ

ويقـول :

انَّ الخلافـةَ في قريشٍ مالكُـمْ
فيهـا وربِّ محمـدٍ معـروقُ

وخاطب الانصار شاعر آخر هو ابن أبى عزة ، يسألهم أن يتقوا الله دفعـا للفتنة والشقاق [2] :

معشرَ الانصـارِ خافـوا ربكـم
واستجيرُوا اللهَ من شـرِّ الفتنْ

انـنـى أرهبُ حربـا لاقحـاً
يشرَقُ المرضـعُ فيهـا باللبـنْ

أما شاعر الانصار ــ خزيمة بن ثابت الانصارى ــ فقد كان أحرص من صاحبيه في اصلاح ذات البين ، وحسم اللجاج ، فقال [3] :

---

(١) شرح نهج البلاغة ــ ابن أبي الحديد حـ٦ ص٨ ٠
(٢) المصدر السابق ص١٠ ٠
(٣) المصدر السابق ص١٤ ٠

يالَ قريشٍ أصلحـــوا ذات بيننـــا

وبينكم قد طالَ حبـــلُ التماحُكِ

فلا خيرَ فيكم بعـــدنا فارفقوا بنَـــا

ولا خيرَ فينا بعـــد فهرِ بنِ مالكِ

كلانَا على الاعداءِ كفٌ طويلـــةٌ

اذا كان يومٌ فيه حبُ الحـــوارِكِ

فلا تذكروا ما كـــانِ منـــا ومنكـــمُ

ففي ذكرِ ما قد كان مشىُ التشـــاركِ

وقيل أرادها الامويون ، فلما رأوا انصراف الناس عنهم الى أبى بكر، ذكروا حقها لعلي بن أبي طالب ، قيل : ان أبا سفيان بن حرب مر ببيت علي ، فوقف عليه وأنشد (١) :

بنىِ هاشمِ لا تُطمعوا الناسَ فيكمُ

ولا سيما تيمُ بنُ مرةَ أو عـــدى

فما الأمـــرُ الا فيكُـــم واليكـــمُ

وليـــسَ لهـــا الا أبو حسنِ علي

أبا حسنٍ فاشددْ بها كفَ حـــازمٍ

فأنك بالأمـــرِ الـــذى يُرتجى ملِيَ

(١) شرح نهج البلاغة حـ٦ ص٧ ، وكان أبو سفيان قد حرض عليا على اعلان نفسه خليفة وقال له (ابسط يدك أبايعك) فأبى عليه علي عليه السلام • ينظر تاريخ الكامل ـ ابن الاثير حـ٢ ص١٢٤ •

ومهما كان من الخلاف واللجاج الذي تناوشه المتعصبون لقريش أو للأنصار ، فان الامر استقام لأبي بكر الصديق • وسرعان ما اجتمع المسلمون حول أبي بكر ليذبوا عن دينهم الذي تهددته حركة الردة •

فلننظر في الشعر الذي قيل في فترة الراشدين ، متتبعين ما يصلح منه شاهدا للشعر الاسلامي المتأثر بالقرآن وتعاليم الرسول ، متناولين ذلك في حياة كل من الخلفاء الاربعة :

الفصل الثاني

الشعر زمن الخلفاء الراشدين

١ ـ أبو بكر الصديق :

كان أهم الاحداث التي واجهها أبو بكر في عهده ، حركة الردة ثم الفتوح التي كانت انطلاقا لقوى الجزيرة الموحدة نحو الخارج ، فالردة خطر داهم هدد كيان الدين ، ولكن بحزم أبي بكر ، وحسن تدبيره ، وبعد نظره ، قضى على هذه الحركة وأخمدت بسرعة مذهلة • والمعروف أن الاسلام عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يثبت في نفوس الاعراب ، ولم تمض عليهم فترة كافية في ظل الاسلام كي تخف حدة العصبية ، وتكسر شوكتها • ولم تكن الاعراب لتنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، النظرة الدينية المؤمنة ، التي ينظرها العرب من المهاجرين والانصار ، بل كانوا يعدونه رجلا أوتي السلطان على العرب ، فيطيعونه كرئيس مقتدر ، لا نبي مرسل • فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولى أبو بكر ، رأوا أن لا سلطة له عليهم ، وكأنهم كانوا يطيعون الرسول لذاته ، ومما يعبر عن هذه النزعة قول الحطيئة : (١)

أطعنَا رسولَ اللهِ اذ كان صادقـا
فيا عجبـاً ما بالُ دينِ أبي بكرِ

---

(١) ديوان الحطيئة ص٣٢٩ـ٣٣٠ وينظر هنا الهجاء والهجاؤون في الاسلام ص٥ـ٦ •

ايورثُنا بكراً اذا مـاتَ بعـده
فتلكَ وبيتِ اللـهِ قاصمةُ الظهرِ

وقد رأت القبائل أن قريشا لم تفضلهم الا بالنبوة ، لذلك كثر بينهم المتنبئون والمتنبئات ، ففي ربيعة نبي من حنيفة هو مسيلمة الكـذاب ، وفي اليمن نبي هو الاسود العنسي ، وفي مضر نبي من أسـد هو طليحـة بن خويلد ، ونبية من تميم هي سجاح بنت الحارث ، وفي سجاح يقول قيس ابن عاصم : (١)

اضحتْ نبيتُنا أنثى نُطيفُ بهـا
واصبحتْ انبياءُ اللهُ ذكرانَـا

وفيها يقول الشاعر هاجيا بني تميم : (٢)

أضلَّ اللـهُ سـعيَ بنى تميمٍ
كمـا ضلت بخُطبتِهـا سُجـاحُ

ولم يكن في الشعر الذي قيل في الردة شيء غير العصبية ، فلا تجـد فيه معارضة لمبادىء الاسلام ، أو احتجاجا على الدين ، أو طعنا فيه . بل عصبية قبلية تأنف دفع الزكاة بأعتبارها اتاوة تدفع لقريش . ومصداق هذا ما يروى عن الزبرقان بن بدر والاقرع بن حابس ، فقد قالا لابى بكر : « اجعل لنا خراج البحرين ونضمن لك ان لا يرجع من قومنا أحد »(٣) . ويظهر أن امتناع العرب عن تأدية الزكاة كان أمرا ظاهرا منتشرا ، حتى أن طيئا لتفخر بان صاحبها عدى بن حاتم قـد وفى بأعطـاء ابل الصدقة الى ابى بكر ، يقول شاعرهم الحارث بن مالك الطائي : (٤)

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي جـ٢ ص٣١٠ وفي الكامل تروى لعطارد بن حاجب جـ٢ ص١٣٦ .
(٢) مروج الذهب ـ المسعودي جـ٢ ص٣١٠ .
(٣) تاريخ الطبري جـ٢ ص ٥٠٠ .
(٤) مروج الذهب جـ٢ ص٣٠٨ .

وفينا وفـاءٌ لم يرَ الناسُ مثلَـه
وسربَلنا مجـدا عـدىُّ بنُ حاتمِ

وفي هذا دلالة واضحة على أن بقية القبائل قد نكصت عن دفـع الصدقة •

ومن شعر الردة العصبي ما قاله الخيطل بن أوس أخو الحطيئـة ، حيث يظهر فيه هزؤه بالدين وسخريته بالمسلمين الذين يزعمون ـ فيما عنده ـ بأنهم جنود الله : (١)

فدى َ لبنى ذبيـانَ رحلي ونـاقتي
عشيةَ يُحدى بالرمـاحِ أبو بكـرِ

وللـهِ أجنـادٌ تُذاقُ مهانـةً
لِتُحسبَ فيما عُدَّ منعجبِ الدهرِ

ويقول أبو شجرة بن عبد العزى يذكـر بـلاءه بحـرب جيش المسلمين : (٢)

صحا القلبُ عن مىٍ هواهُ وأقصرا
وطاوعَ فيها العاذلـينَ فأبصَـرا

واصبح ادنى رائدِ الجهـلِ والصبا
كمـا ودُها عنـا كذاك تغـيَّرا

الا ايُهـا المُدلى بكثـرةِ قومـه
وحَظك منهم أن تُضامَ وتُقهـرا

سلِ الناسَ عنّا كلَّ يومِ كريهـةٍ
اذا ما التَقينا دارعـينَ وحُسَـرا

---

(١) الطبري جـ٢ ص٤٧٧ أو جـ١ ص١٨٧٥ ط أوربه •

(٢) الطبري جـ٢ ص٤٩٣ـ٤٩٤ ط الاستقامة وتاريخ الكامل جـ٢ ص١٣٤ مع خلاف وحذف •

ألسنا نُعاطي ذا الطِماحِ لجامَهُ
ونطعن في الهَيجا اذا الموتُ اقفرا

وعارضة شهباء تخطرُ بالقنا
ترى البُلقَ في حافاتِها والسَّنَّورا

فرويتُ رمحي من كتيبةِ خالدٍ
واني لأرجوَ بعدَها أن أعمَرا

وللحطيئة اشعار يحرض فيها على قتال المسلمين ، فمن مقطوعة يقول : (١)

الا كلُّ ارماحٍ قصارٍ أذلةٍ
فِداءٌ لارماحٍ رُكزنَ على الغَمْرِ

فانَّ الذي أعطيتمُ أو منعتمُ
لكالتمرِ أو احلى لِخُلفِ بنى فهرِ

فباستِ بنى عبسٍ وافناءِ طيءٍ
وباست بنى دَوَدانَ حاشا بنى نصرِ

فِدىً لبنى ذبيانَ أمي وخالتي
عشيةَ يُحدى بالرماحِ ابو بكر (٢)

ابَوا غيرَ ضربٍ يُحطمُ الهامُ وسطه
وطعنٍ كأفواهِ المرقعةِ الحُمْرِ

---

(١) ديوان الحطيئة ص٣٢٩–٣٣٠ . وقد نسبت بعض أبياتها للخيطل بن أوس ونسب البيتان الاخيران منها للحارث بن سراقة بن معد يكرب . بنو فهر : قريش وفهر جدهم الاكبر . بنو نصر : هم نصر بن قصى من بني أسد . المرقعة الحمر : أي القرب .

(٢) مر هذا البيت للخيطل مع خلاف في الرواية ، الطبري ج١ ص١٨٧٥ ط أوربه .

فقوموا ولا تُعطوا اللئـــام مَقادةً
وقُوموا وان كانَ القيامُ على الجمْرِ

ثم يذكر البيتين اللذين مر ذكرهما :

أطَعنا رسولَ اللــه اذ كان صادقا
فيا عجباً ما بالُ دينِ ابى بكــرِ
ايورثنا بكرا اذا مـــاتَ بعـــدَه
فتلكَ وبيتِ اللــه قاصمةُ الظهرِ

ومن المرتدين عمرو بن معد يكرب الزبيدي الشاعر ، قال حين ارتد يهجو فروة بن مسيك وكان واليا عليهم من قبل رسول الله صلى اللــه عليه وسلم (١) :

وجدنا ملكَ فـروةَ شـر مـلكِ
حمـــاراً سَافَ مُنْخُرَهُ بثَفْرِ
وكنـــتَ اذا رأيت أبـــا عمُـيرِ
ترى الحُولاَء من خَبَثٍ وغـدرِ

ولما ارتدت كندة ـ وكان عليها زياد بن لبيد البياضى ـ ثبتت السكون على الاسلام دونهم ، فقال شاعرهم (٢) :

ونحن نصرنا الدين اذ ضــل قومُنا
شـــقاءً وشايعنـــا ابن أمّ زيـــادِ
ولم نبغِ عن حق البياضيّ مُزحـلاً
وكان تُقى الرحمنِ أفضـــل زادِ

(١) السيرة ق٢ ص٥٨٥ . وكان فروة شاعرا أيضـا واستعمله عمر بن الخطاب ، ينظر جمهرة أنساب العرب ص٣٨٢ . الحولاء : جلدة خضراء مخططة تخرج مع الطفل .

(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري ص١٠٩ . المزحل : المكان يرحـل اليــــه .

وأول ما يلاحظ في أمر هذا الشعر أنه شعر جاهلي ، وليس فيه من أثر للاسلام الا قول الشاعر الذي يستفيد من قول الله تعالى : « وتزوّدوا فان خيرَ الزادِ التقوى »[١] وهو « وكان تُقى الرحمنِ أفضلَ زادِ » • وسبب ذلك أنَ أكثر هذا الشعر قيل من قبل المرتدين • ولم يساهم فيه المسلمون الا في القليل وهذا القليل لشعراء من البادية قالوه تحريضا على القتال ، وفخرا بثباتهم على الدين ، واعتزازا بفضل الله عليهم ، ولم يشارك في هذا شعراء المدن ، ولم يشارك الشعراء البارزون في هذه المناسبة خلا حسان ، الذي جاءت في ديوانه أبيات شغلها الفخر بقومه وشدتهم والدفاع عن كنية أبي بكر حين كناه المرتدون بـ « أبي الفصيل » انتقاصا من قدره وهزؤا به • قال :

ما البكرُ الا كالفصيلِ وقد ترى[٢]
أن الفصيلَ عليه ليس بعارِ

انا وما حج الحجيجُ لبيته
ركبانُ مكةَ معشرُ الانصارِ

نفري جماجمكم بكل مهند
ضربَ القُدارِ مَبادي الايسارِ

حتى تكنُوهُ بفحلِ هُنَيْدَةٍ
يحمى الطروقةَ بازلٍ هدّارِ

أما شعراء البادية ، فقد أحسنوا في ذلك ، وصوروا المعركة بروح اسلامية ظاهرة اليقين والايمان بالاسلام ، والدعوة لمحق الكافرين ، هذا أوس بن بجير الطائي يقول مفاخرا بحسن البلاء وشدة البأس ، وذاكرا ما يلقى الكافرون من محنة وعذاب من لدن ربهم الواحد الاحد :

---

(١) البقرة آية ١٩٧ •

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص٢٠٩ـ٢١٠ •

وليتَ أبا بكرٍ يـــرى في سـيوفِنا
وما تختلي مـــن أذرُعٍ ورقـــابِ

ألم تَرَ أن اللـــهَ لا ربَّ غـــيرُه
يصبُّ على الكفارِ سوطَ عـــذابِ

ولعل في سرعة القضاء على حركة الردة وقمعها ، ثم تجنيد المرتدين ودفعهم نحو الفتوح ، تعليلا لقلة الشعر الاسلامي الذي قيل في الردة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان الشعر ـ وبخاصة في مكة والمدينة ـ انزوى وخفت صوته بعد الفتح حيث دخلت قريش طائعة في دين الله تعالى.

وفي أثناء الفتوح التي رسمها أبو بكر لخالد بن الوليد ، كان للشعر صوت يتغنى بالنصر حينا ، وببكاء القتلى حينا آخر ، أو يكون حسرة على الماضي وانتظارا للهزيمة عند المشركين . يقول القعقاع بن عمرو في يوم الحـيرة (١) :

سقى اللهُ قتلى بالفراتِ مُقيمـــةً
وأخرى بأثباجِ النِجافِ الـكوانفِ

فنحن وطئِنـا بالـكواظمِ هُرْمُزاً
وبالثَّني قرني قارنٍ بالجوارفِ

ويوم أحطنـــا بالقصورِ تتابعـــتْ
على الحِيرة الرَوحاءِ احدى المصارفِ

وقال ابن بقيلة يبكي صروف الدهر ، ويتحسر على عهد مضى في ظل المناذرة ، وينكر عهدا تسلط فيه الاعراب(٢) :

---

(١) تاريخ الطبري جـ١ ص٢٠٤٦ ط أوربه و جـ٢ ص٥٦٨ ط الاستقامة .

(٢) تاريخ الطبري جـ١ ص٢٠٤٠ ط أوربه و جـ٢ ص٥٦٦ ط الاستقامة .

أبعدَ المنذرينَ أرى سَواماً
تَروّحُ بالخَورنقِ والسَّديرِ

وبعدَ فوارسِ النُعمانِ أرعى
قلوصاً بينَ مرَّةَ والحفيرِ

فصِرنا بعدَ هُلكِ أبي قُبَيْسٍ
كجُرْبِ المعزِ في اليومِ المطيرِ

تُقسِّمُنا القبائلُ من مَعَدٍّ
علانيةً كأيسارِ الجزورِ

وكنا لا يُرام لنا حريمٌ
فنحن كضرةِ الضرعِ الفخورِ

كذاكَ الدهرُ دولتُه سِجالٌ
فيومٌ من مَساءةٍ أو سرورِ

وحين كان خالد بن الوليد يحرز النصر بعد النصر ، كانت أخباره التي تبعث الهيبة والرهبة في قلوب الاعداء ، تسبقه اليهم ، فحينما كان في طريقه من الحيرة الى الشام ، كان ناس من بهراء يشربون الخمر ، وشاعرهم يغني(١) :

ألا علاني قبل جيش أبي بكرِ
لعل منايانا قريبٌ وما ندري

ألا علّلاني بالزُجاجِ وكرِّرا
عليَّ كُمَيْتَ اللونِ صافيةً تجري

ألا علاني من سُلافةِ قهوةٍ
تُسلّي هموم النفس من جيِّد الخمر

---

(١) تاريخ الطبري جـ١ ص٢٠٤٨ و جـ٢ ص٦٠٩ـ٦١٠ ط الاستقامة وفي الكامل ـ ابن الاثير جـ٢ ص١٥٧ ٠

أظُنَّ خيولَ المسلمينَ وخالِداً
ستطرقُكم قبل الصباحِ من البِشرِ

فهل لكمُ في السيرِ قبلَ قتالِهم
وقبل خروج المُعصِرات من الخِدرِ

وهكذا نجد في هذه الفترة أشعارا تجري على هذا النمط ، سواء للمسلمين أو المشركين ، الا أن أثر الدين فيها قليل ، ولم تتغن بنصر الدين ، وانما اعتمدت الفخر بالقوة وشدة البأس أو بكاء القتلى وتوقع الهزيمة[1] .

وفي جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة توفى أبو بكر ، فرثاه أبو محجن الثقفي ، ذكر فضله وسابقته وتصديقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصحبته ، قال[2] :

وسُمّيتَ صدّيقاً وكلُّ مهاجرٍ
سِواكَ يُسمى باسمه غير مُنكَرِ

وبالغار اذ سميت بالغار صاحباً
وكنتَ رفيقاً للنبي المطهَّرِ

سبقتَ الى الاسلامِ واللهُ شاهدٌ
وكنتَ جليساً بالعريشِ المشهَّرِ

وحقاً قال حسان في صفته[3] :

---

(١) من الممكن أن يضاف هنا الشعر الذي قاله شعراء القبائل التي دعاها أبو بكر للتوجه الى الفتوح مثل ذي الكلاع الحميري ، وقيس بن هبيرة المرادي ، وان خلا من أثر الاسلام . ينظر فتوح الشام جـ١ ص٣ ط حجرية .

(٢) شذرات الذهب ـ ابن العماد جـ١ ص٣٤ .

(٣) ديوان حسان ص٢٩٩ـ٣٠٠ .

اذا تذكرت شجواً من أخي ثقة
فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا

التاليَ الثانيَ المحمودَ شيمتُه
وأولَ الناس طُراً صدّقَ الرُسُلا

والثانيَ اثنينِ في الغار المنيفِ وقد
طاف العدوُ به اذ صعّدَ الجبلا

وكان حِبَّ رسولِ الله قد علموا
من البريّة لم يَعدِل به رجلا

خيرُ البرية أتقاها وأرأفها
بعد النبيِّ وأوفاها بما حَمَلا

٢ ـ عمر بن الخطاب :

وفي عهد عمر بن الخطاب ، وبفضل حزمه وشدته ، استقرت أمور الحياة الاسلامية ، وبدأت الفتوح تأتي أكلها ، والدولة تنشر ظلها وعزها على فارس والروم • وكان عمر حريصا على الآداب الاسلامية ، ووحدة المسلمين ، كارها للعصبية الجاهلية التي استمر أثرها في نفوس الناس ، وعند الشعراء خاصة ولذلك فقد منع عمر انشاد الشعر الذي قيل ابان المعارك بين مكة والمدينة ، وذلك أن في اعادته بثا للقبيح ، واحياءا لاحقاد عفى عليها الاسلام • الا أن الروح الجاهلية والعصبية المتمكنة من نفوس القوم ، تأبى الا العودة ـ بين حين وآخر ـ الى نبش أحقاد الماضى الرهيب (١) •

(١) يذكر هنا ما كان من أمر حسان مع عبدالله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب عند أبي أحمد بن جحش • الاغاني جـ٤ ص١٤٠ـ١٤١ ط الدار وكذلك زجر عمر لحسان حين كان يشد في المسجد • (العمدة جـ١ ص٢٨) •

وكان عمر شديدا على شعراء الهجاء ، فقد حبس الحطيئة لهجائه الزبرقان بن بدر ، ثم استعطفه الحطيئة بقوله[١] :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ
حُمرِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ

غيّبتَ كاسِبَهم في قعرِ مُظلمةٍ
فاْغفر عليكَ سلامُ اللهِ يا عُمَرُ

أنتَ الامينُ الذي من بعدِ صاحبهِ
ألقت اليكَ مقاليدَ النُهى البَشَرُ

لم يؤثروكَ بها اذ قدّموكَ لها
لكن لأنفُسِهم كانتْ بها الأثَرُ

والمسحة الاسلامية ظاهرة في هذا الشعر ، وللحطيئة شعر يمدح فيه عمر بعد أن أطلقه من السجن[٢] وفي هذا الشعر تتضح النزعتان ، الجاهلية التليدة التي بقيت راسخة في نفس الحطيئة حيث يعد الخليفة ملكا من ملوك العرب أوتي سلطانا واسعا وملكا عريضا ، والنزعة الاسلامية الجديدة التي بدأت تظهر في شعر الشعراء • والنزعتان ممثلتان في هذا الشعر :

يا أيها الملكُ الذي أمست له
بُصرى وغزةُ سهلُها والاجرعُ

ويذكر فيه زجر عمر الشعراء عن شعر الهجاء والتكسب به :

فبُعثتَ للشُعراءِ مبعثَ داحسٍ
أو كالبَسوسِ عقالُها يتكوّعُ

---

(١) ديوان الحطيئة ص٢٠٨ • وقد هدد عمر النجاشي بقطع لسانه ، الشعر والشعراء جـ١ ص٢٩١ والبيان والتبيين جـ١ ص٢٣٩ •

(٢) ديوان الحطيئة ص٢١٠-٢١١ وكذلك الاغاني جـ٢ ص٨٥ ط الدار مع خلاف في الرواية •

ومنعتني شتمَ البخيلِ فلم يَخَفْ
شتمي فأصبحَ آمِناً لا يفزعُ

وأخذتَ اطرارَ الكلامِ فلم تَدَعْ
شتماً يضرُّ ولا مديحاً ينفعُ

وبُعِثتَ للدنيا تجمعُ مالها
وتضرُّ جزيتَها ودأباً تجمعُ

ويعاتب الحطيئة الزبرقان ، فيذكره بما للمسلم من حق على أخيه المسلم[1] :

ألم أكُ مسلماً فيكون بيني
وبينكُم المودةُ والاخاءُ

فلم اشتم لكم حَسَباً ولكن
حدوتُ بحيثُ يُستَمعُ الحُداءُ

وقد جلد عمر أبا محجن الثقفي ونفاه من المدينة لقوله في الخمر وشربها ، وقد مر بنا نماذج من شعره فيه نفس اسلامي واضح[2] . ولعل في قوله حين أعلن توبته شيئاً من أثر الدين[3] :

أتوبُ الى اللهِ الرحيمِ فأنَّه
غفورٌ لذنبِ المرءِ ما لم يُعاوِدِ

ولستُ الى الصهباءِ يوماً بعائدٍ
ولا تابعٍ قولَ السفيهِ المُعانِدِ

---

(١) ديوان الحطيئة ص٩٨ .
(٢) ترجمة أبي محجن في شعراء الطائف وديوان أبي محجن ص١٢-١٥ .
(٣) ديوان أبي محجن ص١٢ .

وكيف وقد أعطيت ربـــي مواثقـــاً

أعودُ لها والله ُ ذو العرشِ شاهدي

سأتركُها مذمومـــةً لا أذوقُهـــا

وان رَغِمتْ فيها أنوفُ حواســدي

لقد أراد عمر أن يوجه الفن الشعري وجهة اسلامية ، لخدمة الدين وتمثل تعاليمه ، فاذا كان قد نهى عن ذكر شعر المناقضات الماضية ، وحارب شعر الهجاء ، فانه من جهة ثانية كان يأمر عماله أن يدعوا الناس الى تعلم الشعر • فقد كتب الى أبي موسى الاشعري يقول : « مُرْ مَنْ قبلك بتعلم الشعر فانه يدل على معالي الاخلاق وصواب الرأي ومعرفة الانساب »[١] ، وكان عمر حريصا على أن ينهج الشعراء نهجا يجـافي خلق الجاهلية ، ويريدهم أن يهتدوا بهدى الاسلام ، سواء في سلوكهم أم في شعرهم ، وهو حين كتب رسالته[٢] الى المغيرة بن شعبة في الكوفة ، حول معرفة ما أحدث الشعراء في الاسلام من الشعر ، كان يقصد هذا القصد •

وقد كان من أثر الفتوح الواسعة التي حصلت في عهد عمر ، أن تعقدت الحياة وتغيرت نظرة الناس لها ، وحدث تبدل في نفسية المسلمين تبعا لذلك • فقد توسعت آفاق المسلمين ، وكثرت الاموال ، وظهر الترف ، وبدأت عوامل الانحلال والانحراف تتسلل الى النفوس ، وربما انحرف بعض الولاة وعرفت الرشوة طريقها اليهم ، وكان الشعر في هذه الفترة معبرا عن هذه الظاهرة ، متذمرا منها ، منبها اليها ، ومصداق هذا في الرواية هذه ، قالوا : سئل مالك بن أنس : « من أين شاطر عمر بن الخطـاب عماله ؟ فقال : أموال كثيرة ظهرت عليهم ، وان شاعرا كتب اليه يقول :

---

(١) العمدة جـ١ ص٢٨ـ٢٩ •

(٢) مر نص الرواية كاملا في خبر لبيـــد ، ينظر الاغاني جـ١٥ ص٣٦٩ ط الدار و جـ١٤ ص٩٤ ط ساسى •

نَحُجُّ اذا حجوا ونغزو اذا غزَوا
فأنّى لهم وفرٌ ولسنا بذي وفرِ

اذا التاجرُ الهنديُّ جاء بفارة
من المِسكِ راحت في مفارقِهم تجري

فدونكَ مالَ اللهِ حيثُ وجدْتَه
سيرضَونَ ان شاطرتهم منك بالشطر

قال ، فشاطرهم عمر أموالَهم »(١) •

ومن مظاهر هذه الحياة الجديدة المعقدة ، أن الفتوح عملت على أن توسع أرض المسلمين ، وتفتح الامصار ، وتنشأ تبعا لذلك المدن ، فاستهوت الهجرة الناس فهاجر من هاجر ، ثم اذا تفرق الاهل يكون الشوق والحنين ، وبخاصة حنين الآباء الى الابناء • فكان أن سجل الشعر هذه الظاهرة ، فقد جاء أمية بن حرثان الى عمر يشكو هجرة ابنه كلاب وحنينه اليه ، قال(٢) :

سأستَعدي علی الفاروقِ ربّاً
له عَمَدَ الحَجيجُ الى بُساقِ

انِ الفاروقُ لم يُرْدِدْ كِلاباً
على شيخينِ هامُهما زواقي

فكتب عمر الى أبي موسى الاشعري باشخاص كلاب ، فما شعر آمية الا به يقرع الباب •

وفي عهد عمر كانت الفتوح الكبرى ، وكان الشعر قد رافقها

---

(١) العقد الفريد جـ٥ ص٢٨١ •

(٢) العمدة جـ١ ص٥٨ • بساق : جبل بالحجاز • ولامية شعر غيره في هذه المناسبة كما أن للمخبل السعدي شعر في ولده • انظر تفصيل ذلك في كتابنا الاسلام والشعر ص٩٤ وما بعدها •

وصورها . فمما قيل قصيدة لقيس بن مكشوح المرادي في القادسية [(١)] :

جلبتُ الخيـلَ من صنعاءَ تردى
بكـل مدججٍ كالليثِ سـامِ

الى وادى القـرى فديـارِ كلبٍ
الى اليرموكِ فالبلـدِ الشـآمِ

وجئنَ القادسـيةَ بعـد شـهرٍ
مسومـةً دوابرُهـا دوامـى

فناهضنا هنالِكَ جمعَ كسـرى
وابنـاءَ المرازبـةِ الـكرامِ

فلما ان رأيتُ الخيـلَ جالـت
قصدتُ لموقـفِ الملكِ الهمـامِ

فاضربُ رأسهُ فهـوى صريعـاً
بسـيفٍ لا أفـلَّ ولا كهـامِ

وقد ابلى الالـهُ هنـاك خـيراً
وفعلُ الخيرِ عندَ اللـهِ نـامِ

ومسحة الدين ظاهرة في هذا الشعر من خلال فرحة الشاعر بالنصر ، وزهوه بضرب قائدهم ، وقتال فرسان المشركين . وكذلك يفخر بقتـل عظيم الفرس ، زهير بن عبد شمس بن عوف البجلى ، ويعدُ قتله جهادا في سبيل الله ، وشفاء لنفسه [(٢)] :

أنا زهـيرٌ وابنُ عبـدِ شمسِ
اردَيتُ بالسيفِ عظيمَ الـفرسِ

---

(١) فتوح البلدان ص٢٦١ والاخبار الطوال ص١٢٥ .
(٢) فتوح البلدان ص٢٦٠ .

رستم ذا النخـوةِ والدمقسِ
أطعتُ ربي وشـفيتُ نفسـي

وقال بشر بن ربيعة الخثعمي (١)

ألمَّ خيالٌ من أميمـةَ موهنـاً
وقد جعلتْ احدى النجومِ تغـورُ

الى أن يقول :

وحلتْ بـبـاب القادسيةِ ناقـتي
وسَعدُ بنُ وقاصٍ عليَّ أمـيرُ

عشيةَ ودَّ القومُ لو أنَّ بعضـهم
يُعارُ جناحيْ طـائرٍ فيطـيرُ

اذا برزتْ منهـم الينـا كتيبـةٌ
أتونا بأخرى كالجبـالِ تمـورُ

وهذا الشعر اسلامي في روحه وديباجتـه واعتزازه بحرب الفرس وقيادة سعد بن ابي وقاص .

وحسبنا هذه النماذج من الشعر الذي قيل في زمن عمر ، فقد كانت كلها من هذا الضرب الذي تظهر فيه النزعة الدينية خفيفة . فاذا ما لقى الفاروق ربه حين امتدت اليه يد الغدر ، بكاه الشعر فبرز فيه اثر الاسلام وذكر الدين من خلال وصف الشعراء لخصال عمر وسجاياه واعمـاله . فقد بكاه جزءُ بن ضرار ، فدعا له أن يجزيه الله خيرا عما قدم لرعيته ، وان يبارك جسده الممزق بسكين ابي لؤلؤة : (٢)

---

(١) فتوح البلدان ص٢٦٢ ، والاخبار الطوال ص١٢٥ .

(٢) طبقات الشعراء ص١١٣ والاغاني ج٩ ص١٥٩ ط الـدار . لقد مر ذكرها وقد دعت المناسبة هنا لاثباتها . بوائق : فتن . السبنتي : النمر الخبيث .

جزى اللهُ خيراً من أميرٍ وباركتْ
يدُ اللهِ في ذاكَ الاديمِ الممزقِ

فمن يسعَ او يركب جناحي نعامة
ليدركَ ما حاولتَ بالامسِ يُسبقِ

قضيتَ اموراً ثم غادرتَ بعدها
بوائقَ في اكمامها لم تُفتقِ

وما كنتُ اخشى ان تكونَ وفاتُه
بكفيْ سبنتى ازرقِ العينِ مُطرقِ

وكذلك بكاه حسان بن ثابت بأبيات مزجها بمعان قرانية ، قال : (١)

وفجعنا فيروزُ لا درَّ درُّهُ
بأبيضَ يتلو المحكماتِ مُنيبِ

رؤوفٍ على الادنى غليظٍ على العدا
اخي ثقةٍ في النائباتِ نجيبِ

متى ما يقلْ لا يكذبِ القولَ فعلُه
سريعٍ الى الخيراتِ غيرِ قطُوبِ

وقد نظر حسان في قوله (رؤفٍ على الادنى غليظٍ على العدا) الى الآية الكريمة « محمدٌ رسولُ اللهِ والذين معهُ اشدَّاءُ على الكفارِ رحماءُ بينهم »(٢) رحم الله عمر ورضي عنه فقد زها عصره بالامن ، والعدل ، والفتح ، والادب .

---

(١) ديوان حسان ص٣٨ـ٤٠ .
(٢) سورة الفتح آية ٢٩ .

٣ ـ عثمـــان بن عفـــان :

لم يكن زمن عثمان مشجعا على الشعر ، لان عثمان نفسه كان منصرفا ـ فيما يبدو ـ عن الشعر والشعراء ، فلم يعرف عنه ما عرف عن عمر بن الخطاب من اقبال على الشعر ونقد له وحكم عليه ، وكان عثمان يرى ان الشعراء ضعاف المرؤة ، ومصداق ذلك ما روى في خبر سحيم قالوا : « أُتي عثمان بن عفان بعبد بني الحسحاس ليشتريه ، فقالوا : انه شاعر ، وارادوا ان يرغبوه فيه ، فقال : لا حاجة لي به ، اذ الشاعر لا حريم له ، ان شبع شبب بنساء اهله وان جاع هجاهم »[١] .

والشعر في عهد عثمان يختلف عما هو في عهد عمر ، فقد وضح في هذا العهد الهجاء المقذع ، والكلام البذيء وغلبت عليه روح التمرد والسخط والاحتجاج . وهو تعبير عن طبيعة الفترة وطبيعة الخليفة ايضا . فقد كان عمر بن الخطاب شديدا حازما قويا ، كمّ افواه الشعراء الهجائين، والجم النزعات الجامحة التي تضطرم في صدور الشعراء . اما وقد ذهب عمر وجاء عثمان ، وهو رجل سمح لين ضعيف ، كانت تنقصه شدة عمر و (درّته) . فقد آن للنزعات ان تتنفس ، وللاحقاد ان تظهر ، وللعصبيات ان تبرز ، فكان ان استهان الشعراء بحدود الله ، فتناولوا اعراض الناس بالشتم البذيء ، والقذف القبيح ، ولن يستطيع الشعر ان يبلغ من الفحش والبذاءة ما بلغه شعر ضابئ البرجمي ـ حين طالبه بنو نهشل ان يرد عليهم كلبهم (قرحان) الذي استعاره منهم لصيد الظباء فحبسه عنهم حولا ـ حين قال :[٢]

تجشم دوني وفدُ قرحانَ خطةً

تظلُ لها الوجناءُ وهي حسيرُ

---

(١) الاغاني ج ٢٠ ص٤ ط ساسى . وسمط اللالى ج٢ ص٧٢١ مع خلاف في العبارة .

(٢) طبقات الشعراء ص ١٤٤ والشعر والشعراء ص ١٢٦ـ١٢٧ . والطبري ج٣ ص٤٣١ ط الاستقامة ، والكامل ج٣ ص ٧١ .

فاردفتُهم كلبا فراحـــوا كأنَّهـــم
حباهم بتـــاج المُرزبـانِ أمـــيرُ

فأمكُم لا تتركـــوها وكلبَـــكم
فان عقـوقَ الامهـــاتِ كبـيرُ (١)

اذا عثتْ من آخرِ الليل دخنـــةٌ
يظلُ لهـا فوقَ الفراشِ هريـــرُ

فاستعدوا عليه عثمان ، فلما سمع هذا الشعر قال : « ويلك ما سمعت احدا رمى امرأة من المسلمين بكلب غيرك ، واني لاراك لو كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانزل فيك قرآنا ، ولو كان احد قبلي قطع لسان شاعر في هجاء لقطعت لسانك » ، فحبسه عثمان . وقد بلغ من استهتار ضابىء هذا وتطاوله ، ان حاول اغتيـــال خليفـــة المسلمين حين زاره في السجن ، وقد وصف محاولته هذه بقوله : (٢)

هممتُ ولم افعلْ وكدتْ وليتـــني
تركتُ على عثمانَ تبكى حلائلُـــه

وما الفتكُ ما آمرْتُ فيـــه ولا الذي
تُخبر من لاقيتَ أنك فاعِلُـــه

وقائـــلة لا يبعـــد اللـــهُ ضابئـــا
اذا القرنُ لم يوجدْ له من ينازِلُه

وقد جرت الاوضاع الاجتماعية الجديدة الى ضعف الوازع الديني ، فتفشت الجريمة ، وكثر السراق والقتلة . وقد سجل الشعر هذه الظاهرة باسلوب فيه اعتزاز بحكم عثمان ، وتحدٍ للخارجين عليه ، فقد روى ان

---

(١) وفي رواية (عقوق الوالدات كبير) .
(٢) طبقات الشعراء ص ١٤٥ ، وجمهرة انساب العرب ص ٢١٢ .

بعض اهل الكوفة نقبوا على ابي الحيسمان الخزاعي فقتلوه ، فكتب عثمان الى واليه سعيد بن العاص بقتل اللصوص ، فقال في ذلك عمرو بن عاصم التميمي : (١)

لا تأكلوا ابـدا جيرانكـم سرفـاً
اهلَ الدعارةِ في ُملكِ ابن عفـانِ

ان ابنَ عفـان الـذي جربـتم
فطم اللصوصَ بمحكمِ الُفرقـانِ

ومن مظاهر هذه الفترة ان العصبية وروح الحمية الجاهلية التـي كبتها الاسلام لفترة اخذت تظهر ، وكان من الطبيعي ان تصطدم هـذه النزعة وتتعارض مع تعاليم الاسلام ، وكان من الولاة الذين عرفوا بالورع والتقوى من تصدى لها ، ومن اولئك الولاة ابو موسى الاشعري • ومـن صور ذلك ان بني عامر رعت في الزرع بالبصرة ، فبعث ابو موسى الاشعري ـ عامل عثمان على البصرة ـ في طلبهم ، فتصارخوا يا آل عامر ، يا آل عامر، فخرج النابغة الجعدي ومعه عصبة ، فاتى به الى ابي موسى فقال له : مـا أخرجك ؟ قال : سمعت داعية قومي فخرجت • فضربه اسواطا ، فقـال النابغة يهجو ابا موسى ويتذمر من الولاة والامراء : (٢)

رأيت البكرَ بكـر بني ثمـودٍ
وأنت أراكَ بكـر الاشعرينـا

فان يكـنِ ابنُ عفـانٍ أمينـا
فلـم يبعث بـك البرَّ الامينـا

فيا قـبر النبـيِّ وصاحبيـه
ألا يا غوثنَـا لو تسمعونـا

(١) الاغاني جـ ٥ ص ٣٠ ط الدار •
(٢) الاغاني جـ ٥ ص٣٠ ط الدار •

ألا صلى الهكم عليكم
ولا صلى على الامراءِ فينا

ويهمنا هنا هذه المسحة الدينية ، ثم النزعة الناقمة على الامراء في عهد عثمان ، حيث جرت البلاء فيما بعد لا على الولاة وحسب ، بل على الخليفة ايضا ، وبلغت النقمة اشدها في الكوفة على الوليد بن عقبة اخى الخليفة لامه ، وقد ولاه عثمان على الكوفة ، وكان الوليد اميرا مترفا ، وشاعرا يحب الشعراء ، وسخيا يحب الاسخياء ، وقد احتفظ في سلوكه بكثير من سنن الجاهلية . فمن سخائه أنه اعان لبيدا على كرمه ومروءته ، فقد صعد الوليد المنبر يوما فخطب بالناس قائلا : « ان أخاكم لبيد بن ربيعة قد نذر في الجاهلية ان لا تهب صبا الا اطعم ، وهذا يوم من ايامه ، وقد هبت صبا فاعينوه ، وانا اول من فعل » ثم ارسل الوليد مائة بكرة وكتب اليه بأبيات قال : (١)

أرى الجزار يشحذ شفرتيه
اذا هبتْ رياحُ ابى عقيل
اشمُّ الانفِ اصيدُ عامريٌّ
طويل الباع كالسيف الصقيل
وفى ابنُ الجعفريِّ بحلفتيه
على العلاتِ والمال القليل
بنحر الكُومِ اذ سحبت عليه
ذيولُ صبا تجاذب بالاصيل

فلما بلغت ابياته لبيدا قال لابنته : « اجيبيه ، فلعمرى لقد عشت برهة وما اعيا بجواب شاعر » فقالت ابنته :

---

(١) الاغاني جـ ١٤ ص ٩٤ـ٩٥ ط ساسي ، والشعر والشعراء ص ٨٩ ، وطبقات الشعراء ص ١١٤ ، وجمهرة اشعار العرب ص ٣٩ .

اذا هبتْ رياحُ ابى عقيل
دعونا عند هبّتِها الوليدا [١]

اشمَّ الانفِ اروع عبشميا
أعانَ على مروءته لبيدا

بامثال الهضابِ كأن ركبَا
عليها من بني حامٍ قعودا

ابا وهب جزاكَ اللهُ خيرا
نحرناها فاطعمنا الثريدا

فعدْ ان الكريم له معاد
وظنى يا بنَ أروى ان تعودا

هذه صورة من اريحية الوليد ومروءته وسخائه وشاعريته ، فأما جرائره ونزواته ، فما يروى من شربه الخمر ، فقد شكاه اهل الكوفة الى الخليفة وقالوا : انه يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل حتى الصباح ، وقد صلى بالناس صلاة الفجر اربعا ، وخطب الناس فحصبوه بحصباء المسجد ، فدخل قصره يترنح ويتمثل بأبيات لتأبط شرا [٢] :

ولستُ بعيدا عن مُدامٍ وقينةٍ
ولَا بصفا صلدٍ عن الخير معزل

ولكنني اروى من الخمر هامتي
وأمشى الملا بالساحبِ المتسلسل

ويبدو ان رواية شربه الخمر معززة باشعار ندمائه ، فهذا ابن ارطاة يخاطبه : [٣]

---

(١) المصدر السابق . اروع : الذي يروعك ويدهشك حسنه .
(٢) مروج الذهب جـ٢ ص ٣٤٤ .
(٣) الاغاني جـ ٢ ص ٢٥٧ ط الدار وكذلك فعل ابو زبيد الطائي بعد ان عزل الوليد ، ينظر معجم الادباء جـ ٤ ص ١١٤ .

أصبحْ نديمك من صبهاءَ صافيةٍ

حتى يروحَ كريما ناعمَ البـــالِ

واشرب هُديتَ ابا وهب مجاهـرةً

واختل فانك من قوم اولى خـــالِ

وتناول الحطيئة هذه الحادثة ، ففكه بها وسخر بطريقـة خبيثـة ماكرة ، اضفى عليها طابعا دينيا ، فقال : (١)

شـهد الحطيئـةُ يوم يلقى ربَّـه

أنَّ الوليـدَ احـقُ بالعـــذر

نادى وقد تمتْ صـلاتُهـــم

أأزيـدكم ؟ ثمـلاً وما يـدري

ليزيدهـم اخـرى ولو قبـــلوا

لقرنت بـين الشفـع والـــوتر

حبسوا عنـانك في الصـلاة ولـو

خلوا عنـانك لم تــزل تجـري

وعزل الوليد واقيم عليه الحد .

وكان ان حصلت الفتنة وثار الشغب ، فحوصر الخليفة واضطـرب أمر المسلمين ، وقد وصف حنظلة الكاتب اضطراب امر الناس ، وابـدى

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص٣٤٤ . ونسب قريش ص ١٣٠ والكامل ج ٣ ص ٤٠ لست اقطع بصحة ما يروى حول الوليد بن عقبة فقد تكون الاخبار عنه مهولة او ملفقة انظر ردود ابى بكر بن العربى وتعليقات محب الدين الخطيب في العواصم من القواصم ص ٨٥ وما بعدها . الا ان الشعر الذي نسوقه يصور طبيعة ذلك العصر حقه وباطله .

حرصه على الخلافة والخوف من عواقب الفتنة وما يستتبعها من ظلم وضلال : (١)

عجبتُ لما يخوض الناس فيه
يرومون الخلافةَ أنْ تزولا

ولو زالت لزالَ الخيرُ عنهم
ولاقوا بعدَها ذُلاً ذليلا

وكانوا كاليهود او النصارى
سواءٌ كلهم ضلّوا السبيلا

ولما قتل خليفة المسلمين ، تحرك شعراء المسلمين فبكوه ، وقاموا في الناس ـ وبخاصة حسان وكعب بن مالك ـ يستنهضون هممهم ، ويقرعونهم على قعودهم عن نصرة أمير المؤمنين ، ويذكرونهم بعواقب الفتنة ، فقد وقف كعب بن مالك على مجلس الانصار في مسجد الرسول فأنشدهم : (٢)

من مبلغُ الانصارِ عنى آيةً
رُسُلا نقص عليهُم التبيانا

ان قد فعلتم فعلةً مذكورة
كست الفضوح وأبدت الشنآنا

بقعودكم في داركم وأميرُكم
تُحشى ضواحى داره النيرانا

بينا يرجى دفعكم عن داره
مُلئت حريقا كابيا ودخانا

(١) الطبري ـ جـ٢ ق٢ ص ٣٠١١ ط اوربه · و جـ ٣ ص ٤١٧ط الاستقامة والكامل جـ ٣ ص ١٦٧ ·

(٢) الاغاني جـ ١٥ ص ٢٧ ط ساسى ، جـ ١٦ ص ٢٢٨ ط الدار · الشنآن : البغض ·

وقام حسان يتوعد القتلة ، ويدعو الناس الى ان يثوبوا الى الرشد ، فقد عز عليه وكبر ان يرى الناس منصرفين عن الجهاد في سبيل الله الى الفتنة والضلال ، قال : (١)

اتركتم غزو الدروب وجئتم
لقتال قوم عند قبر محمد

فلبئس هدى الصالحين هديتم
ولبئس فعل الجاهل المتعمد

ويقول :

وكأن أصحاب النبي عشية
بدن تنحر عند باب المسجد

فابك أبا عمرو لحسن بلائه
أمسى مقيما في بقيع الغرقد

والروح الديني ظاهر في هذا الشعر ، وفي كل الاشعار التي قيلت في الرثاء ، وقد قال حسان في بكاء الخليفة يصفه بصفات الامانة والامامة والايمان ، مثيرا في الناس العواطف الدينية ، حيث قد قتله الظالمون ظلما وباطلا : (٢)

يا للرجال لدمع هاج بالسنن
اني عجبت لمن يبكي على الدمن

اني رأيت أمين الله مضطهدا
عثمان رهنا لدى الاجداث والكفن

---

(١) ديوان حسان ص ١٠١-١٠٢ والكامل جـ٣ ص ٧٣ . بقيع الغرقد : مقبرة المدينة .

(٢) ديوان حسان ص ٤١١ . السنن : مجرى الدمع . بوقا : باطلا وكذبا . محتنن : متدارك .

يا قاتلَ اللـهُ قوما كان شأنُهـــم
قتلَ الامام الامين المسلم الفطـــنِ

ما قاتلـــوه عـــلى ذنبٍ ألَـمّ بـــه
الا الذي نطقوا بوقـــا ولم يكـــنِ

اذا تذكـــرته فاضت بأربعـــة
عيني بدمـــع على الخـــدين محتتنِ

أما الوليد بن عقبـــة فقد حمّل قتل عثمان بنى هاشم ، ورماهـــم بالغدر ، فقال :(١)

بني هاشمٍ انّا وما كان بيننـــا
كصدعِ الصفا مايومضُ الدهرَ شاعبُه

بني هاشم كيف الهـــوادةُ بيننـــا
وسيف ابن أروى عندكم وحرائبُـــه

بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم
ولا تنهبـــوه لا تحـــل مناهبُـــه

غدرتم بـــه كيما تكونوا مكانَـــه
كما غدرتْ يوما بكسرى مرازبُـــه

فأجابه الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ، يدفع تهمة قتلـــه وسلبه ويضعها في عنق أهل مصر ، ومع ذلك فهو يقرر أن الخلافة لعلي من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو صاحبه وهو ولي اللـــه ، ثم يعنف الوليد ويرجمه بالفسوق :(٢)

---

(١) مروج الذهب حـ ٢ ص ٣٥٦ .
(٢) مروج الذهب حـ ٢ ص ٣٥٧ .

فلا تسألونا سيفكم ان سيفكم
أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه

سلوا اهل مصر عن سلاح ابن أختنا
فهم سلبوه سيفه وحرائبه

وكان ولي الامر بعد محمد
علي وفي كل المواطن صاحبه

علي ولي الله أظهر دينه
وأنت مع الاشقين فيما تحاربه

وأنت امرؤ من أهل صفواء نازح
فما لك فينا من حميم تعاتبه

وقد أنزل الرحمن أنك فاسق
فما لك في الاسلام سهم تطالبه

رحم الله عثمان ورضي عنه، فقد كان عهده عهد لين وتسامح، مكن للنزوات التي ألجمها حزم عمر أن تنطلق، وللاحقاد أن تتنفس، فكان عهده صورة لها وكان هو أحد صرعاها.

٤ ـ علي بن أبي طالب :

بعد أن صرعت الفتنة خليفة المسلمين، بويع علي بن أبي طالب خليفة بعد صاحبه، وقد ورث علي تركة سياسية ـ وغير سياسية ـ ثقيلة باهظة: فأتباعه ومناصروه ناقمون على ما كان من حكم عثمان، والامويون يطالبون بدم عثمان ثم هم ينقمون على الهاشميين أن تؤول الخلافة اليهم، على ما كان بين الحيين من منافسة وخلاف في الجاهلية تجدد في الاسلام. وأنصار عثمان من أهل المدينة يتهمون عليا بقعوده عن نصرة الخليفة، ثم ان كثيرا من المسلمين لم يبايعوه الا على ضيم، ومنهم من نقض بيعته وولى

وجهه شطر البصرة ليعلن الثورة عليه ، كما فعل طلحة والزبير •

وكان من أمر الشعر في هذه الفترة أن سجل الحروب الداخلية بين المسلمين ، وصور نزعات المحاربين من أنصار علي وأنصار معاوية ، وعرض العصبية القبلية التي كانت تظهر خلال تلك الحروب • ثم سجل الشعر قصة التحكيم وما رافق ذلك من خروج الخوارج على الخليفة ، وتذمر الجند ، وسخط الساخطين ، ثم حكى الشعر مؤامرة اغتيال خليفة المسلمين وحزن الناس عليه •

والشعر في هذه الفترة ينبض بالحيوية ، ويحفل بالمشاركة الواسعة في الاحداث ، والشعر نفسه خير من يعرض الاحداث ويترجمها ويفسرها • نلترو منه ما يصلح لتمثيل الدين أو السياسة في هذا العصر :

ذهب النعاة الى معاوية في الشام بقتل الخليفة عثمان ، ولصقوا جريمة قتله باعناق بني عبدالمطلب ، وحرضوا معاوية على أن يثأر له فهو وليه ، وقد عبر عن ذلك الحجاج بن خزيمة بن الصمة حين خاطب معاوية ، قال : (١)

ان بني عمك عبد المطلب
هم قتلوا شيخكم غير الكذب

وأنت أولى الناس بالوثب فثبْ
وسر مسير المحزئل المتلئبْ

وقد صار الناس شيعتين ، الاولى سخطت على الحكم وثارت عليه تطالب بدم عثمان ، وأخرى مع علي تريد تثبيت كيان الخلافة واستتباب أمر المسلمين ، فكان أن تجددت الفتنة ثانية بعد عثمان ، وكان لخروج

---

(١) الاخبار الطوال ص١٤٦ـ١٤٧ ط حنفي وفي كتاب وقعة صفين ص ٨٦ـ٨٧ زيادة وخلاف • المحزئل : المرتفع • المتلئب : المطرد المستقيم من قولهم اتلأب الامر ، اي استقام •

السيدة عائشة زوج الرسول الاثر السيء في اثارة حمية الناس وسخطهم كذلك ، فقد لقيها ـ وهي في طريقها الى مكة لتنضم الى الامويين ـ عبدُ بن أبى سلمة ، وحاورها في قتل عثمان ، ثم عبر عن حيرته من موقف أم المؤمنين فقال : (١)

منكِ البداءُ ومنكِ الغيرْ
وَمنكِ الرياحُ ومنكِ المطرْ

وأنتِ أمرتِ بقتلِ الاما
مِ وقلتِ لنا انَّهُ قد كفرْ

واذا كان الناقمون قد استغلوا خروج أم المؤمنين وعواطفها ، وسخروا ذلك لمآربهم السياسة ، فقد كبر ذلك الموقف على تقاة المسلمين الذين لم تدفعهم شهوات السياسة ومكائدها ، فها هو ذا جارية بن قدامة السعدي يلومها ويدعوها أن تقر في بيتها فيقول : « يا أم المؤمنين : والله قتلُ عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك ، على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح . »(٢) . وقد لام سعدي آخر طلحة والزبير على اخراجهما عائشة ، ثم اعتزل القتال وقال : (٣)

صنتم حلائلكم وقدتُم أمكمُ
هــذا لعمرك قلةُ الانصافِ

أمرتْ بجرِّ ذيولها في بيتها
فهوت تشقُّ البيدَ بالايجافِ

(١) الطبري جـ ٣ ص ٤٧٧ ط الاستقامة وفي مروج الذهب حـ ٢ ص ٣٧١ منسوبة لعمار بن ياسر قالها قبل معركة الجمل . وفيها رواية أخرى ينظر الكامل حـ ٣ ص ٨٠ جاءت بستة أبيات .

(٢) الطبري جـ٢ ق ٢ ص ٣١٢١ ط أوربا و جـ ٣ ص ٤٨٢ ط الاستقامة .

(٣) نفس المصدر والصفحة والكامل جـ ٣ ص ٨٣ .

وكانت الحرب شديدة منحوسة ، سقط فيها من سقط من كلا الفريقين ، وقد قتل لامرأة من عبد القيس ابنان ، فقالت تندب ابنيها وتبدي أسفها وندمها على ما حل بالناس في يوم الجمل [١] :

شهدتُ الحروبَ فشيبنني
فلم أرَ يوماً كيومِ الجملْ

أضرَّ على مؤمنٍ فتنةً
وأقتلهُ لشجاعٍ بطلْ

فليتَ الظعينةَ في بيتها
وليتكَ عسكرُ لم ترتحلْ

ويعتزل الزبير القتال ، بعد أن ذكره علي بن أبي طالب بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] ، وفي طريقه خرج اليه نفر من بني تميم (وكان الاحنف بن قيس قد اعتزل القتال مع قومه) ، فقتله غدرا عمرو بن جرموز ، فبكته زوجه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل : [٣]

غدَرَ ابنُ جرموز بفارس بُهمةٍ
يومَ اللقاءِ وكانَ غيرَ مُسددِ

يا عمرو لو نبّهتهُ لوجدته
لا طائشاً رعشَ الجنان ولا اليد

هبلتك أمُك انْ قتلت لمسلماً
حلت عليك عقوبةُ المتعمدِ

ونلاحظ هنا ذكرا لحكم الاسلام في القتل العمد . وكذلك قتل في

(١) مروج الذهب جـ٢ ص٣٧٨-٣٧٩ . وعسكر : هو جمل عائشة .
(٢) مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٧١ .
(٣) مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٧٣ .

وقعة الجمل طلحة بن عبيد الله ، قالوا : قتله مروان ، حين هم بالرجوع واللحاق بصاحبه الزبير [(١)] • وفي هذا اليوم قتل محمد بن طلحة مع أبيه وكان يدعى بالسجاد ، وفيه يقول قاتله : ان صريعه كثير العبادة ، يتلو آيات الله وسط المعركة ، وقد قتله واستحل ذلك القتل لا لشيء الا لانه لم يتبع عليا • ويبدو أن محمدا كان يذكر قاتله بكتاب الله ، وكان يذم الحرب ويكرهها للناس ، وما خرج الا برا بأبيه •[(٢)] قال قاتله :

وأشعثَ سجادٍ بآيات ربه
قليل الاذى فيما ترى العينُ مسلمِ

شككتُ له بالرمح جيب قميصه
فخرَّ صريعا لليدين وللفمِ

على غير شيء غير أن ليس تابعا
عليا ومن لا يتبعِ الحقَّ يندمِ

يذكرني (حاميم) والرمحُ شارع
فهلا تلا حاميم قبل التقدمِ

وبعد وقعة الجمل توجه على نحو الكوفة ، وقد قال الشنى يحرض على حرب معاوية الذي وصفه بالحية الصماء ، بعد القضاء على طلحة والزبير : [(٣)]

قل لهذا الامام قد خبت الحر
بُ وتمت بذلك النعماءُ

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٧٣-٣٧٤ • قيل رماه بسهم حين هم بالرجوع •

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٤ ، يقال ان عليا قال : (هذا رجل قتله بره بأبيه وطاعته له) ينظر ج ٣ ص ٩٩ •

(٣) الاخبار الطوال ص ١٤٤-١٤٥ ط حنفى •

وفرغنا من حرب من نكث العهـد
وبالشـام حيّـة صمـاء

تنفث السم ما لمـن نهشتـه
ـ فارمها قبل أن تعض ـ شـفاء

وكما حرض الشنى في العراق عليا ، كان الوليد بن عقبة قد كتب الى معاوية بالشام يحرضه على حرب علي والمطالبة بدم عثمان ، قال : (١)

ألا أبلـغ معـاوية بن حـرب
فانك من أخـي ثقـة مليـم

قطعت الدهـر كالسـدم المعنى
تهدر في دمشق فما تريـم

وليس أخو التـرات بمن توانـى
ولـكن طالب التـرة الغشـوم

• • •

وقومـك بالمدينـة قـد أبـيروا
فهم صرعـى كأنهم الهشـيم

وقد توجه على تلقاء الشام لمقاتلة معاوية ، وقد وقف العراق مع علي ، والشام مع معاوية فسجل الشعر هذا الصراع والخلاف بين الفريقين ، وتراد الشعراء ، فكتب معاوية الى علي بأبيات كعب بن جعيل (٢) :

أرى الشـام تكـره ملك العراق
وأهـل العراق لـه كارهونا

(١) الطبـري ج ٢ ص ٣٢٥٨ ط أوربـة ، ج ٣ ص ٥٦٢ ط الاستقامة والكامل ج ٣ ص ١١١ • السدم : المغتـاظ المحنق • ابيروا : هلكـوا •

(٢) الاخبار الطوال ص١٥١ ط حنفي ، ووقعة صفين ـ نصـر ابن مزاحم ص٦٣ •

وكــلٌ لصاحبــه مُبْغِضٌ
يرى كُلّ ما كان من ذاك دينـــا

وقالــوا علــيٌ امــام لنـــا
فقلنا رضينا ابن هندٍ رضينا .. الخ

فكتب علي يجيبه بلسان النجاشي ، قال[١] :

دَعَنَ معــاويَ ما لــن يكونـــا
فقــد حَقّقَ اللــهُ مــا تحذرونا

أتاكــمُ علــيٌ بأهــل العــراق
وأهــلِ الحجاز فمــا تصنعونا

فان يكــره القــومُ ملك العــراق
فقِدما رضينا الذي تكرهونا ... الخ

وتهيأ الفريقان للحرب وخوض معركة صفين ، ولا شك أن المسلمين كانوا في محنة وحرج وبلاء كبير ، وقد عبر عن ذلك البلاء ووصف المحنة كعب بن جعيل ، حين كان يطوف على الجند وهــم يصلحون سيوفهم ورماحهم ، قال [٢] :

أصبحت الأمــةُ في أمــرٍ عَجَب
والملك مجمــوع غــداً لمن غلبْ

فقُلت قــولاً صادقاً غــير كــذب
ان غــداً يهلك أعــلام العــرب

غــداً نُــلاقي ربنـــا فنحتسب
يا رب لا تشــمت بنـــا ولا تُصب

(١) الاخبار الطوال ص١٥١ـ١٥٢ ، ووقعــة صفين ص٦٥ـ٦٦ وفيها خلاف عما هنا .

(٢) وقعة صفين ص٢٥٣ـ٢٥٤ والكامل جـ٣ ص١١٧ .

من خلع الأنداد كُـلّاً والصُلُبْ

غداً يكونون رمـاداً قـد كُثِبْ

بعد الجَمـالِ والحيـاء والحَسَبْ

ويلتقي الجيشان ويكون من أمرهما ما يكون ، ويتراد الشعراء فيقف عمرو بن العاص في جيش معاوية يستثير همم الجنـود ، ويتهم علياً بدم عثمـان[1] :

يا أيهـا الجيشُ الصليبُ الأَيمانْ

قوموا قياماً فاستعينوا الرحمـن

انـي أتانـي خبـرٌ فأبـكان

أنَّ عليـاً قتل ابنَ عفـان

رُدُّوا علينـا شيخنَا كمـا كان

ويصيح رجل من أهل الشام[2] :

ردوا علينـا شيخنا ثـم بَجَـلْ

أولا تكونـوا جزَراً من الأسـل

فيجيبه رجل من أهل العراق :

كيف نـرد نعثـلا وقـد قَمَـلْ

نحن ضربنا رأسـه حتى انجَعَـلْ

لمـا حكى حكمَ الطواغيت الأُوَلْ

وجار في الحُـكم وجار في العمـل

---

(١) الاخبار الطوال ص١٦٨ ، ووقعة صفين ص٢٥٦ .

(٢) وقعة صفين ص٢٥٧ . بجل : حسب . قمل : أي نفخ يريد هنا تضخمت بطنه بعد الموت . انجعل : انقلب وسقط .

وأبدلَ اللـــه بـــه خيرَ البـــدل

أقدمَ للحربِ وأنكى للبطـــل

ولا شك أن هذا الشعر ـ ككثير من الشعر الوارد في كتاب وقعة صفين ـ مزور مصنوع تظهر فيه النزعة الشيعية المتعصبة • فهو الى كونه ضعيفا ركيكا ، فيه نقمة من عثمان وشتيمة له ، في وقت لم تبلغ العصبية ضد عثمان هذا المبلغ ، بل كانت نقمة المقاتلين ضد معاوية الذي خرج على طاعة الخليفة علي ، وليس على عثمان خليفة المسلمين •

والشعر في هذه الموقعة كثير ، وكان للنقيضة مكان بارز ، فها هو ذا عبيد الله بن عمر يرتجز في جيش معاوية ، محرضا على قتال علي ، فيرد عليه الاشتر النخعي[1] في جيش علي • وفي هذا الشعر ضرب من التمجد بالعصبيةالقبلية والزهو الذي يقتضيه المقام ، ولا نجد فيه بعد ذلك أثـــرا للمحاجة السياسية أو الدينية ، كالشعر الذي سبقه في التحريض على القتال والدعوة للحرب •

وفي صفين سقط عمار بن ياسر صريعا ، فرثاه الحجاج بن غزيـــة الانصاري ، بأبيات يشير فيها الى حديث الرسول بأن عمارا تقتله الفئـــة الباغية ، قال[2] :

قال النبيُّ له تقتلـك شِرْذِمَـــةٌ

سـيطت لحومهُم بالبغـي فُجَّـــارُ

فاليومَ يعرفُ أهـــلُ الشام أنهمُ

أصحابُ تلك وفيها النار والعـــارُ

ولما التحم الناس واشتد القتال وأوشك النصر أن يحالف عليا ، رفع

---

(١) مروج الذهب جـ٢ ص٣٩٣ ووقعة صفين ص٣٣٧ •

(٢) مروج الذهب جـ٢ ص٣٩٢ •

الشاميون المصاحف على أسنة الرماح ليكون بينهما كتاب الله ، فوصف النجاشي الحارثي ذلك بقوله[1] :

فأصبحَ أهلُ الشام قد رفعوا القَنا
عليها كتابُ اللهِ خيرُ قُرآنِ

ونادَوْا علياً : يا ابن عمِّ محمدٍ
أمَا تتَّقي أن يهلِكَ الثقلانِ

وقد خدع أهل العراق وتفرقوا ، وقد سئم الفريقان القتال لكثرة ما سقط من القتلى ، وفتر حماس الناس ، والاحداث الكبرى ومنها الحروب عندما تستمر وتكثر الخسائر ، يفقد الناس كثيرا من معنوياتهم ونشاطهم . وكذلك كان في صفين ، فقد ظهر التذمر بين الجند وثار السخط ، ويسر ذلك للعصبية أن تظهر وتتنفس ، فهذه امرأة عراقية تندب أولادها الثلاثة الذين سقطوا في صفوف جيش علي تقول[2] :

أعينيَّ جودا بدمعٍ سَرِبْ
على فتيةٍ من خيار العربْ

وما ضرَّهم غيرُ حَينِ النفوس
بأي امرئٍ من قريشٍ غلب

وهذه المرأة لا تنظر للمعركة على أنها في سبيل الله وفي سبيل تثبيت كيان الخلافة ومصلحة المسلمين ، بل تراها معركة في سبيل السلطة بين حيين من قريش ، أو رجلين منهما .

وكانت هذه النزعة المتذمرة الساخطة قد تفشت بين الناس ، وبخاصة في جند علي ، حيث بدأ أصحابه يتخاذلون وينفضون من حوله ، يلتمسون

---

(١) مروج الذهب جـ٢ ص٤٠٠ .
(٢) نفس المصدر ص٤٠٥ .

الاعذار للرجوع أو الهزيمة ، وقد كلم الاشعث بن قيس علياً بقوله : « يا أمير المؤمنين قد كلت سيوفنا ، ونفدت نبالنا ، ونصلت أسنة رماحنا ، فدعنا نستعد بأحسن عدتنا »(١) . وصار العراقيون يتسللون الى أوطانهم ، فلم يبق معه الا نفر يسير ، وبلغ السخط بالناس واليأس أن ارتد جماعة من المسلمين الى دين النصرانية ، فقد قيل : ان الحارث بن راشد الناجي قد سار في ثلاثمائة من الناس ، فارتدوا الى النصرانية(٢) وقد حارب علي هؤلاء المرتدين ، كما حارب الخوارج .

حتى اذا بلغ علي بن أبي طالب أجله ، تصدى له عبدالرحمن بن ملجم المرادي ، فطعنه طعناته اللئيمة الآثمة . وقد بكى الشعر علياً ـ وما زال يبكيه حتى يومنا هذا ـ فمما قيل عند قتله شعر لأبي الاسود الدؤلي ، يعنف فيه معاوية ، ويحمله دم علي ، ويذكر فضائله وسجاياه(٣) :

ألا أبلغ معاوية بن حربٍ
فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا
بخير الناس طراً أجمعينا ؟
قتلتم خير من ركب المطايا
وذللها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها
ومن قرأ المثاني والمبينا

---

(١) نفس المصدر ص٤١٨ .
(٢) نفس المصدر ص٤١٨ .
(٣) مروج الذهب جـ٢ ص٤٢٨ . ينظر الكامل جـ٣ ص١٥٧ . وفي شذرات الذهب ـ ابن العماد جـ١ ص٥١ ورد الشعر بمخاطبة الخوارج مع خلاف في بعض الابيات .
ألا قل للخوارج أجمعينا
فلا قرت عيون الشامتينا

اذا استقبلت وجـه أبى حُسَيْنٍ
رأيت النورَ فوق الناظرينـا

لقـد علمت قريشٌ حيث كانـت
بأنـك خيرُهم حسبـاً ودينـا

وفي هذا الشعر ضعف في التركيب وغلو لا يرضاه علي لو كـان حيا • ومع ذلك فالألفاظ الاسلاميـة « شهر الصيام ، والمثاني ، والمبين » وضعت للشعر قيمة دينية وتاريخية •

وبعد علي يظهر شعر الخوارج وينشط مناقضا شـعراء الشـيعة العلويين ، وفي الكتب التاريخية طرف من تلك النقائض القائمة على الحجاج الديني والمفاضلة في البر والتقوى[١] •

* * *

والى هنا نكون قد انتهينا من رصد الشعر الاسلامي ، ووصف أحواله وأطواره ، منذ أول عهد الرسول حتى مصرع آخر خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم • وبانتهاء هذا العهد تكون فترة المخضرمين قد انتهت لتبدأ فترة أخرى هي فترة العهد الاموي •

---

(١) ينظر في مروج الذهب جـ٢ ص٤٢٦ـ٤٢٨ شعر عمران بـن حطان ونقيضة طاهر بن عبدالله الشافعي •

خصائص

شعر المخضرمين

خصائص شعر المخضرمين

بعد أن ألمنا بشعر المخضرمين في بيئاته الثلاث ، وتعرفنا من خلال ذلك على مجموعة ليست بالقليلة من نماذجه ، واطلعنا على أطواره في عهد الرسول وفي عهد خلفائه الراشدين ومدى تصويره لاحداث العهد ، بعد ذلك كله نريد أن نتعرف على خصائص وميزات هذا الشعر ، ونحاول أن نجملها هنا مؤكدين على المهم البارز فيها :

لقد بقي شعر المخضرمين في غالبه محافظا على نمطه الجاهلي وأسلوبه، متمسكا بالمثالية التي كان يصدر عنها الشعر قبل الاسلام ، فهو بعامته يتسم بالايجاز ، وقوة التعبير ، وجزالة اللفظ ، وتعدد الموضوعات ، وبراعة الاوصاف ، وقد لا يميز القارىء شعر البادية في هذا العصر وشعر مكة عن الشعر الجاهلي ، أما شعر المدينة المتأثر بالاسلام ففيه بعض التجديد ، من حيث المعنى والاسلوب ، فنجد العذوبة ، والسلاسة ، ورقة الالفاظ ، ووضوح المعاني ، في القصائد والمقطعات ذوات الصلة بالموضوعات الاسلامية.

أما من حيث عموم الشعر ، فالنهج الجاهلي هو السائد في أساليب الشعراء ، في المديح والهجاء والفخر والرثاء ، فاذا نظرنا في قصيدة البردة « بانت سعاد » ، وهي من القصائد الهامة في الاعتذار للرسول ومديحه ، نجدها جاهلية حتى في ذكر الرسول ومديحه عليه السلام ، وكذلك الحال في مديح كعب بن مالك وحسان بن ثابت ، وهذا يعني أنه لم يحدث تطور واسع في القصيدة العربية على هدى الاسلام ، وهذا أمر طبيعي ، لأن عصر المخضرمين عصر انتقال من حياة العرب القديمة الى حياتهم

الاسلامية الجديدة ، وفي عصور الانتقال لا تبرز الظواهر الجديدة في الفن الا بعد فترة تستقر فيها النفوس وتتفتح الاذهان على متطلبات العهد الجديد . ولذلك فليس غريبا أن يكون الطابع الجاهلي هو الذي يصبغ شعر العصر ، بل أن الروح القبلية ظاهرة في شعر الشعراء المسلمين أنفسهم على الرغم من أن الاسلام جاء ليغض من هذه الروح ، ويضع في نفوس القوم مفهوم الامة ، مكان القبيلة .

ولعل من الاسباب التي جعلت الشعراء يرتبطون بالمثالية الجاهلية ، أن أكثر الشعراء الفحول كان نضوجهم الفني والعقلي في الجاهلية ، فحسان أدرك الاسلام وهو كبير ، وكذلك لبيد ، وكعب بن مالك ، وكعب ابن زهير ، والنابغة الجعدي ، والحطيئة ، وغيرهم . ولذلك فقد نظر النقاد وتابعهم المحدثون ، فصنفوا الشعراء المخضرمين في عداد الجاهليين ، لأنهم بهم أشبه ، وبخصائصهم ألصق .

لقد كان ظهور الدين الاسلامي في هذا العصر ، هو الظاهرة الكبرى فيه ، وقد كانت المدينة هي المنطلق الذي اندفع منه المسلمون لينشروا الدين الجديد ، وكان أهل المدينة من مهاجرين وأنصار هم أصحاب الدين ، وحملته وفقهاؤه ، لذلك كان طبيعيا أن يظهر أثر هذا الدين في شعر هذه البيئة قبل غيرها ، واذا صح أن تطلق كلمة « الشعر الاسلامي » في هذه الفترة ، فانما تتمثل في شعر المدينة الذي مثل الدين دون غيره . الا أن هذا الشعر لم يكن ليعبر عن القيم والمبادىء الدينية على الوجه المرجو من شعراء الرسول ، وذلك لان الشعراء ما كان بوسعهم أن يتخلصوا بسهولة من الطريقة التي ألفوها في نظم الشعر وصياغة المعاني التقليدية ، هذا أولا ، وثانيا لأنهم أنفسهم لم يكونوا ليستوعبوا ويدركوا ادراكا عميقا واضحا المبادىء والقيم الدينية ، بحيث تؤثر في سلوكهم ونظرتهم للناس وللحياة وللشعر أيضا . فكان لذلك أثر الدين في شعرهم وقفا على استعمال ألفاظ وتعابير دينية ، أو ذكر أحداث ومناسبات اسلامية ، أو

تضمين آيات قرآنية ، وكل هذا يدخل في باب النقل من تعاليم الاسلام لا الابداع وابتكار المعاني المستوحاة من هدى الاسلام وتعاليمه ، فـكان من المؤمل أن يستفيد الشعراء من اسلوب القرآن ، في التذكير ، والوعد ، والوعيد ، والمحاججة ، وسوق الامثلة والقصص وغير ذلك •

ويبدوا أن الشعراء المسلمين لم يكونوا متمهلين مستأنين في نظمهم ، ليتتبعوا دقائق المعاني القرآنية التي ـ لو أدركوها ونظموا عـلى هديها ـ تمكنهم من الاضطلاع بالمهمة المنوطة بهم ، في التعبير عن وجهة نظـر الاسلام وعن أماني المسلمين ، ويلاحظ أن الشعر الذي قيل في مناسبات دينية ـ شعر الحروب الاسلامية مثلا ـ يكون المعنى الديني فيه مقتصرا على بيت أو أبيات في القصيدة في آخرها أو خلالها ، وقلما تكون القصيدة كلها في معالجة المفاهيم والمعاني الدينية ، وكثيرا ما تكون قصائد حسان مثـلا ـ الممثل الرسمي لشعر المسلمين ـ مفصلة في ذكر فنون الجاهلية ، من فخر وحماس وهجاء ووصف ، فاذا ما تـناولت أمرا اسـلاميا نجد هَمّ الشاعر أن يذكر الرسول أو الكتاب أو الجهاد أو الضلالة أو الهدى ، ثم سرعان ما يتخلص الى معان جاهلية عامة ، من فخر وعصبية وحسـن بلاء • فكأن الدين يأتي ذكره استهلالا لقصائد أو ختاما لها ، أو المرور بالمعنى الديني مرا سريعا في بيت أو أبيات •

ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تعهد الشعراء المسلمين بالتوجيه والتسديد والرعاية ، لما توجهوا هذه الوجهة الاسلامية ، ولبقي النهج الجاهلي في الشعر هو هو •

أما المشركون ، فلم يكن للدين أثر في شعرهم ، لم يحاول المشركون محاربة المسلمين بالتهوين من أمر دينهم ، ولم يهاجموا معتقداتهم ، ولـم يسفهوا آراءهم ، مثلما سفه المسلمون آراء ومعتقدات المشركين ، وعـلى الرغم من أن القرآن الكريم قد وصف المشركين بالضلال والعمى والكفر والفسوق ، وأبطل عبادتهم وسفه آراءهم ، فانهم لم يحاولوا أن يردوا على

المسلمين بشيء فيه أثر للدين ، أو الرد على القرآن الكريم ، بل كانوا يهاجون المسلمين ويناقضونهم بالحط من قيمهم ، والانتقاص من أحسابهم ، وذكر المثالب والهزائم .

وبالرغم من أن اليهود أصحاب دين وكتاب ، فلم يكن في شعرهم أثر للدين ، أو رد ديني على المسلمين . وقد كانت المحاجة تقوم بين أحبار اليهود وبين الرسول أو المسلمين حول الاسلام ومبادئه ، وكان المؤمل أن يعكس شعر اليهود بعض المسائل الدينية التي يثيرها أحبارهم ، واذا نظرنا بعين الاعتبار الى ظاهرة ضياع الشعر وطمسه ـ شعر المشركين واليهود على السواء ـ كان هناك بعض التبرير لظاهرة ابتعاد الشعر عن طرق المسائل الدينية . ويدخل ضمن هذه المسائل الدينية ذكر الدين الجاهلي في شعر قريش ، فشعر قريش لا يعتز ولا يتطرق الى ذكر الالهة التي يعبدون أو يتقربون اليها . فاذا وردت أسماء الاصنام والاوثان في شعر المشركين ، فان ذلك لم يرد في سياق الاعتزاز بها أو التمسك بعبادتها ، أو في سياق المفاضلة بين دين الجاهلية والدين الجديد .

وقد امتاز شعر المخضرمين ، بأنه مثّل العصر ، وأرخ الاحداث ، فقد كانت الحرب الدائرة بين المسلمين والمشركين شديدة عنيفة ، وكان الشعر من أسلحة تلك الحرب ، وكان النبي يوجه شعراء المسلمين ليبلوا بلاءهم في الحرب الكلامية ، ويردوا على مزاعم قريش ويفندوها ، وكانت قريش حريصة على أن تهجو المسلمين ، وتهدم وحدتهم ، وتعيرهم بالضعف ، وقلة العدد ، وفساد الرأي ، وكان لا بد ـ في هذا الظرف ـ أن تزدهر النقائض وينشط الشعراء ، والنقائض انما تزدهر في الحروب والايام ، وقد كانت فترة العشر سنوات الاولى من الهجرة فترة حروب متلاحقة شديدة دامية ، كان الشعراء فيها يترادون بقصائدهم ، فلما كان الفتح وما بعده ، ودخلت قريش في دين الله ، صار العرب أمة واحدة تدين بالاسلام ، ووقف الخلفاء ـ وبخاصة عمر ـ في وجه شعراء الهجاء ،

عندئذ لم يعد هناك مبرر لاستمرار النقائض ، فانطمس ذكرها أو كاد .
وأهم ما يميز نقائض هذ العصر : انها قصيرة العمر ، فقد انحصر عهد ازدهارها في فترة الحروب الاسلامية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وما دام المسلمون ينظرون للحرب على أنها جهاد في سبيل الله ، ووسيلة لنشر الدين ، ودحر لقوى الكفر والضلال ، وما دام المشركون ينظرون للحرب على أنها صراع في سبيل الزعامة والرئاسة ، والسلطة القبلية ، والحرص على موروثات الجاهلية وعقائدها ، فقد كان طبيعيا أن تصطبغ النقائض الاسلامية بصبغة دينية ، وتصطبغ النقائض القرشية بصبغة جاهلية ، ونجد مصداق ذلك في هاتين النقيضتين : فقد قال ضرار بن الخطاب يوم بدر[1] :

عَجِبتُ لفخر الاوسِ والحَيْنُ دائرُ
عليهم غدا والدهرُ فيه بصائر

وفخرِ بني النجار ان كان معشرٌ
أُصيبوا ببدرٍ كلُّهم ثَمَّ صابر

فان تكُ قتلى غودرت من رجالنا
فانَّا رجالٌ بعدهم سنغادر ... الخ

فأجابه كعب بن مالك :

عجبت لأمرِ الله والله قادرُ
على ما أراد ليس للهِ قاهرُ

قضى يومَ بدرٍ أن نُلاقي معشراً
بَغَوْا وسبيلُ البغي بالناس جائر

...

---

(١) السيرة ق٢ ص١٣-١٤ .

وفينا رسولُ الله والاوسُ حولَـهُ
له مَعْقِلٌ منهم عزيزٌ وناصـرُ
فلما لَقيناهُـم وكـلٌ مجاهـدٌ
لأصحابه مستبسِلُ النفس صـابرُ
شَـهِدنا بأنَّ اللـهَ لا ربَّ غـيرُهُ
وأنَّ رسول الله بالحقِ ظاهرُ .. الخ

ضرار كان همه أن يبرز نواحي القوة وشدة البأس في قومـه ، والتهوين من فخر الاوس وبني النجار في هذا اليوم ، مع أنه يوعدهم بثأر قادم . أما كعب فقد حوّل الفخر الجاهلي الى ايمان بقدر اللـه وقضائه الذي لا يرد ، وقد وصف أعداءهم بالبغي ، كما وصف المسلمين بأنهم مجاهدون مستبسلون صابرون ، وأن رسول الله معهم عزيز منتصر ، ثم هو يشهد شهادة الاسلام بوحدانية الله ، ورسالة رسوله الظاهر بالحق .

واذا ما قلنا ان النقائض الاسلامية كانت تدور حول موضوع الاسلام كدين ونظام ورسالة ، فان ذلك لا يعني أنها كانت مبرأة من المعـاني الجاهلية التي تدور حول الاحساب ، والانساب ، والايام ، وما اليها .

وقد لاحظ الاستاذ الشـايب(١) : ان أساليب النقائض الاسـلامية ـ سواء عند الشاعر الواحد ، أو عند الشعراء من المسلمين أو المشركين ـ أساليب مضطربة ضعيفة مهلهلة ، وقد رد ذلك الى أسباب هي أسـباب ضعف الشعر الاسلامي عامة ، نذكر من ذلـك ضعف الشاعرية القرشية وحداثتها ، ثم ارتجال الشعر أمام الحوادث الطارئة ، وهرم بعض الشعراء واقتحام الشعراء كافة مجالا جديدا يتطلب المران الطويل .

واذا ما قورنت نقائض المسلمين بالنقائض التي نشطت زمن الامويين ، نجد أن الاولى أعف وأكرم ـ وان لم تخل من فحش عند حسان ـ من

(١) تاريخ النقائض في الشعر العربي ص١٣١ ط ٢ سنة ١٩٢٤ .

نقائض الامويين ، ذلك أن المسلمين كانت تحجزهم آداب الاسلام عن ذكر الاعراض والعورات .

ولقد مرت بنا ظروف شعر كل بيئة من بيئات الشعر في هذه الفترة[1] ، كما مر بنا الكلام حول ضعف شعر الفترة وضياعه والشك فيه[2] ، وتكرار ذلك كله هنا غير مستحب . الا اننا تنظر في فنون الشعر عامة ، فنجد أن بعض الفنون يزدهر وينشط وبعضها يختفي أو يكاد . فالشعر في هذا العصر متأثر كل التأثر بالاحداث الكبرى . فمنذ أن بدأت المعركة الاولى بين المسلمين والمشركين في بدر ، رافق الشعر هذه المعركة ، وسجلها متأثرا بها متفاعلا واياها ، ومضى الشعر مع الحروب فهو جزء منها وسلاح من أسلحتها ، وفي الحروب تزدهر فنون : الفخر والزهو بالقوة وحسن البلاء ، والحماسة ، والهجاء ، والرثاء ، والمديح أيضا ، وكل ذلك تستدعيه الحرب وتثيره ، أو تكون سببا في اثارته .

فقد افتخر المسلمون بقوتهم وايمانهم وجهادهم في سبيل الله ، واعتصامهم بالدين الحنيف ، كما افتخر الشعراء بأنفسهم وقومهم وبطون من قبائلهم سموها ، كما فعل حسان حين افتخر بآل النجار من الانصار ، وكما فعل العباس بن مرداس حين فخر ببني سليم ، ففخر المسلمين فيه جانبان : جانب ديني يعتز بالاسلام وبرسول الله وجنوده ، وجانب ذاتي بالنفس والاهل والعشيرة . أما المشركون فقد كان فخرهم بالقوة وشدة البأس وكثرة العدد والشجاعة والاقدام ، ولم يكونوا ليفخروا على المسلمين بدين أو عقيدة .

وقد كان وصف الحرب صفة ظاهرة في هذا الشعر ، فقد وصفت السيوف والخيول والدروع والرماح ، كما سجلت أحداث الحرب من كر وفر ، وذكرت المواضع وسمي الناس بأسمائهم ، فهذا مقدام حسن

(١) ينظر ذيل كل باب من الابواب الثلاثة الاولى .
(٢) ينظر ذلك في التمهيد .

البلاء ، وذاك منهزم لحقه عار الفرار ، وفلان صريـــع وآخر جريح • فالشعر يصف الحرب وما يرافقها من أحـــداث وملابسات وتفصيلات ، حتى ليصح الشعر الذي قيل في معركة من المعارك ، أن يعتمد نصا تاريخيا يمكن الاطمئنان اليه ، وكذلك فعل ابن هشام حين استدل من الشعر على أسماء من حضر بدرا من الذين فات على المؤرخين تدوين أسمائهم (١) •

وخلال المعارك الدامية يسقط صرعى من كلا الطرفين ، فكان أن رثى المسلمون شهداءهم ، وبكى المشركون قتلاهم ، وقد ازدهر فن الرثاء في هذا العصر ، حتى ليمكن جمع ديوان كبير من الشعر الحزين المتفجع ، في بدر وأحد خاصة • ويظل الرثاء مزدهرا حتى بعد الفتح ، فاذا كانت الحرب بين مكة والمدينة قد توقفت أو انتهت بانتصار المسلمين ، فان وفاة الرسول كانت حافزا لأن ينشط شعر الرثاء ، فيبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذا ما ولي أبو بكر أمر المسلمين جاءت الردة ، وكادت معركة اليمامة أن تقهر المسلمين ، فسقط من أصحاب رسول الله العدد الكبير ، ثم تلا ذلك مقتل عمر ، ثم حدثت الفتنة في عهد عثمان وصرعت الفتنة عثمان ، ثم قام النزاع الدامي بين علي وشيعته ، وبين أنصار عثمان • فكانت موقعة الجمل ، وصفين ، والنهروان ، حتى سقط علي بن أبـي طالب شهيدا • كانت كل هذه الاحداث حرية أن تحرك الشعر فيبكـي هؤلاء الشهداء الذين تساقطوا متتابعين ، وقد أتيح بذلك للرثاء أن يستمر ويزدهر ، لأن الاحداث الدامية كانت مستمرة متواصلة •

أما الهجاء فقد استبعد أول الدعوة ، يوم كان المسلمون ضعفاء ولـم يؤذن لهم في القتال ، والهجاء عادة ينـــال من أخلاق المهجو ومروءتـــه وعرضه ، وقد اعتبره الاسلام قذفا محرما يعاقب عليه من يتعاطاه ، أما وقد أذن الله للمؤمنين بالقتال واتخذ الصراع بين المسلمين والمشركين شـكلا عنيفا شديدا ، بأن صار حربا بالسيف واللسان ، فكان أن وجه رســول

(١) السيرة ق٢ ص١١ •

الله صلى الله عليه وسلم ، شعراء المسلمين ليذبوا عن أعراض المسلمين ، ويجيبوا شعراء قريش ويحاربوهم باشعر مثلما يفعل الاعداء ، من غير تحش ولا اقذاع ، ولذلك نقد نشط فن الهجاء ، واستمر كذلك حتى الفتح حيث دخلت قريش في دين الله ، ولم يبق لشعراء الهجاء مبررا لمضغ السباب فقد مضت الحروب وبذلك انتفت دواعي الهجاء • فلما كان عهد الخلافة الراشدة ، كانت الاحقاد القديمة تطل بين فترة وأخرى ، تثير هجاءا بين الشعراء ، وقد وقف عمر بحزمه وشدته بوجه شعراء الهجاء ، نعاقب الحطيئة ، كما عاقب عبدالله بن الزبعرى ، وضرار بن الخطاب ، حين هاجيا حسان بن ثابت بالشعر الذي منعه عمر ، وذلك الشعر هو الذي يثير الاحقاد والضغائن وهو شعر الهجاء بغير شك ، وكذلك اتبع عثمان بن عفان سنة عمر ، فقد عزر عثمان ضابئا البرجمي وحبسه في هجاء بعض الانصار • ولذلك فقد كان هذا الفن مزدهرا يوم كانت الحرب بين مكة والمدينة ، فاذا ما انتهت الحرب ودخل الجميع في دين الله صار الهجاء من أسباب الهدم والاساءة ، فخمل هذا الفن وخفت صوته •

واذا ما أتيح لبعض الفنون أن تنشط وتزدهر ، فان فنونا أخرى لم يكن لها مجال للازدهار ، فشعر الغزل والتشبيب بالنساء لم يكن له حظ الا في بعض القصائد التي حافظت على نهجها الجاهلي ، وبخاصة تلك القصائد التي قالها شعراء من البادية ، وغزلها عفيف ليس فيه قصد الى امرأة بعينها ، وهو غزل خال مما ينكره الدين الاسلامي ، مثل قصيدة كعب بن زهير في الاعتذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يقال في الغزل يقال في الخمر ووصفها ، فقد اختفى هذا الضرب من الشعر لأن الاسلام حرم الخمر وعزر شاربيها ، ولو أن أبا محجن الثقفي ظل زمنا يتغنى بذكر الخمر وشربها ، ثم ترك ذلك وذمها وهوّن من أقدار شاربيها بعد أن لقي في سبيلها ما لقي من زجر عمر وأحكامه في اقامة الحد والنفي• وقد يقال أن ذكر الخمر ــ في أغلب الظن ــ مما نظمه في الجاهلية وقد

أضيف هذا الجزء من الشعر لقصيدة الفتح لتوافق الروى والوزن •

أما المديح ـ والمديح الخاص ـ نقد قل في هذا العصر ، وذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده ، لم يكونوا طلاب ثناء واطراء وانما كانوا طلاب أجر وثواب ، وقد اتخذ شعراء المسلمين اسلوبا في مديح الرسول : ذلك هو مزج الصفات الدينية بصفات المروءة والقـوة والاقدام ، وهذا يعني أن المعاني الجاهلية في المديح تصاحب المعـــاني الاسلامية الجديدة ، فحين يوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنـــه شجاع كريم معطاء ، يوصف أيضا بأنه أمين الله بر حنيف شيمته الوفاء • وكلما تقدم الزمن بالمسلمين ، نجد تضاؤل الصفات الجاهلية في المديـــح ـ وغير المديح ـ وغلبة المعاني الدينية الجديدة ، وكذلك الامر في مديح الخلفاء على قلته •

ولعل لانصراف المسلمين عن المديح الكاذب ، والغلو في الاطراء من ناحية ، ولفرض الارزاق من بيت المال لاكثر الشعراء ، من ناحية ثانية ، قل المتكسبون بالشعر فخمل شعر المديح •

من كل ما تقدم نجد أن الاحداث الاسلامية قد ساعدت على ازدهار بعض الفنون ، كما عملت على اضمحلال فنون أخرى وخمولها •

الخاتمـــة

وبعـــد :

فقد تناولت هـذه الدراســة فترة المخضرمين التي يستغرق زمانهـا قرنا من الزمان ، ممتدا من الجاهلية حتى نهاية عهـد الراشدين وأول الحكم الاموي ، وقد كان لهذه الفترة مكانة فضلى ومنزلة مقدسة في نفوس العرب والمسلمين ، ذلك لانها فترة الرسالة والوحي ، فترة رسول اللـه صلى الله عليه وسلم وصحابته أئمة المسلمين وقادتهم • وهي بعد ذلـك نقلة كبرى في حياة العرب من عهد راكد محافظ ضال ، الى عهد ديـن وهدى وايمان • وقد نالت هذه الفترة عناية الدارسين ورعايتهم ، سـواء كانوا من أبناء هذه الامة أم من أبناء الامم الاخـرى فقـامت الدراسات الكثيرة الواسعة في شتى مجالات البحث ، الا أن الناحية الادبية فيها لـم تستوف حقها من الدرس والبحث والتقصي ، وذلك للظروف التي أحاطت بالشعر في هذه الفترة ، تلك الظروف التي جعلت الباحثين يتهيبون الاقدام على درس الشعر فيها •

وقد رأيت حين أقدمت على دراسة هذا العصر ، أن ظواهر الشعر وظروفه واتجاهات الشعراء ومذاهبهم ، كل ذلك مرتبط بالاحداث الهامة فيه ، والحدث الهائل الكبير الذي غير معالم الحياة وطرق التفكير هـو الاسلام ، فكان لا بد أن ينظر للشعر من ناحية علاقته بالدين ، سواء في تمثيل المبادىء الاسلامية ، والدعوة لها ، والسعي في سبيلها ، أم في معارضة هذه المبادىء ومعاداتها • وعلى ذلك قامت هذه الدراسة في شعر المخضرمين من ناحية تأثره بالاسلام •

ولم يكن عصر المخضرمين منبتا معزولا عن العصر الجاهلي ، بل ان

خصائص الجاهلية ومثلها وطرائق الفن فيها بقيت مستمرة في هذا العصر ، فكان لا بد أن يقدم بين يدي الدراسة تمهيد يبين طبيعة العصر ، ويوضح ظروف الشعر ، وما أحاط بكل ذلك من عوامل ومظاهر أثرت في حياة العرب وشعرهم ، فكان الكلام لذلك عن الجاهلية والاسلام ومثلهما ، واصطراع تلك المثل وأثرها في سلوك المسلمين وفي شعرهم • والمهم هنا أن نشير الى أن الشعر في هذه الفترة لقي أن مبادىء الاسلام وآدابه تحد من نشاطه ، تعيق بعض مناحيه ، فيجد الشعراء الحرج ، والحرج الكبير ، في طرق بعض الفنون ، كالتشبيب بالمرأة ، وذكر الخمرة ، والهجاء المقذع ، وما شابه ذلك من موضوعات تتنافى وآداب الاسلام ، وتتعارض ومبادىء الدين الجديد • أما ما دون ذلك فلم يكن الاسلام ليعيق ملكة من ملكات العرب ، أحبوها وأبدعوا فيها ، بل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد وجه الشعراء ، وسدد خطاهم ، وهذب شعرهم ، وقوم ما اعوج من طرائقهم في القول ، ثم هو يدفع بالشعر في سبيل الله ، يصطنعه سلاحا من اسلحة الحرب ، يرد فيه على هجاء الخصوم ، فيكون درعا واقيا لاعراض المسلمين ، وصوتا مسموعا يبشر بالدعوة الى الاسلام •

ولعل أهم ما يلفت النظر في شعر هذه الفترة ثلاث ظواهر : ضعف الشعر أولا ، والشك فيه ثانيا ، وطمسه وضياعه ثالثا •

فأما ضعفه فالحق أنه قد أصيب بشيء من الوهن ، فنزل عما كان عليه في عهد الجاهلية ، ولم يرتفع الى الذروة التي بلغها الشعر في العهد الاموي • ولكن ليس من الحق ان يبالغ في ذلك الضعف ، فالامر نسبي قياسا الى الجاهلية والاموية • وللضعف أسباب ، منها : أثر القرآن وبلاغته في دهشة الشعراء ، ومنها ما شغل المسلمون به من أمر الفتوح ، ومنها ابطال الدوافع الجاهلية التي تعين الشعراء على قول الشعر والتجويد فيه •

أما الشك في الشعر الاسلامي فأمر قديم فطن اليه النقاد القدامى ، ونبهوا عليه ، وعنوا صحيحه من فاسده ، كما فعل ابن سلام وابن هشام

وابن النديم • والذي أراه أن المنهج الصحيح الذي يقوم علـــى تمحيص الشعر وفحصه ، يظهر للبحث حقه من باطله ، فيرفض الفاسد من الشعر على بينة ، ويقبل الصحيح على بينة أيضا • وذلك أن يؤخذ بتنبيهات القدامى اولاً ، ويقارن الشعر المنحول بما صح من شعر الشاعر ثانياً ويدرس الظرف التاريخي الذي يعين كثيرا على معرفة الصحيح من الموضوع ثالثا ، ثـــم الحذر من الهوى في الحكم على شعر الشاعر ، ذلك الهوى الذي يؤدي الى الشطط الذي تمليه رغبة الشك ، بحيث يرفض صحيح الشعر بحجة باطلـــــه •

أما ضياع الشعر وطمسه ، فأمر طبيعي ، اذا عرفنا أن الفترة فترة حرب وصراع دام بين المسلمين وأعدائهم من قريش ومن والى قريشـا من أعراب مشركين ويهود •

وقد دام الصراع عنيفاً طويلا حتى فتح الله على المسلمين بالنصر على أعدائهم ، فذلت قريش ودخلت في دين الله طائعة أو كارهة ، فكسف الشعر القرشي ، وعاد الهجاء الذي هجي به المسلمون سبة وعارا عــلى أصحابه ، فأبيد ذلك الشعر ، أو عمل المسلمون على ضياعـــه وطمسه • وبديهي أن آداب المسلمين كانت تحظر عليهم ذكر شعر فيه هجاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لأصحابه ، وان الرسول كان قد نهى عن ذكر أشعار بعينها • واذا أتيح للمسلمين من الانصار أن يذكروا الشعر الذي قيل في الحروب الاولى ضد قريش ، فما كان لقريش أن تفعل ذلك ، وقد كان شعرها يحاد الله ورسوله والمؤمنين • ثم أن سياسة الخلفاء الحازمة ـ وبخاصة عمر ـ في منع ما قيل من شعر الامس لان فيه بثا للقبيح ونبشا للضغائن ، ثم ما تعرض له العصر من ردة وفتوح ومعارك داخلية ، كـــل ذلك كان سببا في ضياع الشعر وطمسه وابادته ، ولا سيما شعر قريش الذي لا تجد منه الا الشعر المبرأ من هجاء رسول الله وأصحابه • واذا كان القليل من ذلك الشعر قد وصل الى أيدي الرواة وكتاب السير ، فانهم

أسقطوا ذلك القليل الذي فيه دلالة على الفحش أو اشارة فيها هجاء أو نيل من المسلمين ، وكثيرا ما ينبه ابن هشام في السيرة الى أنه أسقط أبياتا نال فيها الشاعر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، او كان فيه فحش واقذاع •

وكان علي قبل الدخول في تفصيل البحث أن أحدد الخضرمة ، وما ينصرف اليه مدلول الكلمة في اللغة والاصطلاح ، فرأيت أن كلمة « مخضرم » ترد في معان كثيرة منها : الكثرة ، والسعة ، والقطع ، والرجل الهجين ، وغير ذلك من المعاني • ثم ينصرف معناها الى الشاعر الذي أدرك عصرين مختلفين ، وتبين أن هناك صلة وارتباطا بين كل تلك المعاني اللغوية ، وبين معنى الشاعر الذي أدرك عصرين مختلفين ، كما أن الاستعمال قد ذهب بمعنى المخضرم فصارت تشمل كل من شهد عصرين مختلفين ، سواء الجاهلية والاسلام ، أم غيرهما من العصور •

وحين أمكن الاطمئنان الى أن التمهيد قد عالج كل المشاكل ، وأجاب على كل التساؤلات التي قد تعترض الدرس ، مضت الدراسة في سبيلها ، وقد بنيت بعد المقدمة والتمهيد على أربعة أبواب : الاول الشعر الاسلامي ، والثاني شعر المعارضة في مكة والطائف والقرى اليهودية ، والثالث شعر البادية المتأثر بالاسلام ، والرابع شعر المخضرمين ومبلغ تصويره للاحداث الاسلامية ، ثم ختمت الدراسة بذكر خصائص شعر المخضرمين •

فأما الشعر الاسلامي فهو على فصلين : شعر الانصار أولا ، وشعر المهاجرين ثانيا • وقد كان شعر الانصار في المدينة أجود الشعر وأكثره تمثيلا للاداب الدينية ، واستجابة لمبادىء الاسلام • وقد نبغت المدينة بين القرى العربية في الجاهلية ، وكان لشعرائها المكانة الكبرى في الاسلام ، وقد برز في الاحداث الاسلامية ثلاثة نفر كلهم من الخزرج : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة • أما الاوس فقد كان لها شاعران هما قيس بن الخطيم ، وأبو قيس بن الاسلت ، وكلاهما لم

يسلم • وقد اكتفيت بالترجمة لشعراء الخزرج ، مستفيدا من الشعر الذي فيه للاسلام أثر ، ويصلح شاهدا في تصوير أحداث الفترة • ويصح أن يقال ان هؤلاء الشعراء هم الشعراء الرسميون للدولـة الاسلامية آنذاك ، حيث كانوا المعبرين عن أماني المسلمين ، المدافعين عن أعراضهم ، الممثلين لوجهة النظر الاسلامية • أما المهاجرون فكان شعرهم قد عرف منذ أول البعثة ، حين أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه بالهجرة الى الحبشة أولا ، والى المدينة ثانيا ، وقد عرف من هؤلاء عبدالله بن الحارث السهمي ، وعثمان بن مظعون ، وعبدالله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد عبد بن جحش • ومن النساء صفية بنت عبدالمطلب ، وهند بنت أثاثـــة ، ونعم بنت سعيد زوجة شماس • ويلاحظ في الشعر الاسلامي انه لم يوفق التوفيق الكامل المرتجى في تمثيل الدعوة والتعبير عنها الا بقدر ، ذلك لان الشاعر في هذه الفترة كان يعبر عن حاجات الجاهلية وحاجات الاسلام• حاجات الجاهلية التي نشأ عليها وألفها واستجاب لها وصارت جزءا مـن تكوينه الفكري والخلقي والفني ، وحاجات الاسلام الجديدة التي صارت جزءا من حياة الشاعر الجديدة ، وضرورة تمليها عليه تعاليم الاســـلام ومبادىء الدين ، وكان لا بد للشاعر أن يوفق بين الحاجتين ، فهو لـن يستطيع أن ينزع عنه موروثات الجاهلية وآثارها حتى لو أراد • ولذلك نجد الشعر الاسلامي مقصرا عن تأدية المهمة التي نيطت به وعقدت عليه ، ولكن هذا الامر في حقيقته طبيعي اذا ما نظر للظروف العامة التي تحيط بالشاعر ، فليس من الغريب أن تأتي المعاني الدينيـة في القصيدة مقتصرة على بيت أو أبيات ، ويأتي المعنى الديني مقتضبا مجملا من غير توسع ولا عمق ولا استرسال أو تفصيل ، فتذكر ـ غالبا ـ ألفاظ دينية ، كالكافر ، والمسلم ، والفاجر ، والمؤمن ، والضلال ، والهدى ، والجنة ، والنـار ، والذين نصروا الآله ، والبر الحنيف ، وغير ذلك • ومع أن الســـور والآيات الكريمة كانت تنزل في الاحداث وفيها حث وتوجيه وتقريـــع المشركين ، ومخاطبة المؤمنين • مع كل ذلك فلم تكن افادة الشعر مـــن

المعاني القرآنية الا بقدر ، وفي حدود معينة • الا أن هناك تعويضا جاء من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو برعايته شعراء المسلمين ، وتوجيههم ، وتسديد خطاهم ، ونهيهم عن أمور ، وحضهم على أخرى ، كان أن سد نقصهم ، ورعى مواهبهم ، وتعهدها بالصقل والتهذيب والتوجيه • وقد أثمرت جهود الرسول الكريم في صقل مواهب الشعراء المسلمين ، فأتت أكلها عند الفتح أو قبله بقليل ، فقد بدأ المعنى الاسلامي يتضح في الشعر ويعمق ، وصارت الشخصية الاسلامية تتميز عن شخصية الشاعر الجاهلي • فبعد أن كان الفخر في الحرب بقوة العدة والعدد ، وبلاء القبيلة وكسب المغنم وسبي العدو ، صار الفخر في شعر المسلمين بنيل الشهادة في سبيل الله ، وانتصار جند الله وأمة المسلمين على أعداء الله المشركين ، وصار الكسب كسب رضوان الله ورسوله ، لا كسب الشاة والبعير • وكان طبيعيا لذلك أن يكون أسلوب الشعر خاضعا للمعنى الجديد ، فغدت لغة الشعر سهلة لينة ابتعدت عن خشونة الكلمة الجاهلية ، وصعوبة تركيب عبارتها ، ولذلك فليس من الغريب أن يلين شعر حسان ، ويسلس شعر كعب ، أما ابن رواحة فيكاد أن يكون شعره كلام المتخاطبين ، وهو حديث النفس المؤمنة التي تفصح دون اعياء أو تعقيد • وكان لجودة هذا الشعر وخصبه أن ساهم مساهمة فعالة في نشر الدعوة واخضاع المشركين والمتمردين على الدين ، فيكفي أن يتفوق حسان على شاعر تميم ليسلم ذلك الوفد ، ويشهد أن هذا الرجل ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ مؤتى له ، كما أن أبياتا قالهن كعب بن مالك بعد حنين توقع الرعب في قلب دوس فتسارع الى اعلان اسلامها واستسلامها • فكان شعر هؤلاء الشعراء سيفا مصلتا على رقاب المشركين ، وسلاحا بيد رسول الله يخضع به أعداء الدين •

لقد طرق الشعراء المسلمون أكثر فنون الشعر ، وان تميز فن الرثاء بين الفنون الاخرى ، لكثرة ما استشهد من المسلمين في المعارك التي دارت بينهم وبين قريش ، أو بينهم وبين اليهود • ثم رثاء رسول الله صلى الله

عليه وسلم والصحابة ، وكان لحمزة عم الرسول النصيب الاوفى من ذلك الرثاء ، ولم يكن شعر الرثاء الا صورة من صور الدعاية للدين ، وبث الافكار الاسلامية ، لان شعراء المسلمين كانوا يمزجون رثاء القتلى بثوات الآخرة ، والتنعم بجنان الخلد ، والشهادة في سبيل الله أسمى غاية يسعى اليها المسلم ، فالروح المعنوية لدى المسلمين قوية ظاهرة ، ولم تتح هـذه الناحية للمشركين ، فلم يجدوا التبرير المقنع لقتل أصحابهم ، ولم يكن أمامهم الهدف السامي البعيد الذي ترتبط اليه نفوسهم .

وقد وقف ضد هذا الشعر يجبيه ويناوئه ويعاديه ، شعر المعارضة في مكة والطائف والقرى اليهودية . فأما مكة فقد حباها الله مكانة دينية مقدسة ، وقد أفاد المكيون من وضع مدينتهم الديني والتجاري ، فمكثوا آمنين من الغزوات والحروب . واذا كان هذا الوضع الآمن قـد جنب المكيين الحزازات والمنازعات ، فانه من ناحية أخرى كان سببا في ضعف شعرهم وقلته . واذا كان لشعراء مكة شعر قبل الاسلام ، فهو شعر قليل ليس بذي خطر كبير ، فلم يحفل به النقاد القدامى . وقد برز شعرها في الاسلام ابان الحروب الاسلامية ، فنهض شعراؤها يحملون راية النضال ضد الدين الاسلامي ، ويقاتلون دون دينهم الموروث وتقاليدهم القديمة ، وأبرزهم عبدالله بن الزبعرى ، وضرار بن الخطاب ، وابو سفيان بـن الحارث ، وهبيرة بن أبي وهب ، وكلهم عرف بعدائه الشديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته المؤمنين ، ولم يكن هؤلاء شعراء مكـة وحسب ، بل ان معركة بدر فتقت القرائح وحفزت الهمم ، فقال الشعر كثرة من الشعراء وان كانوا دون أولئك البارزين ، فعرفنا منهم الحـارث ابن هشام ، وأبا عزة الجمحي ، وعمرو بن العاص ، وأبا أسامة معاوية بن زهير ، وأبا بكر شداد بن الاسود ، ومسافع بن عبد مناف . هذا غـير مقطوعات وأبيات تسقط لشعراء آخرين . وكما كان في المسلمين نسـاء شواعر ، يرثين القتلى ، ويحرضن على القتال ، فكذلك كان الامر عنـد

المشركين ، فقد أظهرت الاحداث شعرا لشواعر قريش ازدهر بعد معركة بدر خاصة • واذا علمنا أن القرشيين كانوا قد اصطحبوا نساءهم في غزوة أحد ، كان من الطبيعي أن ينشدن الاراجيز في الحث على القتال ، وتحريض الرجال على أن ينالوا من المسلمين ، مثلما نال المسلمون منهم يوم بدر • وكانت هند بنت عتبة أشد المتحمسات في تلك المعركة ، فقد حرضت ، وبكت ، وهجت ، وتشفت ، ومثلت بالقتلى ، ونكلت بالشهداء ، ولا سيما بحمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث بقرت بطنه عن كبده • ولمعت في تلك الاحداث صفية بنت مسافر ، وقتيلة بنت النضر ، التي قالت قصيدة من أروع الشعر واشجاه في عتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل ابيها النضر بن الحارث ، الذي أسر يوم بدر وقتل بالصفراء صبرا •

وقد وقفت الطائف الى جانب مكة في عدائها للدين الجديد ، وقد عرف في الطائف شعراء ثلاثة ممن أدركوا الاسلام هم : أمية بن ابى الصلت ، وأبو محجن الثقفي ، وكنانة بن عبد ياليل ، وكان أمية ابرز من صاحبيه وأشدهما عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحسدا له ، وحقدا عليه • كان أمية ممن انكر الاصنام وشك في جدوى عبادتها ، وذهب مذهب الاحناف ، وكان يطمح أن يبعث نبيا • فلما ظهر رسول الله كفر به حسدا وبغضا ، وانحاز الى اعدائه المشركين يناصرهم ويحرضهم على قتال المسلمين ، يبكي قتلاهم ، ويعظم مصيبتهم ، في قصيدة له مشهورة يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم منع انشادها في ذلك الحين • وأما أبو محجن الثقفي ، فعلى الرغم من اشتراكه مع قومه في حرب المسلمين حين حاصر رسول الله الطائف ، وأنه اصاب في ذلك اليوم بسهمه عبدالله بن ابي بكر ، على الرغم من ذلك فأن جهده في هذا السبيل لا يقوم مقام شعراء المشركين أو يعد منهم ، وما أضيف الى شعراء المشركين لمآتيه تلك ، بل لان جل شعره كان في الخمرة التي حرمها الاسلام ، فهي منكر من المنكرات يعاقب الاسلام متعاطيها • وكنانة بن عبد ياليل فارق الاسلام

مهاجرا الى الشام حين أسلم قومه ، ولزم الكفر ، وله شعر يرد فيه على كعب بن مالك في حصار الطائف ، وكان قد انضم الى هوازن في حربها ضد المسلمين .

وبيئة ثالثة كانت مباءة للكفر والنفاق ، جدت واشتدت في عداوتها للدين وللرسول وأصحابه المسلمين ، تلك هي القرى اليهودية المحيطة بالمدينة والمنبثة على طريق الشام . ومع أن اليهود أصحاب دين وكتاب ، ومع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع كتابا أول الهجرة ثبت لهم فيه الضمانات الصريحة الواضحة التي تكفل لهم حرية العبادة والحفاظ على أموالهم ، مع كل ذلك ، فأنهم نقضوا العهد ، ونافقوا ، وحرضوا قريشا على قتال المسلمين ، فكانوا العدو القريب للاسلام ، فحاربهم رسول الله واجلاهم .

وشعر اليهود الذي مثله كعب بن الاشرف ، وسماك اليهودي ، وجبل بن جوال ، وغيرهم ، ظهر في بكاء قتلاهم من بني قريظة والنضير ، وفي هجاء المسلمين والتشبيب بنسائهم ، وفي تحريض القرشيين على المسلمين لاستئصالهم .

هذا الشعر بجملته في مكة والطائف والقرى اليهودية ، هو شعر المعارضة الذي وقف يعادي ويهاجي المسلمين ، واذا رحنا نتلمس السمات العامة لهذا الشعر ، نجد أن ما يتصل منه بالاسلام أو فيه ذكر له قليل ، والحقيقة ان الذي وصل منه وحفظ هو أقل القليل ، وقلة هذا الشعر مرتبطة بالظروف التي رافقت شعر المعارضة .

وهذا الشعر بعامته نشأ وترعرع في ظل الغزوات والحروب القائمة بين مكة والمدينة ، وقد أنتهى الشعر بأنتهاء تلك الحروب في فتح مكة ، ولم يكتب له البقاء بعد الفتح ، وفي ظل الخلفاء الراشدين . فهو على هذا شعر مقطوع ، شعر فترة قصيرة حدودها بين الهجرة والفتح . ويلاحظ

أن هذا الشعر يكاد يخلو ـ الا في القليل ـ من أثر الدين ، فاذا قرأنا شعر مكة وهم أصحاب البيت ، وسدنة الكعبة ، ومركز الالهة ، ومباءة الاوثان ، لا نجد مجادلة او محاجة أو تعرضا لمبادىء الاسلام ونظمه ، ولا نجد كذلك اعتزازا بدينهم وتفضيلا له أو تمسكا به ، اللهم الا ذلك الضرب من الاعتزاز بدين الاباء والتمسك بموروثات الاجداد • وقد وضح ذلك عند الشعراء في البادية ، كمخاطبة كعب بن زهير ، وتعنيفه لاخيه بجير ، أو معاتبة زوج العباس بن مرداس حين ذهب زوجها ليسلم وفارق أخوان الصفا والصنائع ، كما تقول • وكذلك الامر في شعر الطائف ، فعلى الرغم من أن امية بن ابي الصلت كان من الاحناف ، وكان أكثر شعره في ذكر الآخرة ، مع كل ذلك فقصيدته التي يبكي فيها أصحاب القليب من قريش ليس فيها شيء من ذكر الآخرة والدين ومحاجة المسلمين • ويتضح الامر أكثر في شعر اليهود فهم أصحاب كتاب وتراث ديني قديم ، وان أحبارهم كانوا يحاجون الرسول ويسائلونه ، يريدون احراجه • واذا قرأنا ما وصل من شعرهم في هذه الفترة ، لا نجد لتلك المحاجة أثرا ولا اعتزازاً بدينهم ، ولا نجد مفاضلة بين دينهم والدين الاسلامي ، ومن غير المعقول ان يكون الامر كذلك • فاذا كنا نرجع خلو شعر مكة والطائف من اثر الدين الى أنهم لم يكونوا متمسكين بدينهم ، فهذا لا يكون سببا راجحا في تطبيقه على شعر اليهود • وهناك ظاهرة أخرى في هذا الشعر هو أنه لم تكن لتجمعه وحدة فكرية أو وحدة مكانية ، فهو شعر قرى مختلفة في الثقافة والشاعرية والنظرة الى الدين ، واذا كان العداء للدين الاسلامي قد جمعهم ، فان الحماس ضد هذا الدين يختلف عند القرشيين الموتورين عنه عند الثقفين أو اليهود • وبالرغم من كثرة الشعراء في هذه البيئات ، فان جهودهم ضد الاسلام كانت مبعثرة ، ولعل لهذا ولانتصار الاسلام في فترة قصيرة كان خمول شعر المعارضة ، وتفرقه ، وقلته ، وضياعه •

واذا انتقلنا الى البادية نجد الامر يختلف كل الاختلاف ، ففي البادية

شعر وافر غزير ، ولا يعنينا من أمر هذا الشعر الا ما كان فيه للاسلام أثر او لشعرائه صلة بالحياة الاسلامية ، فقد تأثر بعض شعراء البادية بالاسلام ، واتصلوا بحاضرة المسلمين •

والشعر هذا هو شعر الفحول من مثل العباس بن مرداس ، وكعب بن زهير ، والنابغة الجعدي ، ولبيد العامري • وكلهم شاعر مكثر مشهور، ولم يكن بينهم من المغمورين المقلين الا بجير بن زهير • وهؤلاء هم الذين ظهر للاسلام أثر واضح في شعرهم • وكل هؤلاء الشعراء وغيرهم من الاعراب دخلوا الحياة الاسلامية بعد فترة الحرب بين مكة والمدينة أو قبل نهايتها بقليل ، واذا عرفنا أن فورة الشعر وازدهاره كانت خلال الحروب، وفي بدر وأحد والخندق خاصة ، أدركنا السبب في عزلة هذا الشعر عن مشاركته في الاحداث الاسلامية • وقد بدأت صلة شعر البادية بالاسلام قبيل فتح مكة بقليل ، وأستمر في حياة الخلفاء الراشدين حتى أدرك عهد معاوية بن ابى سفيان ، وشارك بعضه في الفتنة التي قامت بين العراق والشام ، أو بين علي ومعاوية •

وشعراء البادية هم بقية الجاهلية في الاسلام ، وشعرهم جاهلي اعرابي بكل صفاته • ولم يكن اسلامهم ليغير من المنهج العام الذي لزمه الشعراء في صياغة الشعر ونظمه ، ففيه كثرة القصائد الطوال التي تحفل بكل فنون الشعر ومعانيه ، وتتعاقب في القصيدة الواحدة اكثر موضوعات الشعر : من غزل ، ووصف ، وفخر ، ومديح ، وحكمة ، وهذه الميزة لم تتوفر في شعر القرى العربية الذي تكثر فيه المقطعات القصيرة ، حيث تتوفر فيها الوحدة الموضوعية غالبا • واذا كان شعراء مكة والمدينة قد شغلتهم الحروب ، فترادوا بالشعر وتهاجوا ، فظهرت في شعرهم المناقضات ، فان شعراء البادية دخلوا الحياة الاسلامية بعد فترة النزاع ، فلم تكن النقيضة ــ لذلك ــ مدار شعرهم وحوارهم ، وقد مثل شعر البادية بيئته بكل دقائقها وتفصيلاتها ، وابرز ما في البادية الروح القبلي ، والنزعة

العصبية ، فقد عبر عن عواطف القبيلة ومجد آثارها وسجل وقائعها .

لقد كانت الدراسة في الابواب الثلاثة الاولى معنية برصد الشعر الاسلامي ، ووصف احواله ، وصلته بالدين في البيئات التي نشأ فيها ، فهي دراسة اقليمية . أما في الباب الرابع : (شعر المخضرمين ومبلغ تصويره للاحداث الاسلامية ، فالدراسة تعنى برصد الشعر الاسلامي عامة ، تبعا للاحداث البارزة منذ اول الهجرة حتى نهاية الفترة الاسلامية بمجيء معاوية الى الحكم سنة احدى وأربعين ، فهي دراسة زمنية وقد قسم الموضوع الى مرحلتين لكل منهما فصل ، الاول : الشعر زمن الرسول ، والثاني : الشعر زمن الخلفاء الراشدين . فأما الفصل الاول فقد بديء بذكر ملاحظات تلفت نظر الدارس ، ذلك أن المناقضات والاهاجي الشديدة التي كانت قائمة بين الاوس والخزرج في المدينة ، قد أذهب الاسلام ريحها بهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أن وجه الرسول المقدرة الهجائية والحماس الذاب عن الاهل والعشيرة الى مناقضات ضد المشركين في مكة معقل الكفر والاذى ، فنشط الشعر بعد فترة ركود ، وحركت المعارك والخصومات حسان بن ثابت وكعب بن مالك في المدينة ، وأظهرت عبدالله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب في مكة يجيبانهما ويناقضانهما ، كما حركت الخصومات والاحداث الدامية الشاعرية القرشية ، فنشطت وبرزت . ونبهت القرى العربية الاخرى فحركت هممها وشاعريتها ، فكان أن وقفت الطائف الى جانب قريش كما أنضمت يهود الى معسكر المشركين ، واحتدم النزاع الشديد طيلة السنوات التسع التي كانت بين الهجرة والفتح ، وزها الشعر في هذه الفترة ، وأشتد حماس الفريقين كلما اشتد وقع الحرب وكثرت فيها الدماء . وكان أول يوم ثبتت فيه قوة المسلمين وفرضت هيبتهم على الاعداء المشركين ، يوم بدر ، فقد كانت هزيمة منكرة لقريش ، حيث رجعت من المعركة خائبة مندحرة تنوح على قتلاها وتهجو المسلمين . وكان المسلمون يفخرون بالنصر ويعيرون قريشا

الهزيمة ، فقامت النقائض بين الجانبين • وقد وصفت بدر وصفا موفقا ، وصفت الحرب وأحداثها وملابساتها وآلتها ، وسجلت بطولة المنتصرين وانهزام المنهزمين ، وقد نزلت في هذا اليوم سورة الانفال ، تناولت المعركة من كل وجه وبأسلوب قرآني لا يرقى اليه أسلوب • وقد حاول الشعر ان يستفيد من هذه السورة ، فوفق في جانب وفاته جوانب كثيرة ، والفرق كبير بين نظرة القرآن للمعركة ، ونظرة الشعر ، فنظرة الشعر فردية عصبية ، فيها شماتة وفيها هجاء وقذف وفخر وزهو • أما آيات الله في ذلك فقد تسامت على كل ذلك ، فصورت المعركة من وجهة الايمان وهدى المهتدين ، ونصر الله المسلمين وتأييدهم بجنود من عنده •

واذا كانت وقعة بدر يوما للمسلمين على المشركين ، فقد كانت وقعة أحد يوما للمشركين على المسلمين ، فهو يوم محنة وبلاء وموعظة للمؤمنين• فبعد عام من بدر جاءت قريش بجموعها وأحابيشها ونسائها لتثأر لذلها وهزيمتها في يوم بدر • وقد سجل الشعر احداث أحد ، فكان القرشيون يفخرون بالنصر والثأر ، ويعلنون فرحتهم وشماتتهم بقتلى المسلمين ، وكان المسلمون يناقضونهم ويدفعون دعواهم بأن النصر الحق هو بثبات الايمان ضد قوى الكفر والعصيان • ثم يبكون قتلاهم بكاء فيه حزن شديد ، ولوعة مشبوبة ، وكذلك يلاحظ أن التوفيق الذى احرزه الشعر في تصوير المعركة ووصف أحداثها ، كان دون روعة الايات الستين من سورة آل عمران التي نزلت في هذا اليوم ، وان كان الشعر قد أفاد من هذه الايات البينات فائدة كبيرة مذكورة • وشعرت قريش أن شوكة المؤمنين قوية لم تكسر ، فراحت تجمع الجموع وتحزب الاحزاب وتحرض القبائل على المسلمين لاستئصال شأفتهم من المدينة ، فكانت موقعة الخندق ، وكان أن نقض اليهود العهد الذي عقدوه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ما كان من مناوشات ومبارزات ، وفشل الحصار ، ورجعت قريش مغلوبة على أمرها لم تحقق من أحلامها الطائشة شيئا • وكان يوم الخندق سببا لما نزل

بقريظة والنضير من عقاب شديد ، جزاء وفاقا للغدر والخيانة ، وقد احاق المكر السيء بأهله . وقد رصد الشعر أحداث هـذه الايام فحكى أمرها وسجل أحداثها بتفصيل وتقص ، وقد نزلت في ذلك سورة الاحـزاب ، وكان الشعر قد أفاد من السورة الكريمة فائـدة جلى ، فظهر في أشعار الشعراء تطور وفهم لطبيعة الدين وروحه .

ويكون عام الفتح ، حيث كتب الله لرسوله أن يدخل مكة منتصـرا وقد دحرت معاقل الشرك والوثنية ، ويكون الفتح ايذانا بنهـاية شـعر المعارضة وخمول شعرائها . والحقيقة أن الفتح كان بدء مرحلة جديـدة في الشعر ، حيث أنهى شعر المعارضة والمهاجاة مهمته ، لان أسباب الخصام قد حسمت وأنتفى وجودها ، وبدأ ضرب جديد من الشعر ، ذاك هو شعر التوبة والاعتذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشعر الوفـود ، ثم شعر الردة ، والشعر الذي كان يعالج مشاكل الحياة الجديدة ، وشـعر الفتوح والجهاد في سبيل الله .

أما الشعر الذي قيل في فتح مكة فيكفى أن تكون قصيدة حسان :

عفت ذات الاصـابع فالجـواء

الى عـذراء منزلهـا خـلاء

قد غطت على كل ما قيل ، وفيها يظهر الفخر الاسلامي ، والاعتـزاز بالدين ، والتمثيل الواضح لمبادىء الاسلام . ولم يكن فتح مكـة ليقضي على فلول الشرك كلها ، فقد بقى أعراب هوازن وأهل الطائف ، وقـد غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واصطدم معهم في حنين وكـان النصر لله ورسوله ، بعد رجة ارعبت المسلمين وفرقت من تفرق . ثـم سار رسول الله الى الطائف فحاصرها غير كثير ثم نزلت على أمره . وقد خلفت هاتان الغزوتان شعرا أكثره للعباس بن مرداس ، فظهرت فيـه النزعة الاعرابية المتعصبة الى جانب الحس الديني المغتبط بانتصار الاسلام.

وبعد أن استقر الامر للمسلمين بالقضاء على أعدائهم المشـــركين ، تحركت أعراب الجزيرة لتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم • فمنهـا من جاء يعلن اسلامه ، ومنها من جاء يجادل ويمارى ، ومنها من كـــان خائفا وجلا جاء يستأمن ويعلن توبته وندمه • وقد كان في هذه الوفـود ـ فرادي وجماعات ـ شعراء قالوا شعرا وقد ظهر في ذلك الشعر للديـن اثر ، سواء كان ذلك الاثر واضحا قويا أم ضعيفا باهتا ، يعتمد اللمـــح والاشارة • فعلى كل حـــال هو شعر قيل في مناسبة دينيـة ، وبحضـرة رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وحين فقد المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بكاه الشعر ، بكاه الرجال مثلما بكته النساء • وكان الشعر الذي قيل فيه حزن وجزع ووصف للفجيعة النازلة وحسرة على فقد النبي ، وقد ظهر النفس الاسلامي فيه واضحا جليا • الا أن ذلك الشعر ـ رغم صدقه ولوعته ـ ما كان ليرقى الى مقام السيد الامين عليه السلام ، وقد نعتذر للشعراء في ذلك بأن المصيبة كانت قد ألجمت أفواه الشعراء فارتج عليهم ، نعم كانت المصيبة أكبر من أن يصورها الشعر أو تتحملها النفوس ، والقرائح عادة لا تجيد التعبيـر الواضح المبدع وقت الازمات وأبان المصائب •

والى هنا نكون قد انتهينا من رصد الشعر زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليبدأ عهد آخر هو عهد الخلافة الراشـــدة ، وشعر عصـر الرسول بعامة هو أحسن شعر هذه الفترة وأغزره وأخصبه ، ولا غـرو في ذلك فالفترة فترة حماس وخصومة وشدة ، أتاحت للشعر أن يزهـو ويزدهر ، أما في عهد الخلفاء الراشدين فللشعر أمر آخر • فبعد وفـاة الرسول شب الخلاف بين المسلمين حول الخلافة فيمن تكون ولمن تكون : نظر اليها المهاجرون وأرادتها الانصار وطمعت فيها بقية قريش من غـير المهاجرين والانصار • وقد قام الخصام وكاد يستفحل ، وصور الشـعر تلك المشكلة ، فأحتج الشعراء كل لفريقه وصاحبه بحجج هي من الـدين

وان افتقرت الى روحه ، فهي مفاخرات ومفاضلات ودفع ورد وشتيمة في بعض الاحايين ، وأجمع الناس على ابي بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخليله ، وثاني اثنين اذ هما في الغار • ولم تكن خلافة أبي بكر لتقطع لغو الشعراء ولجاجة الطامعين ، حتى جاءت الردة وتمردت بعض القبائل ، فألفت المحنة آن ذاك بين قلوب المهاجرين والانصار ، ومسحت الاطماع فألتفوا جميعا حول أبي بكر يريدون العدو الجديد • وبفضل حزم أبي بكر وشدته على المشركين قمعت الردة بزمن قصير ، وقد خلفت الردة شعرا أكثره بدوى أعرابي ، ليس فيه للاسلام أثر الا في النادر القليل • وما أن قمعت الردة حتى سارت الجيوش الاسلامية لتكتسح العراق وتمحق الكفر هناك ، وكانت الفتوح التى حمل لواء النصر فيها خالد بن الوليد • وكان أن وصف الشعر مسيرة خالد وهيبة الجيش الاسلامي • وشعر هذا العهد أكثره لشعراء مغمورين من الامصار المفتوحة، وشعرهم في وصف الحرب والفرق منها ، وتوقع الذل والهزيمة والسخط على الزمان الذي أذلهم وجعلهم سواما بأيدى الاعراب ، بعد عز ونعمة في كنف المناذرة الملوك •

وأبرز عهد حفل فيه الشعر وأينع وزها ، هو عهد عمر بن الخطاب ، ذلك لان عهد عمر كان من أطول العهود وأحفلها ، ولان عمر نفسه كان من نقاد الشعر ورواته والمقبلين عليه ، فهو يرى في جيد الشعر دعوة الى الخير ، وتثبيتا لمكارم الاخلاق ، وتسجيلا لاحساب العرب وايامها ، وحفظا لمكارمها وسجاياها • وكان مع ذلك شديدا على شعراء الهجاء ، ألجم أفواههم عن فاحش القول ، وأخذهم بالحد والعقوبة الصارمة ، ونهاهم أن يذكروا ما قيل من شعر بين مكة والمدينة يوم كانت مكة على الشرك والضلال •

وقد برز في عهد عمر شعر الفتوح الذي رددته الامصار الاسلامية ، قاله الجند المحاربون وتغنى به المنتصرون ، وكان فيه روح من هدى

الاسلام ومسحة من تعاليمه ، واذا ما كتب لعمر أن يصرع شهيدا بكاه الشعر ، وذكر مقامه ، ومقتله ، وفضله ، وتقاه •

ويأتي عهد عثمان بن عفان ، ولم يكن عثمان مقبلا على الشعر محبا للشعراء ، فكان لا يحسن الظن بهم • عنده أن الشاعر لا حريم له ، ان شبع شبب بنساء أهله ، وان جاع هجاهم • ولذلك كان الشعر في زمنه ضعيفا فاترا قليلا ، وقد سار عثمان مسيرة عمر في زجر شعراء الهجاء ، الا أن جهود عثمان تلك لم تكن لتحول دون الغرائز التى وجدت متنفسا في عهده ، فنفثت شعرا فيه هجاء وفيه سخط وتذمر • وكانت الحياة في عهد عثمان قد توسعت وتعقدت بما كان من أثر الفتوح ، فظهر الشعر الذي يعبر عن هذه الحياة الجديدة ، تمثل بالسخط على الولاة والتذمر من تهاون بعضهم في أمور الدين • وقد حدثت في هذا العهد أحداث وفتن ، وقام الشغب الذي أودى بحياة خليفة المسلمين • فكان أن سجل الشعر تلك الاحداث ، وصور تلك الفتن ، وأضرم نار الحماس في الصدور حزنا على عثمان ، وحسرة على شتات كلمة المسلمين •

بعد أن صرعت الفتنة عثمان ، بويع علي بن أبي طالب خليفة بعد صاحبه • وقد ورث علي تركة سياسية وغير سياسية باهظة ثقيلة ، فأتباعه وشيعته ناقمون على ما كان من حكم الامويين ، والامويون يطالبون بدم عثمان ، ثم هم ينقمون على الهاشميين أن تؤول الخلافة اليهم على ما كان بين الحيين من منافسة وخلاف في الجاهلية تجدد في الاسلام ، وأنصار عثمان من أهل المدينة يتهمون عليا بقعوده عن نصرة خليفة المسلمين • ثم ان كثيرا من المسلمين لم يبايع عليا الا على ضيم ، ومنهم من نقض بيعته وولى وجهه شطر البصرة ليعلن الثورة عليه ، كما فعل طلحة والزبير • وكان من أمر الشعر في هذه الفترة أن سجل الحروب الداخلية ، وصور نزعات المحاربين من انصار علي وأنصار معاوية ، وعرض العصبية القبلية التي كانت تظهر خلال الحروب ، ثم وصف الشعر معركة الجمل وصفين،

وحكى قصة التحكيم وما رافق ذلك من خروج الخوارج على علي ، وتذمر الجند وسخط الساخطين • حتى اذا بلغ علي أجله تصدى له عبدالرحمن بن ملجم فطعنه طعناته اللئيمة الغادرة ، فبكى الشعر عليا ، وناح عليه ، ووصف مصرعه وشهادته ، رحمة الله ورضى عنه •

والى هنا تكون فترة المخضرمين قد آذنت بالانتهاء ، ليبدأ عهد جديد هو العهد الاموي ، حيث نشطت فيه كل المذاهب والفنون التي وجدت اصولها وجذورها في عهد المخضرمين •

وبعد فهذه هي القسمات البارزة في هذه الدراسة على أصغر صورة يمكن أن يجملها العرض ، وهي في شكلها هذا دراسة بكر فيما أحسب ، والدراسات البكر لا تكون أحكامها قاطعة حاسمة ، ولا يكون يقينها الا ظنا قد ترجح كفته وقد تشيل • وما هذه الدراسة الا خطوة في الطريق ، آمل أن تتلوها خطوات تكمل ما فيها من نقص ، وتقوم ما قد يكون فيها من عوج • وحسبي أني أخلصت النية فيما بنيت من أحكام وما بلغت من نتائج ، وعلى الله قصد السبيل ، والحمد لله اولا وآخرا •

٢٤ ربيع الاول ١٣٨٣ هـ
الاسكندرية ــ الاربعاء : ١٤ آب ١٩٦٣ م

يحيى وهيب الجبوري

ثبت المصادر والمراجع

الآلوسي ـ محمود شكري ـ ١٣٤٢ هـ بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ط ٢ بعناية محمد بهجة الاثري ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٤م

ابن الاثير ـ محمد بن الجزري ـ ٦٣٠ هـ ١ ـ النهاية في غريب الحديث والاثر ط حجرية ٠

٢ ـ اسد الغابة في معرفة الصحابة ط حجرية ١٢٨٦ هـ ٠

٣ ـ تاريخ الكامل ـ ط حجرية غير مؤرخة ٠

احمد امين ـ فجر الاسلام ط ٧ مطبعة النهضة ٠

الاسد ـ ناصر الدين ـ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ط دار المعارف ٠

الاصفهاني ـ ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاموي ـ ٣٥٦هـ الاغاني ط دار الكتب و ط ساسي حسب ما يذكر في الهامش ٠

الاعشى ـ ميمون بن قيس ـ ٦٢٩م ديوان الاعشى كتاب الصبح المنير في شعر ابي بصير الاعشى والاعشين الاخرين ـ بعناية جاير ط بيانه ١٩٢٧ م ٠

البخاري ـ ابو عبدالله محمد بن اسماعيل ـ ٢٥٦هـ ـ صحيح البخاري المسمى جامع الصحيح ـ ط مصطفى الحلبي ١٣٤٥ هـ ٠

بروكلمان ـ كارل ـ تاريخ الادب العربي ـ ترجمة عبدالحليم النجار ط دار المعارف مصر ٠

البصير ـ محمد مهدي ـ عصر القرآن ـ ط المعارف بغداد ١٩٤٧ ٠

البغدادي ـ عبدالقادر بن عمر ـ ١٠٩٣ هـ ـ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ـ ط حجرية المطبعة الاميرية ـ بولاق

بلاشير ـ ريجيس ـ تاريخ الادب العربي ، العصر الجاهلي ـ ترجمة ابراهيم كيلاني ط دار الفكر · دمشق ·

البلاذري ـ احمد بن يحيي بن جابر ـ ٢٧٩هـ ـ فتوح البلدان ـ ط المصرية بالازهر ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٢ م ·

البكري ـ عبدالله بن عبدالعزيز ٤٨٧ هـ ـ سمط اللالى (يحتوى على اللالى في شرح امالى القالى) ـ بعناية عبدالعزيز الميمنى ط لجنة التاليف والترجمة والنشر ·

البهبيتي ـ نجيب محمد ـ تاريخ الشعر العربي حتى اخر القرن الثالث الهجري ـ ط دار الكتب ١٩٥٠ ·

البيضاوي ـ عبدالله بن عمر ـ ٦٨٥هـ ـ تفسير البيضاوى (انوار التنزيل واسرار التاويل) ـ ط ٢ البهية المصرية ١٣٤٤ ١٩٢٥ ·

التبريزي ـ ابو زكريا يحيي بن علي ـ ٥٢٠هـ ١ـ شرح بانت سعاد ـ ط كرنكو
٢ ـ شرح الحماسة ـ ط ٣ السعادة ١٣٤٦ هـ ·
٣ ـ شرح القصائد العشر ـ ط٢ المنيرية ١٣٥٢هـ

الثقفي ـ ابو محجن ـ ٦٥٠م ـ ديوان ابى محجن الثقفى ـ ط آبل مط بريل ١٨٨٧م ·

الجاحظ ـ ابو عثمان عمرو بن بحر ـ ٢٥٥هـ ١ ـ البيان والتبيين ـ ط هارون و ط السندوبي ·
٢ ـ الحيوان ـ ط ساسى و ط هارون ·

جرجي زيدان ـ العرب قبل الاسلام ـ ط حسين مؤنس ·

الجرجاني ـ عبدالقاهر ـ ٤٧٤هـ ـ دلائل الاعجاز ـ ط ٣ دار المنار ١٣٦٦

ابن جنى ـ ابو الفتح عثمان ـ ٣٩٢ هـ ـ الخصائص ـ ط ٢ دار الكتب ·

جواد علي ـ تاريخ العرب في الاسلام ـ ط المجمع العلمي العراقي ·

جولد تسيهر ـ اجناس ـ العقيدة والشريعة في الاسلام ـ الترجمة العربية ط دار الكاتب المصري ١٩٤٦ ·

الحاجرى ـ محمد طه ـ في تاريخ النقد والمذاهب الادبية ـ ط رويال ١٩٥٣

ابن حجر ـ احمد بن علي العسقلاني ـ ٨٥٢هـ الاصابة في تمييز الصحابة ط التجارية ١٩٣٩ .

الحسيني ـ محمد مرتضى ـ ١٢٠٥ هـ ـ تاج العروس في جواهر القاموس

الحصري ـ ابراهيم بن علي ـ ٤٥٣ هـ ـ زهر الاداب ـ ط ٢ زكي مبارك .

ابن ابي الحديد ـ عبدالحميد بن هبة الله ـ ٦٥٥ هـ ـ شرح نهج البلاغة ط دار الكتب العربية الكبرى ـ الحلبي .

ابن حزم الاندلسي ـ علي بن سعيد ـ ٤٥٦ هـ ـ جمهرة انساب العرب ط بروفنسال مط دار المعارف .

حسان بن ثابت ـ ٥٤ هـ ـ ديوان حسان بن ثابت ـ شرح البرقوقي ١٣٤٨ هـ .

الحطيئة ـ ٣٠ هـ ـ ديوان الحطيئة ـ ط نعمان امين طه ١٣٧٨ .

الحيدر آبادي ـ محمد حميد الله ـ وثائق الاسلام السياسية ـ ط ٢ لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٣٧٦ هـ .

ابن خلدون ـ عبدالرحمن ـ ٨٠٨ هـ ـ المقدمة ـ ط مصطفى محمد ـ مصر

خلف الله ـ محمد احمد ـ دراسات في الادب الاسلامي ـ ط لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧ .

خليفه ـ حاجى خليفه مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي ـ ١٠٦٦ هـ ـ كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون ـ ط مصر ١٢٧٤ هـ .

دحلان ـ احمد زينى ـ ١٣٠٤ هـ ـ السيرة النبوية والاثار المحمدية بهامش السيرة الحلبية ـ ط مصطفى محمد مصر .

الدوري ـ عبدالعزيز ـ مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ـ ط الكاثوليكية ١٩٦٢ .

الدينوري ـ ابو حنيفة احمد بن داود ـ ٢٨٢ هـ ـ الاخبار الطوال ـ ط عبدالحميد حنفي و ط وزارة الارشاد القومي .

ابو ذر الخشني ـ بن محمد بن مسعود ـ ٣٣٠ هـ ـ شرح السيرة النبوية ط هندية بمصر ١٣٢٩ هـ بعناية بولس برونله .

ابن رشيق ـ ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني ـ ٤٦٣ العمدة في محاسن الشعر وادابه ـ ط ٢ محمد محيى الدين عبدالحميد مط السعادة

الزبيري ـ ابو عبدالله المصعب بن عبدالله ـ ٢٣٦هـ ـ نسب قريش ـ ط ليفى بروفنسال دار المعارف ـ مصر ٠

الزمخشري ـ جار الله محمود بن عمر ـ ٥٨٣ هـ ١ ـ اعجب العجب في شرح لامية العرب ـ ط ٣ الوراق ١٣٢٨ ٠
٢ ـ اساس البلاغة ـ ط دار الكتب المصرية ٠
٣ ـ الفائق في غريب الحديث ـ ط حيدر آباد ـ الهند ٠

الزوزني ـ ابو عبدالله الحسين بن احمد ـ ٤٨٦ هـ ـ شرح المعلقات السبع ط التجارية ١٣٥٨ ، ١٩٣٨ ٠

السجستاني ـ ابو حاتم سهل بن محمد ـ ٢٥٥ هـ ـ كتاب المعمرين ط كولدتسيهر ٠ ليدن ١٨٩٩م ٠

سحيم ـ عبد بني الحسحاس ـ ديوان سحيم ـ ط عبدالعزيز الميمني دار الكتب ١٩٥٠ ٠

ابن سعد ـ محمد بن سعد بن منيع الزهري ـ ٢٣٠ هـ ـ الطبقات الكبير ط سخو ٠ ليدن ١٣٢٢ ـ مط بريل ٠

ابن سلام ـ محمد بن سلام الجمحي ـ ٢٣١ هـ ـ طبقات فحول الشعراء ـ ط محمد شاكر ـ دار المعارف ٠

السهيلي ـ أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ـ ٥٨١ هـ ـ الروض الانف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام ط الجمالية ١٣٣٢ ، ١٩١٤ ٠

ابن سيد الناس ـ محمد بن محمد الشافعي الاندلسي ـ ٧٣٤ هـ ـ عيون الاثر في فنون المغازي والسير ـ ط مصر ٠

السيوطي ـ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ـ ٥٣٨هـ ١ ـ الاتقان في علو القرآن ـ ط مصر ١٩٣٥م ٢ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ـ ط السعادة ١٣٢٥ و ط دار أحياء الكتب ٠

الشايب ـ أحمد ـ ١ ـ تاريخ الشعر السياسي ـ ط ٢ السعادة ١٩٥٣
٢ ـ تاريخ النقائض في الشعر العربي ـ ط ٢ النهضة المصرية ١٩٢٤ .

ابن الشجري ـ ٥٤٢ هـ ـ الحماسة ـ ط حيد آباد ١٣٤٥ .

شيخو ـ لويس ـ شعراء النصرانية ـ ط الآباء اليسوعيين .

صاعد الاندلسي أبو القاسم صاعد بن أحمد ـ ٤٦٢ هـ ـ طبقات الامم ـ ط الكاثوليكية ١٩١٢ .

الصولي ـ أبو بكر محمد بن يحيى ـ ٣٣٦ هـ ـ أدب الكتاب ـ ط الاثري ١٣٤١ .

الضبي ـ المفضل بن محمد الضبي ـ ١٧٠ هـ ـ ١ ـ المفضليات ـ ط السندوبي ١٣٤٥ ، ٢ ـ ديوان المفضليات شرح ابن الانباري ـ ط كالوس لايل ١٩٢٠ .

ضيف ـ شوقي ـ التطور والتجديد في الشعر الاموي ـ ط ٢ دار المعارف

الطبري ـ أبو جعفر محمد بن جرير ـ ٣١٠ هـ ـ ١ ـ تاريخ الطبري ـ (تاريخ الامم والملوك) ط الاستقامة ١٣٥٧ وط الاوربية ، ٢ ـ تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) ـ ط بولاق .

طه احمد ابراهيم ـ تاريخ النقد الادبي عند العرب ـ لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ .

طه حسين ـ في الادب الجاهلي ـ ط لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٢٧

ابن عبدالبر ـ يوسف بن عبدالبر النمري ـ ٤٦٣ هـ ـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب ـ ط حيدر آباد ١٣١٨ .

ابن عبد ربه ـ احمد بن محمد الاندلسي ـ ٣٢٨ هـ ـ العقد الفريد ـ ط احمد أمين ورفيقيه و ط العريان .

عبدالله بن هشام ـ شرح بانت سعاد ـ ط كويدي .

ابن العربي ـ القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله المعافري ـ ٥٤٣ هـ ـ العواصم من القواصم ـ ط السلفية ـ محب الدين الخطيب .

العسكري ـ أبو هلال ـ ٣٥٩ هـ ـ الصناعتين ـ ط مصر ١٣٢٠ ٠

ابن العماد ـ عبدالحي بن العماد الحنبلي ـ ١٠٨٩ هـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ ط مصر ١٣٥٠ ٠

ابن فارس ـ أحمد بن فارس بن زكريا ـ ٣٩٥هـ ـ الصاحبي في فقه اللغة ـ ط السلفية ١٩١٠ ٠

الفيروز ابا ذي ـ مجدالدين محمد بن يعقوب ـ ٨١٦هـ ـ القاموس المحيط ـ ط ٢ مصر ٠

القالي ـ أبو علي اسماعيل بن القاسم ـ ٣٥٦هـ ـ الامالي والنوادر ـ ط دار الكتب المصرية ٠

ابن قتيبة ـ أبو محمد عبدالله بن مسلم ـ ٢٧٦هـ ـ ١ ـ الشعر والشعراء ـ ط ٢ السقا ١٣٥٠ ، ٢ ـ المعارف ـ ط الصاوي ١٣٥٣ ٠

قدامة ـ **ابن جعفر** ـ ٣٢٠هـ ـ نقد النثر ـ ط دار الكتب ٠

القرشي ـ أبو زيد محمد بن الخطاب ـ ١٧٠هـ ـ جمهرة أشعار العرب ـ ط الرحمانية ١٣٤٥ ٠

الكفراوي ـ عبدالعزيز ـ الشعر العربي بين الجمود والتطور ـ مكتبة نهضة مصر ٠

كعب بن زهير ـ ٢٤هـ ـ ديوان كعب بن زهير ـ ط المجمع العلمي البولوني ١٩٥٠ و ط دار الكتب ٠

ابن الكلبي ـ ٢٠٤هـ ـ الاصنام ـ ط ٢ دار الكتب ٠

لامانس ـ عصر ما قبل الاسلام ـ ترجمة مبروك نافع ٠

لبيد العامري ـ ديوان لبيد بن ربيعة العامري ـ ط هوبر ليدن ١٨٩١ ٠

المبرد ـ أبو العباس محمد بن يزيد ـ ٢٨٥هـ ـ الكامل ـ ط مصطفى محمد ٠

محمد بن حبيب ـ ٢٤٥هـ ـ المحبر ـ ط حيدر آباد ١٣٦١ ٠

محمد محمد حسين ـ ١ ـ الهجاء والهجاؤون في الاسلام ـ مكتبة الاداب ١٩٤٨ ، ٢ ـ الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ـ مكتبة الاداب ١٩٤٧ .

محمود مصطفى ـ الادب العربي وتاريخه ـ ط ٢ مصطفى الحلبي ١٣٥٦ .

المرزباني ـ محمد بن عمران ـ ٣٨٤هـ ـ ١ ـ معجم الشعراء ط عبد الستار أحمد فراج ، ٢ ـ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ـ ط محب الدين الخطيب ١٣٤٣ .

المرزوقي ـ أحمد بن محمد ـ ٤٢١هـ ـ الازمنة والامكنة ـ ط الهند ١٣٣٢ .

المسعودي ـ علي بن الحسين ـ ٣٤٥هـ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ ط محيى الدين عبدالحميد .

المقريزي ـ أحمد بن علي ـ ٨٤٥هـ ـ امتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاموال والحفدة والمتاع ـ ط محمود شاكر ١٩٤١ .

ابن منظور ـ ٧١٦هـ ـ لسان العرب ـ ط بولاق ١٣٠٠ .

نالينو ـ كارلو ـ تاريخ الاداب العربية ـ ط دار المعارف ١٩٥٤ .

ابن النديم ـ محمد بن اسحق ـ ٢٨٥هـ ـ الفهرست ـ ط الرحمانية مصر

نصر بن مزاحم المنقري ـ ٢١٢هـ ـ وقعة صفين ـ ط عبدالسلام هارون .

النمري ـ ابن عبدالبر ـ ٤٦٣ هـ ـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب ـ ط حيدر آباد ١٣١٨ .

النويري ـ أحمد بن عبدالوهاب ـ ٧٣٢هـ ـ نهاية الارب في فنون الادب ـ ط دار الكتب ١٩٢٩ .

نيكلسون ـ رينولد ـ تاريخ الادب العربي ـ الاصل الانجليزي ـ ط لندن ١٩٠٧ .

ابن هشام ـ أبو محمد عبدالملك ـ ٢١٨هـ ـ السيرة النبوية ـ ط السقا ورفيقيه ـ ط ٢ ١٣٧٥ ـ ١٩٥٥ .

الواقدي ـ محمد بن عمر ـ ٢٠٧هـ ـ ١ ـ مغازي رسـول اللـه ـ ط السعادة ١٣٦٧ ، ٢ ـ فتوح الشام ـ ط حجرية

ولفنسون ـ اسرائيل ـ تاريخ اليهود في بلاد العرب ـ ط الاعتماد ١٩٢٧٠

ياقوت الحموي ـ ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي ـ ٦٢٦ هـ
١ ـ معجم الادباء ، ارشاد الاريب الى معرفة الاديب
٢ ـ معجم البلدان ـ ط السعادة ١٣٢٤ ٠

يحيي الجبوري ـ ١ ـ الاسلام والشعر ـ ط الارشاد ١٩٦٤ م
٢ ـ لبيد بن ربيعة العامري ـ ط المعارف ١٩٦٢٠

الموسوعات والمجلات الادبية والعلمية ٠

الفهارس

١ ـ فهرس الآيات القرآنية (*)

(*) حسب ورودها في الكتاب ، وازاء اسم السورة رقمها ثم رقم الآيــة بعد الخط المائل .

الصفحة	الآيـة	السورة
٢٥	ولئن سألتهم من خلقهم •••	الزخرف ٨٧/٤٣
٢٧	ما كان ابراهيم يهوديا •••	آل عمران ٦٧/٣
٢٨	ان ابراهيم كان أمة •••	النحل ١٢٠/١٦
٢٨	وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا •••	الجاثية ٢٤/٤٥
٣١	ربنا واجعلنا مسلمين لك •••	البقرة ١٢٨/٢
٣١	فقل اسلمت وجهي لله •••	آل عمران ٢٠/٣
٣١	فلما احس عيسى •••	آل عمران ٥٢/٣
٣١	اليوم اكملت لكم دينكم •••	المائدة ٣/٥
٣١	وأنيبوا الى ربكم •••	الزمر ٥٤/٣٩
٣١	ومن يبتغ غير الاسلام دينا •••	آل عمران ٨٥/٣
٣١	ووصى بها ابراهيم بنيه •••	البقرة ١٣٢/٢
٣٣	فان خفتم الا تعدلوا •••	النساء ٣/٤
٣٣	ولن تستطيعوا ان تعدلوا •••	النساء ١٢٩/٤
٣٤	انما المؤمنون اخوة •••	الحجرات ١٠/٤٩
٤١	وما هو بقول شاعر •••	الحاقة ٤١/٦٩
٤١	بل قالوا اضغاث احلام •••	الانبياء ٥/٢١
٤١	ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا •••	الصافات ٣٦/٣٧
٤١	أم يقولون شاعر •••	الطور ٣٠/٥٢
٤١	وما علمناه الشعر •••	يس ٦٩/٣٦
٨٩،٤٢ ٩٥	الا الذين آمنوا •••	الشعراء ٢٢٧/٢٦
٥١	فقطع دابر القوم •••	الانعام ٤٥/٦
٧٤	وعلى الثلاثة الذين خلفوا •••	التوبة ٧٤/٩
٧٥	واذا اراد الله •••	الرعد ١١/١٣

الصفحة	الآيـة	السورة
٢٥١	وقضى ربك •••	الاسراء ١٧/٢٣
٢٥١	ولا تطع الكافرين •••	الاحزاب ٣٣/٤٨
٢٥١	ومن يتق الله يكفر عن سيئاته •••	الطلاق ٦٥/٥
٢٥١	ومن يتق الله يجعل •••	الطلاق ٦٥/٤
٢٦٥	قوا انفسكم واهليكم •••	التحريم ٦٦/٦
٢٦٦	واعتصموا بحبل الله •••	آل عمران ٣/١٠٣
٢٦٧	كم من فئة قليلة •••	البقرة ٢/٢٤٩
٢٦٨	اذ تستغيثون ربكم •••	الانفال ٨/٩
٢٦٨	اذ يوحى ربك •••	الانفال ٨/١٢
٢٦٩	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة •••	الانفال ٨/٣٩
٢٧١	فقاتلوا أئمة الكفر •••	التوبة ٩/١٢
٢٧١	ولله جنود السموات والارض •••	الفتح ٤٨/٧
٢٧٥	ليس لهم طعام الا من ضريع •••	الغاشية ٨٨/٦
٢٧٧	قد خلت من قبلكم سنن •••	آل عمران ٣/١٣٧
٢٧٧	واذ غدوت من اهلك •••	آل عمران ٣/١٢١
٢٧٧	وما محمد الا رسول •••	آل عمران ٣/١٤٤
٢٧٧	واطيعوا الله ورسوله •••	الانفال ٨/٤٦
٢٧٩	ألم تر الى الذين اوتوا •••	النساء ٤/٥١
٢٨٢	وكفى الله المؤمنين القتال •••	الاحزاب ٣٣/٢٥
٢٨٣	هنالك ابتلي المؤمنون •••	الاحزاب ٣٣/١١
٢٨٤	لقد كان لكم في رسول الله •••	الاحزاب ٣٣/٢١
٣٠٣	لقد جاءكم رسول •••	التوبة ٩/١٢٨
٣١٤	وتزودوا فان خير الزاد •••	البقرة ٢/١٩٧
٣٢٥	محمد رسول الله •••	الفتح ٤٨/٢٩

٢ ـ فهرس الاحاديث النبوية (*)

(*) حسب ورودها في الكتاب .

٣ ـ فهرس الاعـلام

ا

ت

ث

ج

ح

خ

غ

ف

ق

ن

هـ

و

٤ ـ فهرس القبائل والاقوام والاديان والفرق ونحوها

أ

ك

ل

م

ن

٥ ـ فهرس البلدان والمواضع والغزوات (*)

ا

ب

(*) جعلنا المواضع مع الغزوات لأنه كثيرا ما يطلق اسم الموضع على الغزوة كأحد وبدر وحنين وصفين ... الخ .

٦ ـ فهرس الكتب

أ

ص

ط

ع

ف

ق

ل

م

٧ ـ فهرس الشعر

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
اذا هبت	الوليدا	وافر	ابنة لبيد بن ربيعة	٣٣٠
الم تغتمض	المسهدا	طويل	الاعشى	٢٤٦
يارب	الاتلدا	رجز	عمرو بن سالم الخزاعي	٢٨٦
لكنني	الزبدا	بسيط	عبدالله بن رواحة	٩٢
تا الله	الهادي	بسيط	حسان بن ثابت	٣٠٢
اتوب	يعاود	طويل	ابومحجن الثقفي	١٨٩،٣٢٠
دعتني	تهودى	طويل	اوس بن دنى القرظي	٢٠٥
أبكى	يريدها	طويل	هند بنت عتبة	١٧١
		ر		
قال النبي	فجار	بسيط	الحجاج بن غزية الانصاري	٣٤٣
من سره	الانصار	كامل	كعب بن زهير	٢٢٥،٢٩٤
ضربت	جائر	طويل	ابو محجن الثقفي	١٨٩
عجبت	قاهر	طويل	كعب بن مالك	٧٤،٢٦٤ ٣٥٢
نحن	سعر	رجز	هند بنت عتبة	١٠٨،١٧٥
اشرت	الكفر	كامل	حسان بن ثابت	١٧٦
تعدون	راشد	طويل	عبدالله بن جحش	٩٨
عجبت	بصائر	طويل	ضرار بن الخطاب	١٣٨، ٣٥٢
وتلك	الحجر	طويل	عبدالله بن الحارث السهمي	١٠٦
أسائلة	خبير	طويل	صفية بنت عبدالمطلب	١١٢

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
خزيت	الكفر	رجز	هند بنت اثاثة	١٠٩
نجالد	السور	بسيط	عبدالله بن رواحة	٨٧
تخبروني	مضر	بسيط	عبدالله بن رواحة	٨٧
لا تنصروا	ينتصر	بسيط	شداد بن عارض الجشمي	١٨٢، ٢٩٣
وباللات	اكبر	طويل	اوس بن حجر	٢٥
يارسول	بور	خفيف	عبدالله بن الزبعرى	١٣٥
ندى لبني	ابو بكر	طويل	الخيطل بن اوس	٣١١
نحج	وفر	طويل	شاعر من بني عامر	٣٢٢
نجالد	السور	بسيط	عبدالله بن رواحة	١١٠
ولما أن	لنفر	وافر	معاوية بن زهير	١٤٥، ١٦٢
ماذا تقول	شجر	بسيط	الحطيئة	١١٩، ٢٤٥
ويها بني	الادبار	رجز	هند بنت عتبة	١٧٤
وجدنا	بثفر	وافر	عمرو بن معد يكرب	٣١٣
ما البكر	بعار	كامل	حسان بن ثابت	٣١٤
شهد	بالغدر	كامل	الحطيئة	٣٣١
الاكل	الغمر	طويل	الحطيئة	٣١٢، ٢٤٣
وسميت	منكر	طويل	ابو محجن الثقفي	٣١٧
ابعد المنذرين	السدير	وافر	ابن بقيلة	٣١٦
اطعنا	ابي بكر	طويل	الحطيئة	٣٠٩
لقد خزيت	يدور	وافر	كعب بن مالك	٢٠١
منك	المطر	متقارب	عبد بن ابي سلمة	٣٣٧
أمنن	ندخر	بسيط	زهير بن صرد	٣٠٠
رماها	المعاصر	طويل	ابو محجن الثقفي	١٨١
فان تظفروا	ظاهر	طويل	ضرار بن الخطاب	١٣٩

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
وفينا	حاتم	طويل	الحارث بن مالك الطائي	٣١١
حكيت	معدم	طويل	النابغة الجعدي	٢٣٠
ان كنت	هشام	كامل	حسان بن ثابت	١٥٨
يا مال	التذمم	رجز	مسافع بن عبد مناف	١٦٦
واشعث	مسلم	طويل	شاعر من شيعة علي	٣٣٩
ايها بنى	حام	رجز	ابو عزة الجمحي	١٦١
أتيناك	المواسم	طويل	الزبرقان بن بدر	٢٩٦
ألا من	الظلم	طويل	ضرار بن الخطاب	١٤٠
تبلت	بسام	كامل	حسان بن ثابت	٦٨
ماذا على	كرام	كامل	عبدالله بن الزبعرى	١٣٠
الا سقني	عالم	طويل	ابو محجن الثقفي	١٨٩
لا تعد من	لئيم	كامل	حسان بن ثابت	١٢٩
منع الرقاد	بهيم	كامل	عبدالله بن الزبعري	١٣٥
ألا أبلغ	مليم	وافر	الوليد بن عقبة	٣٤٠
رايت	الحليما	وافر	ابو محجن الثقفي	١٩٠
يقول	المغانما	طويل	ابو محجن الثقفي	١٩٠
سرينا	محكما	طويل	العباس بن مرداس	٢١٧
الحمد لله	ظللما	بسيط	النابغة الجعدي	٢٢٨
منا بمكة	مسوم	كامل	العباس بن مرداس	٢١٨
ابلغ	ندامة	مجزوءالرجز	عبد بن جحش	١٠٢
بلغ	مقامي	كامل	فروة بن عمرو الجذامي	٢٩٩
ألاهل	عليمها	طويل	عبيدة بن الحارث	٧٦،٢٦٧
من كان	نريمها	كامل	كنانة بن عبد ياليل	١٩١

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
		ن		
قالت	الاوثان	كامل	النابغة الجعدي	٢٢٧
عيني	الفرسان	كامل	غيلان بن سلمة	١٨٣
لا تأكلوا	عفان	كامل	عمرو بن عاصم	٣٢٨
تأصبح	قرآن	طويل	النجاشي الحارثي	٣٤٤
يا ايها	الرحمن	رجز	عمرو بن العاص	٣٤٢
لولا الاله	جبان	كامل	بجير بن زهير	٢٤١
يا للرجال	الدمن	بسيط	حسان بن ثابت	٣٣٣
معشر	النتن	رمل	ابن ابي عزة	٣٠٦
ألا يامن	فان	هزج	صفية بنت مسافر	١٧٧
يا راكبا	الدين	بسيط	عبدالله بن الحارث السهمي	١٠٥
رأيت	الاشعرينا	وافر	النابغة الجعدي	٣٢٨،٢٣٠
هاجت	همدانا	بسيط	عروة بن زيد الخيل	٢٥٦
الا ابلغ	الشامتينا	وافر	ابو الاسود الدؤلى	٣٤٥
الاقل	الشامتينا	وافر	ابو الاسود الدؤلى	٣٤٥
ومشفقة	طحونا	وافر	ضراربن الخطاب	٢٨٠،١٤٢
من مبلغ	التبيانا	كامل	كعب بن مالك	٣٣٢،٨٤
اضحت	ذكرانا	بسيط	قيس بن عاصم	٣١٠
ارى الشام	كارهونا	متقارب	كعب بن جعيل	٣٤٠
الا لايجهلن	الجاهلينا	وافر	عمرو بن كلثوم	٢٠
وسائلة	صابرينا	وافر	كعب بن مالك	٢٨٠
دعن معاوى	تحذرونا	متقارب	النجاشي الحارثي	٣٤١
اقسمت	لتكرهنه	رجز	عبدالله بن رواحة	٩٤
ولو حلفت	يمينها	طويل	عبد بن جحش	٩٩

٨ ـ فهرس الموضوعات